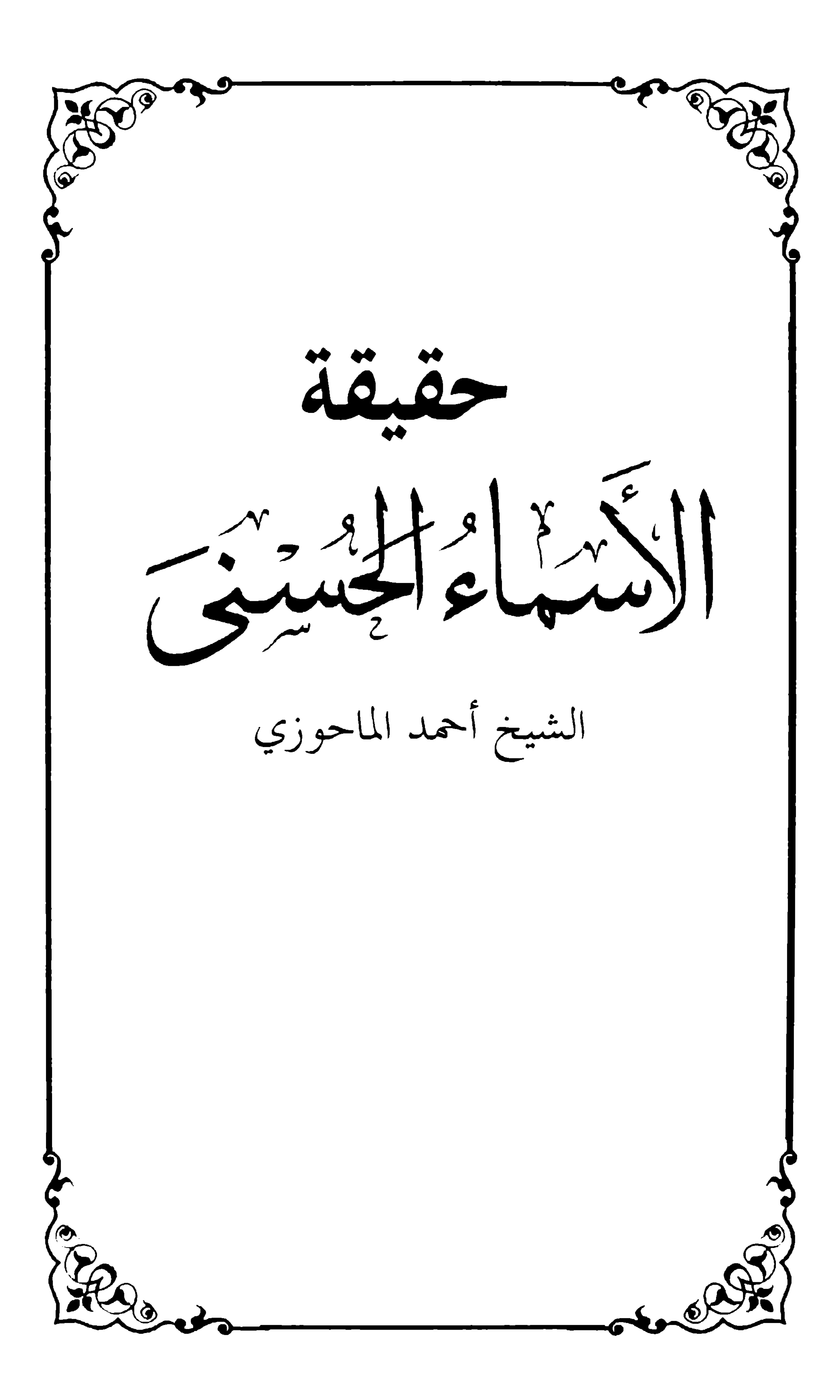


حقيقة الأسماء الحسنى

الشيخ أحمد الماحوزي



حقيقة

الأَسماءُ الحُسنَى

الشيخ أحمد الماحوزي



هوية الكتاب

الكتاب : حقيقة الأسماء الحسنى المؤلف : الشيخ احمد الماحوزي

الصفحات: ٢٣٢ صفحه الحجم: وزيري الكمية : ٣٠٠٠ نسخة الطبعة:

الاولى ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م المطبعة : كوثر الناشر : مؤسسة عاشوراء

قال الإمام الصادق عليه السلام :

« إن اللــه تــبارك وتــعالى خـلق إسـماً بـالحروف غـير متصوت ، وبـاللفظ غـير مـنطق، وبـالشخص غـير مـجسد ، وبالتشبيه غير موصوف ، وباللون غير مصبوغ ، منفي عـنه الاقطار ، مبعد عنه الحدود ، محجوب عنه حس كـل مـتوهم ، مستتر غير مستور ، فجعله كلمة تامة على أربعة أجزاء معاً ، ليس منها واحد قبل الاخر ، فأظهر مـنها ثـلاثة أسـماء لفـاقة الخــلق إليــها ، وحــجب مـنها واحـدا وهـو الاسـم المكـنون المخزون ، فهذه الأسماء التي ظهرت ، فالظاهر هو الله تبارك وتعالىٰ ، وسخر سبحانه لكل اسم مـن هـذه الأسـماء أربـعة أركان ، فذلك اثنا عشر ركناً ، ثم خلق لكل ركن مـنها ثـلاثين اسـماً فـعلاً مـنسوباً إليـها ، فـهو الرحـمٰن ، الرحـيم ، المـلك ، القدوس ، الخالق ، البارىء ، المصوّر ، الحي القيوم لا تأخـذه سِنَة ولا نوم ، العـليم ، الخـبير ، السـميع ، البـصير ، الحكـيم ، العزيز ، الجبار ، المتكبر ، العلي ، العظيم ، المـقتدر ، القـادر ، ، السلام ، المؤمن ، المهيمن ، المنشىء . البديع ، الجليل ، الكريـم ، الرازق ، المحيي ، المـميت ، البـاعث ، الوارث ، فـهذه الأسـماء ومكا من الأسماء الحسنى حتى تتم ثلاث مائة وستين اسـماً فهي نسبة لهذه الأسماء الثلاثة ، وهذه الاسماء الثلاثة أركان ، وحجب الإسم الواحد المكنون بهذه الأسـماء الثـلاثة ، وذلك قوله تعالى **﴿ قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمٰن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى ﴾** .

الكافي : ١/١١٢

قال سيد الفقهاء والمجتهدين الخوئي قدس سره :

« ابتدأ الله كتابه التدويني بذكر اسمه ، كما ابتدأ في كتابه التكويني باسمه الأتم ، فخلق الحقيقة المحمدية ونور النبي الاكرم قبل سائر المخلوقين .... فالواجب جل وعلا قد ابتدأ في أكمل كتاب من كتبه التدوينية بأشرف الالفاظ وأقربها إلىٰ اسمه الأعظم من ناظر العين إلىٰ بياضها ، كما بدأ في كتابه التكويني باسمه الأعظم في عالم الوجود العيني .

وإيضاح هذا المعنى : أن الاسم هو مادل على الذات ، وبهذا الاعتبار تنقسم الأسماء الإلهية إلى قسمين : تكوينية ، وجعلية ، فالأسماء الجعلية هي الألفاظ التي وضعت للدلالة على الذات المقدّسة ، أو على صفة من صفاتها الجمالية والجلالية ، والأسماء التكوينية هي الممكنات الدالة بوجودها على وجود خالقها وعلى توحيده ﴿ أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون ﴾ ﴿ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ﴾ ففي كل شيء دلالة على وجود خالقه وتوحيده .

قال : وكما تختلف الأسماء الإلهية اللفظية من حيث دلالتها ، فيدل بعضها على نفس الذات بما لها من صفات الكمال ، ويدل بعضها على جهة خاصة من كمالاتها على اختلاف في العظمة والرفعة ، كذلك تختلف الأسماء التكوينية من هذه الجهة ، وإن اشترك جميعها في الكشف عن الوجود والتوحيد ، وعن العلم والقدرة وعن سائر الصفات الكمالية .

ومنشأ اختلافها : أن الموجود إذا كان أتم كانت دلالته أقوى ، ومن هنا إطلاق الأسماء الحسنىٰ على الائمة الهداة كما في بعض الروايات » .

البيان في تفسير القران : ٤٣٣

بسم الله الرحمٰن الرحيم

﴿ الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى ﴾

الحمد لله الذي جعل محمداً ﷺ وأهل بيته عليهم السلام في السر والعلن مظهراً للاسم « الله » الذي هو الأسم الأعظم ، وحلاهم من أوصافه بكل ما تعرّف به إلينا [(١)] ، من الجمال والجلال ، وخصّهم بالوسيلة في مقام « أو أ دنىٰ » الذي هو باطن مقام « قاب قوسين » ، وهو التعيّن الاول المعبّر عنه في بعض الاصطلاحات « الحقيقة المحمدية » و « النفس الرحماني » و « الوجود المنبسط » .

ثم إن الحق تعالىٰ دلاّهم بعدما أدناهم ليُظهرهم في العالم بأسمائه الحسنىٰ ، بقولهم عليهم السلام « نحن الأسماء الحسنىٰ » [(٢)] ، وفتح الحق تعالى على أيديهم خزائن الكرم والجود ، ومكّنهم من المكانة العليا ، فكانوا

---

(١) وإلى ذلك اشارة عليه السلام في الزيارة الجامعة الصغيرة « من عرفكم فقد عرف الله ومن جهلكم فقد جهل الله » .

(٢) الكافي : ج ١٤٣/١ حديث ٤ ، وسلسلة السند ذهبية كلهم ثقاتٌ أجلاءٌ عيونٌ في الطائفة ماعدا سعدان بن مسلم فانه لم يُوثّق ، ويستفاد حسنه من ذكر الشيخ والنجاشي له في اصحابنا المصنفين ، وعدم الطعن فيه أصلا سيما من النجاشي الذي دأبه في كتابه المدح أو القدح ، مضافاً إلى رواية الاجلاء الكبار عنه كابن إسحاق والعباس بن معروف وابن الصلت ومحمد بن عيسى وابن محبوب ويونس بن عبدالرحمن وابن أبي عمير وصفوان ، والثلاثة الأُخر لا يرون إلا عن الثقات ، وقد عدّه ابن داود في القسم الاول وقال عنه المير داماد أنه شيخ كبير القدر جليل المنزلة له أصل .

وكيف كان فقد اعتمد عليه الصدوق وعدّ كتابه من الكتب المشهورة التي عليها المعوّل واليها المرجع ، وأخذ منها ما يفتي ويحكم بصحته ويعتقد أنه حجة بينه وبين ربه ، وهذه الشهادة لا تقل عن توثيقات النجاشي ، بل هي أشد اعتباراً إن أكثر الصدوق الرواية عنه ، والتفصيل في محله . مضافاً إلى امكان تبديل الاسناد ، إذ الظاهر ان الرواية موجودة في كتب معاوية بن عمار وكتبه مشهورة بين الطائفة ، وللصدوق والشيخ والنجاشي قدس سرهم أسانيد صحيحة إليها .

هم المَثَل الأعلى لله عز وجل ، فبهم عُرِف ، وبهم عُبد ، وبهم وُحّد ، فهم عينه وجنبه ولسانه ويده المبسوطة بالرحمة والمغفرة .

وبعد ، فأقول :

يعدّ البحث عن الأسماء الحسنىٰ من الأبحاث المركزية والجوهرية ، بل من الأبحاث التي تدرو عليها رحى كلمات أهل المعرفة في جميع معارفهم التي دوَّنوها في كتبهم المختصة ، ولا مجازفة في هذا لمن سبر كلماتهم واطلع على أبحاثهم .

كما أن من تأمل آيات الكتاب المجيد يجد بعد التوفيق من الله تعالى أن جميع تعاليم القرآن الكريم تدور مدار الأسماء الحسنىٰ لله تعالى ، فبعد بيان أي مطلب من المطالب في آياته الكريمة يختم تلك الآيات باسم من أسمائه تعالىٰ .

ولقد أعيا البحث في الأسماء الحسنى الباحثين في فهم كلمات أهل الله لقصور الأفهام عن دركها ونيلها ، والسر في ذلك قولهم عليهم السلام « **إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة** »[1] ، وليس المراد من الاحصاء في المقام هو الاحصاء الرياضي أو العددي ، كما قد يتصور بعض الباحثين الذين عزلوا أنفسهم عن فهم الخطاب المحمدي الأصيل ، بل المراد من الإحصاء هو معرفة الأسماء والتحقق والتخلق بها .

وإن شئت فقل : إن المراد من الاحصاء الذي جاء ذكره في الحديث

(١) توحيد الصدوق : ١٩٤ ، ١٩٥ .

الشريف ، هو : إن من عرف الأسماء وصار مظهراً لمسمى هذه الأسماء فهو من أهل جنة اللقاء ، وما حقيقة هذا التحقق فهذا شيىء لا نفقه حقيقته ولا نعرف كنهه .

الملاذ هم عليهم السلام :

ولأجل تنزل هذه المعارف العالية إلى مستوى أذهان الباحثين ، فلا بد حينئذ من الرجوع إلى من قال في حقهم القران الكريم ﴿ **فاسئوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون** ﴾ [١] ، فيكون الملاذ في مثل هذه الأبحاث إليهم عليهم السلام ، الذين جعلهم الله تعالىٰ أمراء البيان ، ولذا أشتهر على لسان بعض الاكابر المعاصرين حفظه الله تعالى [٢] في محفل درسه العالي : « إن تأثير علم الكلام والفلسفة والعرفان في بحث الأسماء الحسنىٰ ، هو ما دون تأثير علم الحديث » .

وعليه فيكون مدار البحث في هذا الكتاب وتدوين أبحاثه من روح الاحاديث الشريفة الواردة عن أهل بيت العصمة والطهارة .

ولباب ما تدور عليه أبحاث هذا الكتاب هو نحو مقارنة بين ما جاء في كلمات الصوفية والعرفاء في بحث الأسماء الحسنى ، وبقية المدارس ، وبين ما جاء في روايات أهل البيت عليهم السلام ، ومن خلال هذه المقارنة الموضوعية سيتم طرح نظرية أساسها الاعتماد على نصوص الروايات الصريحة الصحيحة .

---

(١) النحل : ٤٣.

(٢) وهو العارف المعاصر الكبير الشيخ عبد الله جوادي الآملي حفظه الله .

وقد تناول الكتاب ثلاث نظريات في حقيقة الاسماء ، وهي :

١ / نظرية العرفاء والمتصوفة ، القائلة بأن حقيقة الاسم ، هي الذات المقدسة مع صفة معينة واعتبار تجلٍّ من تجلياتها ، وأن الأسماء اللفظية إنما هي أسماء الاسماء الحقيقية .

فأخذوا في حقيقة الإسم الذات المقدسة ، ومقتضىٰ كلامهم : أن الاسم عين المسمىٰ حقيقة ، غيره اعتباراً .

٢ / نظرية الشيخ أحمد الاحسائي قدس سره ، القائل بأن الاسماء اللفظية هي أسماء الأسماء ، أما حقيقة الاسماء فمتمثلة في ذوات المعصومين عليهم السلام ، وأن الأسماء اللفظية مسمياتها هم عليهم السلام ، أما الحق الأول فلا اسم ولا رسم له مطلقاً .

٣ / أما النظرية الثالثة فهي ما سنطرحه في هذه الرسالة المتواضعة ، من كون الاسماء اللفظية أسماء لله تعالىٰ وتقدس ، وليست هي أسماء الاسماء ، خلافاً للعرفاء والشيخ الاحسائي ، وأن الاسماء العينية التكوينية هم ذوات المعصومين عليهم أفضل الصلاة والسلام ، فالاسم الاعظم التكويني هو نور النبي الامي صلى الله عليه وآله .

وتفترق هذه النظرية عن نظرية العرفاء والمتصوفة ، من أن الاسماء اللفظية هي أسماء له تعالى ، وأن الاسم التكويني هو غيره تعالىٰ وتقدس ، فالاسم غير المسمىٰ حقيقة واعتباراً ، فلم يؤخذ في حقيقة الاسم الذات المقدسة وهي المسمّىٰ ، **نعم أخذ في تعريف الاسم لحاظ المسمىٰ لا ذات المسمىٰ ، فافهم وتدبر .**

بينما تفترق هذه النظرية عن نظرية الشيخ الاحسائي قدس سره ، أن الأسماء اللفظية هي له تعالىٰ ، والشيخ الإحسائي قدس سره أصرّ على أن هذه الاسماء اللفظية مسمياتها ذواتهم المقدسة عليهم أفضل الصلاة والسلام كما هو صريح كلامه الآتي .

فهذه النظرية برزخ بين كلا النظريتين ، وهي التي أكّد عليها ببيان مجمل ومختصر سيد الفقهاء والمجتهدين الخوئي قدس سره في كتابه القيم « البيان في تفسير القران » ، حيث قال قدس سره :

« ابتدأ الله كتابه التدويني بذكر اسمه ، كما ابتدأ في كتابه التكويني باسمه الأتم فخلق الحقيقة المحمدية ونور النبي الأكرم صلى الله عليه واله قبل سائر المخلوقين .

وإيضاح هذا المعنى : أن الاسم هو مادل على الذات ، وبهذا الاعتبار تنقسم الأسماء الإلهية إلى قسمين : تكوينية ، وجعلية ، فالأسماء الجعلية هي الألفاظ التي وضعت للدلالة على الذات المقدّسة ، أو على صفة من صفاتها الجمالية والجلالية ، والأسماء التكوينية هي الممكنات الدالة بوجودها على وجود خالقها وعلى توحيده ﴿ **أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون** ﴾ ﴿ **لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا** ﴾ ، ففي كل شيء دلالة على وجود خالقه وتوحيده .

قال : وكما تختلف الأسماء الإلهية اللفظية من حيث دلالتها ، فيدل بعضها على نفس الذات بما لها من صفات الكمال ، ويدل بعضها على جهة خاصة من كمالاتها على اختلاف في العظمة والرفعة ، كذلك تختلف

الأسماء التكوينية من هذه الجهة ، وإن اشترك جميعها في الكشف عن الوجود والتوحيد ، وعن العلم والقدرة وعن سائر الصفات الكمالية .

ومنشأ اختلافها : أن الموجود إذا كان أتم كانت دلالته أقوى ، ومن هنا إطلاق الأسماء الحسنىٰ على الائمة الهداة ، كما في بعض الروايات »[1] .

هذه خلاصة النظريات الثلاث التي تعرض لها الكتاب ، مع طرح بعض الابحاث الهامة التي لها ارتباط وثيق بحقيقة الاسماء ومراتبها ، وقد تناول الكتاب بشكل جزل ورائع وواضح معنى الوساطة في الفيض ، وحقيقة قولهم عليهم السلام « لا جبر ولا تفويض وإنما أمر بين أمرين » .

وفي الختام نشكر سماحة العلاّمة الفاضل الشيخ غالب الكعبي ـ دام عزه ـ لما بذله من مجهود طيب ؛ من ملاحظته وقراءته للكتاب من أوله إلى آخره ، وابداء بعض الملاحظات النافعة .

وآخر دعاء أهل الجنان ﴿ **ان الحمد لله ربّ العالمين** ﴾[2] .

أحمد الماحوزي

١٥ / رجب الحرام / سنة ١٤٢٤ هـ

قم المقدّسة

---

(١) البيان في تفسير القرآن : ٤٣٣ .

(٢) يونس : ١٠ .

حقيقة
الأسماء الحسنىٰ

مدخل البحث

معنى الاسم :

قال الكوفيون : إن الاسم أصله من الوَسْم والسِّمة ، وهو العلامة ، فالاسم علاَمة للمُسمّىٰ .

وذهب البصريون والأكثر : إلى أن الاسم أصله من السُّمو بمعنى العُلو والرفعة ، ومنه اشتق لفظ السماء ، وذلك لأن الاسم معرِّف للمسمىٰ فيكون المُسمّىٰ متقدماً عليه فهو عالٍ على الاسم ، ولأن الاسم يسمو بالمسمى فيرفعه عن غيره .

وعليه فالاسم إما مشتق من السِّمة ، وإما مشتق من السُمو ، والقول الاول يناسب المعنى من الاسم ، والثاني يناسب الاشتقاقات اللغوية .

ولعل الأول هو الأقرب والأصح ، وهو الذي يرشد إليه النصّ المعتبر فعن ابن فضال قال : سألت الرضا عليه السلام عن « بسم الله » قال : « **معنى قول القائل « بسم الله » أي أَسِمُ على نفسي سمةً من سمات الله عز وجل وهي العبادة ، قال : فقلت له : ما السِّمةُ ؟ فقال : العلامة** »[١] .

وعن سيد الأولياء والمتقين أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ قال : « **الاسم**

---

(١) توحيد الصدوق : ٢٢٩ ❊ معاني الأخبار : ٣.

ما أنبأ عن المُسمّىٰ »[١] ، والإنباء هو الحكاية والكشف والعلامة .

وقال الامام الرضا عليه السلام : « **الأسماء فهي واحدة ، وهي دلالة على المسمى** »[٢] .

قال بعض المتصوّفة : « الاسم ما يعيّن المُسمّىٰ في الفهم ، ويصوِّره في الخيال ، ويحصره في الوهم ، ويديره في الفكر ، ويحفظه في الذكر ، ويوجده في العقل ، سواء كان المُسمّىٰ موجوداً أو معدوماً ، حاضراً أو غائباً ، فأول كمال يُعرِّفُ المُسمّىٰ نفسَه إلى من يجهله بالاسم ، فنسبته من المُسمّىٰ نسبة الظاهر من الباطن »[٣] ، فالاسم عند العرفاء والمتصوفة هو عبارة عن العلامة أيضا ، إذ نسبة الظاهر من الباطن هو نسبة العلامة إلى ذيها .

هذا : مع إمكان الجمع بين المعنيين ، إذ السُمو والعُلو والرِّفْعة بروزٌ وظهور ، وإذا كان كذلك فهو علامة .

أما الاسم عند النحاة ، فهو من أقسام الكلمة ، ويقابله الفعل والحرف ، وعرفوه أنه : مادل على معنى في نفسه غير مقترن بالزمان ، فكلُّ لفظٍ وكلمةٍ لها معنىً محصَّل غيرُ مقترنٍ بالزمان فهو اسم عند النحاة ، كزيدٍ وقمر ، وشمسٍ وسماء ، وأرضٍ وصخر ، وما شابه ذلك .

تقسيم الأسماء إلى : أسماء الذات والصفات والأفعال :

والاسم تارة يوضع للذات بما هي هي ، أي مع قطع النظر عن شيء

---

(١) الفصول المختارة : ٩١ * سير أعلام النبلاء : ٨٣/٤ * كنز العمال : ٢٨٣/١٠ .

(٢) توحيد الصدوق : ١٨٥ .

(٣) الانسان الكامل للجيلي : ٣٠ .

آخر ، وأخرى يوضع للذات بلحاظ الصفات ، وثالثة يوضع للذات بـلحاظ الافعال ، فـيسمى النـمط الأول أسـماء الذات ، والثـاني أسـماء الصـفات ، والثالث أسماء الافعال ، وكل هذه الأسماء للذات لا للصفات ولا للافعال .

فإذا وُلد مولود ـ مثلا ـ ووضع له اسم «زيد» ، فهذا الاسم موضوع للذات بما هي هي ، فإذا كان أعمش العين وسمي بـذلك ، فـهذا الاسـم مـوضوع للذات بلحاظ الصفة وهي العمش (١) ، فإذا اشتغل بالخبازة وسُمي بذلك ، فهذا الاسم أيضا موضوع للذات ولكن بلحاظ الفعل .

فيكون لهذا المولود ثلاثة أسماء « زيد ، والأعمش ، والخباز » فـالأول وضع لذاته بما هي هي ، والثاني وضع للذات بلحاظ الصفة ، والثالث وضع للذات بلحاظ الفعل .

والوجه في هذا التقسيم ، أن الاسم ـ كما مر آنفا ـ علامة وحكاية عن المُسمّىٰ ، وحكايته عن المُسمّىٰ تختلف من اسم لآخر ، فَرُبَّ اسم حكـىٰ عن المُسمّىٰ بلحاظ صفة من صفاته ، ورُبَّ اسم حكى عنه بلحاظ صفتين من صفاته ، ورب اسم حكىٰ جـميع صـفات المُسـمّىٰ ، وقس عـلى ذلك أسماء الافعال ، وربّما اسم يحكي عن المُسمّىٰ بلا لحاظ الصفات والأفعال .

فلو أن زيداً في المثال السابق كان أيضاً متصفاً بالعلم والاحسان والعدالة وكثرة العبادة ، لأمكنَ أن يسمىٰ أيضا بالعالم والمحسن والعـادل والعـابد ، وكل اسم من هذه الأسماء يحكي صفة له ، فالأعمش يحكي صفة العمش لا غير ، والعالم يحكي صفة العلم لا غير ، والمحسن يحكي صفة الإحسان لا

---

(١) وقد اشتهر سليمان بن مهران ـ وهو من أعاظم الرواة ـ بالاعمش .

غير ، والعادل يحكي صفة العدل لا غير ، والعابد يحكي صفة العبادة لا غير ، وكذلك الخباز يحكي أنه متلبس بهذا الفعل ، أما اسم « زيد » فإنَّه يحكي عن زيدٍ بما هو هو بعيداً عن الصفات والأفعال .

فاسم « زيد » الذي وضع لمسماه ، يمكن أن يقال عنه بأنه : داخل في أسماء الصفات والأفعال لا بالممازجة وخارج عنها لا بالمزايلة ، فزيد هو العالم والأعمش والعابد والعادل والخباز ، فيمكن حمل جميع هذه الأسماء على اسم « زيد » لا العكس ، فلا يقال العالم والأعمش والعابد هو زيد [١] ، بينما يمكن حمل هذه الاسماء على زيد ، فيقال : زيد عالم ، زيد أعمش ، زيد عابد .

وعليه فتارة يوضع الاسم للذات بلا أي لحاظ ، فيقال اسم ذات ، وأخرى يوضع الاسم للذات بلحاظ الصفات ، فيقال اسم صفة ، وثالثة يوضع الاسم للذات بلحاظ الافعال ، فيقال اسم فعل ، وكل هذه الانماط الثلاثة من الاسماء هو للذات لا للصفة ولا للفعل .

الأسماء الالهية :

وأسماء الذات المقدَّسة علىٰ هذا المنوال ، فهناك أسماء للذات بما هي هي ، وهناك أسماء للذات بلحاظ الصفات الالهية ، وهناك أسماء للذات بلحاظ الافعال .

قال شيخ المتصوفة الأكبر ابن عربي : فما كان دلالته على الذات أظهر ، جعلناه من أسماء الذات ، وهكذا فعلناه في أسماء الصفات وأسماء الأفعال

---

(١) إذ غير زيد أيضا عالم وعابد ، فقولنا : العالم زيد ، حصر العلم أو كمال العلم فيه .

من جهة الأظهرية ، لا أنه ليس له مدخلٌ في غيرِ جدولِها ، كالرب فان معناه الثابت فهو للذات ، والمصلح فهو من أسماء الافعال ، وبمعنى المالك فهو من أسماء الصفات [١] .

ومعنى كلامه : أن جميع الأسماء هي للذات ، لكن تارة يكون الاسم أكثر دلالةً لظهور وابداء الذات فيقال له اسم ذات ، وأخرى أكثر دلالةً لإظهار الصفة فيقال له اسم صفة ، وثالثة أكثر دلالةً لإظهار الفعل فيقال له اسم فعل ، فإذا قيل اسم ذات فمعناه ان هذا الاسم يُظهر الذات أكثر من غيرها ، وإذا قيل اسم صفة فمعناه أن هذا الاسم يظهر الصفة أكثر من غيرها ، وإذا قيل اسم فعل فانه يظهر الفعل أكثر من غيره .

أقول : ما قاله إنما يتأتى في الأسماء التي وقع الخلاف في كونها أسماء ذات أو صفات أو أفعال ، أما الاسم « الله » فهو للذات بلا لحاظ الصفات والأسماء ، وكذلك الاسم « زيد » ـ في مثالنا العرفي السابق ـ هو بلا لحاظ الصفات والأسماء .

تنبيه :

وكون الاسم للذات بما هي هي لا يعني دلالته على الذات على نحو

---

(١) ذكر ذلك في كتاب إنشاء الدوائر .

وقد وقع بين المتصوفة والعرفاء خلاف في تقسيم الأسماء ومنشأه الخلاف في تفسير الأسماء فإن اسم «الرب» مثلا يفسر بتفاسير ثلاثة : بمعنى الثابت ، والمصلح والمالك ، فالثابت من أسماء الذات ، والمالك من أسماء الصفات ، والمصلح والمربي من أسماء الافعال . وعلى هذا المنوال بقيه الأسماء ، فيمكن ان ترجع جميع أسماء الافعال إلى أسماء الصفات ، ويمكن أن ترجع جميع أسماء الصفات الى أسماء الذات ، كرجوع الصفات الفعلية إلى الصفات الذاتية ، فمنشأ الصفات الفعلية صفات ذاتية .

المطابقة والأحاطة ، حتى يقال بأن الاحاطة ممتنعة له تعالى مطلقا ، بل المقصود من كونه اسما للذات أنه يدل على الذات أكثر من دلالته على الصفات والافعال ، ولا نظر له إلى الاحاطة والمطابقة ، إذ ليس ثمّة لفظٌ يمكن أن يحكي كل الكمالات الآلهية بحقيقتها ومراتبها ، فضلاً عن الاحاطة .

إتحاد أسماء الصفات مع أسماء الذات :

وحيث أن صفاته تعالى الذاتية عين ذاته مصداقاً ـ كما سيأتي ـ كما أن كل صفة هي عين الأخرى ، فحيثية العلم هي عينها حيثية القدرة وبقية الصفات وبالعكس ، فهو علم كلّه ، قدرة كلّه ، سمع كلّه ، بصر كلّه ، لا أن بعضه سمع وبعضه الاخر بصر ، وبعضه الثالث علم وبعضه الرابع قدرة ، بل هو علم من حيث كونه قدرة ، وقدرة من حيث كونه سمع ، وقس على ذلك بقية الصفات ، فهو كما في بعض النصوص المعتبرة « **علم لا جهل فيه ، وحياة لا موت فيه ، ونور لا ظلمة فيه** »(١) ، والبيان البرهاني الذي يعطي هذا المطلب كونه تعالى لا متناهي ، فينتج من كل ذلك أن أسماء الصفات هي أسماء للذات المقدسة المتعالية .

فإذا كان صفاته عين ذاته ، فأسماء صفاته هي أسماء لذاته تعالى ، وذلك للعينية بين الذات والصفات ، وبين الصفات مع بعضها البعض .

وقد قيل ـ وهو الصحيح (٢) ـ بأن اسم « الله » هو للذات المقدسة بما هي

---

(١) توحيد الصدوق : ١٣٨ .

(٢) سيأتي التحقيق في أن اسم «الله» هل هو من أسماء الذات أو غيرها عند ذكر نظرية الشيخ

هي من دون لحاظ الصفات والافعال ، واسم « أحد » للذات المقدسة بلحاظ الصفة ، واسم « الرّزاق » للذات المقدسة بلحاظ الفعل .

فقوله تعالى ﴿ **هو الله الذي لا إله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهمين العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون * هو الله الخالق البارىء المصوّر له الأسماء الحسنى ، يسبّح له ما في السماوات والارض وهو العزيز الحكيم** ﴾ [١] ، هو جمعٌ للانماط الثلاثة من الأسماء الحسنى .

فـ « هُو » اشارة للهوية الغيبية ، و « الله » اشارة لاسم الذات المقدسة الجامع للصفات والأسماء ، و « الملك ، القدوس ، السلام ، المؤمن ، المهيمن ، العزيز ، الجبار ، المتكبر ، » اشارة لأسماء الذات بلحاظ الصفة ، وقيل بلحاظ الذات بما هي هي [٢] ، « الخالق ، البارىء ، المصوّر » ، إشارة لأسماء الذات بلحاظ الأفعال .

وكل اسم من هذه الأسماء يحكي صفة من صفاته تعالى ، بينما اسم « الله » موضوع للذات بما هي هي وبلا أي لحاظ ، فيمكن أن يقال أنه داخل

الاحسائي قُدس سره ، المؤكد على أنه لا اسم للذات بما هي هي ، كما لا اسم للذات بلحاظ الصفات أيضا ، بل لا أسم له تعالى ـ على مايظهر من كلامه ـ بلحاظ الأفعال والأثر أيضا ، وهو مشابه لبعض كلمات العرفاء والمتصوفة وعلى رأسهم الشيخ محيي الدين بن عربي بأن الذات المقدسة لا اسم ولا رسم لها ، هي فوق الاسم والرسم ، وسيأتي التفصيل والمقصود من قول المتصوفة والعرفاء « لا اسم ولا رسم لها » ، وخلاصته على نحو الايجاز : أن المولود الجديد قبل أن يوضع له اسم « زيد » لا اسم ولا رسم له ، وإنما يوضع له الاسم للتعرف عليه ، ولله المثل الاعلىٰ .

(١) الحشر : ٢٣ ، ٢٤ .

(٢) ومنشأ الخلاف في التقسيم الاختلاف في تفسير هذه الأسماء كما مر التنبيه عليه .

في أسماء الصفات لا بالممازجة وخارج عنها لا بالمزايلة ، وتحمل عليه كل من الصفات والأفعال ، فالرحمٰن هو الله ، والرحيم هو الله ، والقوي هو الله ، والحي هو الله ، والسميع هو الله .

فاسم « الله » اسم له تبارك وتعالى لا بلحاظ شيء من الصفات والافعال ، ولا بلحاظ عدم ذلك ، ولذا يتصف بتمام الصفات ، ويسمىٰ بجميع الأسماء دون سائر الأسماء ، ولذا نسب لهذا الاسم الشريف ـ في الايات والروايات ـ تمام رتق عالم الامكان وفتقه دون سائر الأسماء .

بل هذه الخاصية وهي الحكاية عن الذات ، وعن إمكان حمل كل الصفات والاسماء ، لا تختص باسم « الله » بل تشمل كل اسم هو للذات بما هي هي ، وإنما الخلاف في سعة وضيق الاسم في الحكاية والآيتية ، واسم « الله » هو الاسم الاعظم اللفظي ، الذي تندرج تحته كل الأسماء بأقسامها الثلاثة ، وهذا أصل عرفاني تبتني عليه كثير من مسائل المعرفة المرتبطة بالاسماء الحسني ، فاغتنمه .

فالاسم « الله » هو الاسم الذي لا يسمى به غيره كما في الروايات ، فقد سأل أحد الرواة أمير المؤمنين عليه السلام قال : يا أمير المؤمنين أخبرني عن « بسم الله الرحمن الرحيم » ما معناه ؟ فقال : « **إن قولك « الله » أعظم اسم من أسماء الله عز وجل ، وهو الاسم الذي لا ينبغي أن يسمّىٰ به غير الله ، ولم يَتَسَمَّ به مخلوق** »[١] .

---

(١) التوحيد للصدوق : ٢٣١ .

تنبيه : صفاته تعالىٰ غير أسمائه :

وليُعْلم : أنَّ صفاته تعالى غير أسمائه بأقسامها الثلاثة ، وليس البحث هٰهنا في صفاته وأنها عين الذات ، وإن كانت لها صلة وثيقة بالمقام ، إذ من خلال الصفات تنتزع الأسماء اللفظية ، فالعلاقة بين الاسم والصفة علاقة المنتزع والمنتزع منه ، وصفاته تعالى كما في كلمات المعصومين عليهم السلام عين ذاته ، بخلاف أسمائه ـ كما سيأتي ـ فإنها غيره .

ففي صحيحة أبي بصير قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : « **لم يزل الله عز وجل ربنا والعلم ذاته ولا معلوم ، والسمع ذاته ولا مسموع ، والبصر ذاته ولا مُبْصَر ، والقدرة ذاته ولا مقدور ، فلما أحدث الاشياء وكان المعلوم ، وقع العلم منه على المعلوم ، والسمع على المسموع ، والبصر على المبصر ، والقدرة على المقدور** »(١) .

وعن الحسين بن خالد قال : سمعت الرضا عليه السلام يقول : « **لم يزل الله تبارك وتعالى عالماً قادراً حياً قديماً سميعاً بصيراً** » ، فقلت له : يا بن رسول الله ان قوماً يقولون : إنه عز وجل لم يزل عالماً بعلم وقادراً بقدرة ، وحياً بحياة ، وقديماً بقدم ، وسميعاً بسمع ، وبصيراً ببصر ، فقال عليه السلام : « من قال بذلك ودان به فقد اتخذ مع الله آلهة أخرى ، وليس من ولايتنا على شيء ، ثم قال عليه السلام : « **لم يزل الله عز وجل عالماً قادراً حياً قديماً سميعاً بصيراً لذاته ، تعالى عمّا يقول المشركون والمشبهون علوّا**

---

(١) الكافي : ١٠٧/١ * التوحيد للصدوق : ١٣٩ * البحار : ج ٧٢/٤ .

كبيرا » [١] .

وفي صحيحة هشام بن الحكم قال : في حديث الزنديق الذي سأل أبا عبدالله عليه السلام أنه قال له : أتقول إنه سميع بصير ؟ فقال أبو عبدالله عليه السلام : « **سميع بصير ، سميع بلا جارحة ، وبصير بغير آلة ، بل يسمع بنفسه ، ويبصر بنفسه ، وليس قولي : إنه يسمع بنفسه أنه شي والنفس شيء آخر ، ولكني أردت عبارة عن نفسي إذ كنت مسؤولا ، وإفهاماً لك إذ كنت سائلا ، فأقول : يسمع بكلّه لا أن كلّه له بعض ، ولكني أردت افهامك والتعبير عن نفسي ، وليس مرجعي في ذلك إلا إلى أنه السميع البصير العالم الخبير بلا اختلاف الذات ولا اختلاف معنى** » [٢] . والاحاديث في ذلك متعددة .

وليست عينيّة الصفات للذات المقدسة ، وبينونة الأسماء لها اعتبارية أو لحاظية أو مفهومية ، أو شيء من هذا القبيل ، بل المقصود من العينية هي العينية الخارجية المصداقية ، والغيرية [٣] **هي الغيرية الخارجية المصداقية التكوينية ، فصفاته في متن الواقع عين ذاته ، وأسماؤه في متن الواقع غير ذاته تعالىٰ ، وإلا فالصفات من حيث المفهوم والتعقل تُباين الذات ، وكذلك الأسماء من حيث المفهوم والتعقل تغاير الذات ، فالعينية والغيرية في الروايات الشريفة إنما هو بحاظ الواقع الخارجي**

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام : ١٠٩/٢ * البحار : ج ٦٢/٤ .

(٢) الكافي : ٨٣/١ ، ١٠٩ * التوحيد للصدوق : ١٤٤ * البحار : ٧٠/٤ .

(٣) وهذه الغيرية ليس المقصود منها هي العزلية ، بل هو القيوم على كل شيء ، وهي قائمة به تحت نظام الأمر بين الأمرين .

الذي لا ربط بالذهن .

فقوله عليه السلام « **والعلم ذاته ولا معلوم ، والسمع ذاته ولا مسموع** » هو بلحاظ الخارج والتحقق العيني ، وإلا من حيث المفهوم فمتغايران ، فمفهوم العلم غير مفهوم الذات والسمع ، ومفهوم السمع غير مفهوم الذات والبصر وبقية الصفات والنعوت ، فمن حيث المفهوم هناك تباين واختلاف ، لكن من حيث الصدق الخارجي لهذه المفاهيم هناك وحدة حقّة حقيقية [١] ، ومعنى كون الشيء ذو وحدة حقة حقيقية عدم قدرة العقل أن يفرض لها ثانٍ .

الفرق بين الاسم والصّفة :

أما ماهو الفرق بين الأسماء بأنماطها الثلاثة ـ أسماء الذات والصفات والافعال ـ وبين الصفات الإلهية الذاتية والفعلية فسيأتي بيانه فانتظر [٢] .

وعليه فالأسماء الحسنىٰ المشار إليها في قوله تعالى ﴿ **ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها** ﴾ يشمل الانماط الثلاثة : أسماء الذات والصفات

---

(١) والاشاعرة نظراً لعدم إلتفاتهم زعموا أن هناك تعدد عيني للصفات غير الذات المقدسة ثم أتصفت الذات المقدسة بهذه الصفات ، وحيث أن الذات قديمة فاتصافها بهذه الصفات يكون قديماً أيضا ، فزعموا أنه هناك تسعة قدماء ، كما زعم أهل الكتاب أنه هناك ثلاثة قدماء .

ومنشأ غلطهم : تصورهم أن تعدد المفهوم يستلزم تعدد المصداق الخارجي ، وحيث أنه هناك مغايرة بين الصفات والذات المقدسة من حيث المفهوم ، فهذه المغايرة المفهومية تستلزم مغايرة مصداقية ، فاشتبه عليهم المصداق بالمفهوم ، وأن أحكام المفهوم وتعدده ليس بالضرورة أن تسري الى أحكام المصداق لأختلاف أحكام الوعائين الذهني والخارجي ، والتفصيل في كتابنا « صفات الخالق والمخلوق » .

(٢) راجع صفحة : ٢٧ .

والافعال ، فلا تغفل .

إذا علمت ذلك فسيقع البحث في حقيقة الأسماء الحسنىٰ في مقامات عدة :

المقام الاول

أن أسماءَه تعالى غيره

إذ الأسماء من سنخ الوجود اللفظي ، والمُسمّىٰ به اللفظ من سنخ الوجودات العينية الخارجية ، وقد أشارت جملة من الروايات الواردة عن أهل بيت العصمة عليهم أفضل الصلاة والسلام إلى ذلك .

ففي صحيحة هشام أنه سأل أبا عبدالله عليه السلام عن أسماء الله واشتقاقها ، الله ممّا هو مشتق ؟ قال : فقال لي : « **ياهشام ، الله مشتق من إلَه ، والالَه يقتضي مألوهاً ، والاسم غير المُسمّىٰ ، فمن عبد الاسم دون المعنىٰ فقد كفر ، ولم يعبد شيئاً ، ومن عبد الاسم والمعنىٰ فقد كفر وعبد اثنين ، ومن عبد المعنىٰ دون الاسم فذلك التوحيد ، أفهمت ياهشام** » .

قال : فقلت : زدني ، قال : « **إن لله تسعة وتسعين اسماً فلو كان الاسم هو المُسمّىٰ ، لكان كل اسم منها إلهاً ، ولكنّ الله معنىً يُدَلُّ عليه بهذه الأسماء ، ولكنها غيره ، ياهشام الخبز اسم للمأكول ، والماء اسم للمشروب ، والثوب اسم للملبوس ، والنار اسم للمحروق ، أفهمت ياهشام فهماً تدفع به وتناضل به أعداءنا والمتخذين مع الله جل وعز**

غيره ؟ » قلت : نعم ، قال : نفعك الله به وثبتك ياهشام ، قال هشام فوالله ما قهرني أحد في التوحيد حتى قمت مقامي هذا [١] .

وقوله عليه السلام « الخبز اسم للمأكول » بمعنى أن الخبز لفظ وضع للمأكول الخاص ، وكذا الماء والثوب والنار ، فهي ألفاظ وأسماء موضوعة أزاء معاني وجودية معيّنة في الخارج ، والألفاظ غير المعاني ، ولو كانت عينها لكانت اللغات متحدة .

وفي صحيحة علي بن رئاب عن غير واحد عن أبي عبدالله عليه السلام قال : « **من عَبدَ الله بالتوهم فقد كفر ، ومن عبد الاسم ولم يعبد المعنى فقد كفر ، ومن عبد الاسم والمعنى فقد أشرك ، ومن عبد المعنى بايقاع الأسماء عليه بصفاته التي وصف بها نفسه فعقد عليه قلبه ونطق به لسانه في سرائره وعلانيته فأولئك أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام** » [٢] .

وفي صحيحة ابن أبي نجران قال : كتبت إلى أبي جعفر عليه السلام أو قلت له : جعلني الله فداك ، نعبد الرحمن الرحيم الواحد الاحد الصمد ؟ قال : فقال : « **إن من عبد الاسم دون المُسمّىٰ بالأسماء أشرك وكفر وجحد ولم يعبد شيئاً ، بل اعبد الله الواحد الاحد الصمد المُسمّىٰ بهذه الأسماء دون الأسماء ، إن الأسماء صفات وصف بها نفسه** » [٣] .

وعن عبد الاعلى عن أبي عبدالله عليه السلام قال : « **اسم الله غير الله ،**

---

(١) الكافي : ١/٨٧، التوحيد : ٢٢٠ .

(٢) الكافي : ١/٨٧ * التوحيد : ٢٢٠ .

(٣) الكافي : ١/٨٧ .

وكل شيء وقع عليه اسم شيء فهو مخلوق ماخلا الله ، فأما ما عبَّرته الألسن أو ما عملته الايدي فهو مخلوق ... والله يسمى بأسمائه وهو غير أسمائه والأسماء غيره » [(١)] .

وعن الخزاز عن رجاله عنه عليه السلام قال : « **الله غاية من غياه ، والمغيىٰ غير الغاية ، توحّد بالربوبية ، ووصف نفسه بغير محدودية ، فالذاكر الله غير الله ... الله غير أسمائه ، وكل شيء وقع عليه اسم شيء فهو مخلوق ، ألا ترى الى قوله « العزة لله ، العظمة لله » وقال : ﴿ ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها ﴾ وقال : ﴿ قل ادعوا الله أو ادعوا الرحْمن أيّاما تدعوا فله الأسماء الحسنى ﴾ ، فالأسماء مضافة إليه ، وهو التوحيد الخالص** [(٢)] .

ومن المعلوم أن المضاف غير المضاف إليه ، إذ الاضافة تقتضي الغيرية [(٣)] ، فلا يضاف الشيء إلى نفسه .

فالخلاصة : أن اسم الله غير الله تعالىٰ ، كما هو صريح النصوص

---

(١) الكافي : ١/١١٣ * التوحيد : ١٩٢ ، ١٤٢ بسند آخر عن عبد الاعلى .

(٢) التوحيد : ٥٨ ، قال المحقق السيد هاشم الطهراني : فمعنى الحديث ان كل شيء وقع عليه لفظ الشيء أو مفهوم الشيء سوى الله تعالى فهو مخلوق وان كان ذلك الشيء اسماً من أسمائه تعالى أو مفهوماً ينطبق عليه .

(٣) فإذا قيل : لعبنا في فناء المدرسة ، فالمدرسة مضاف والفناء مضاف إليه ، فقولنا : أسماء الذات المقدسة ، فالذات المقدسة مضاف إليه والأسماء مضاف ، والاضافة تقتضي الاثنينية ، فالأسماء شيء والذات المقدسة ليس كمثلها شيء ، فالظهور الاولي للاضافة هو الغيرية بين المضاف والمضاف إليه ، نعم قد يضاف الشيء الى نفسه ببعض اللحاظات ، لكن المصير إلى ذلك بحاجة الى قرينة ـ عقلية أو لفظية أو مقامية ـ ومع عدم القرينة تتعين الاثنينية .

المستفيضة ، والاعتبار العقلي والوضعي ، فالتوحيد الخالص كما قال عليه السلام : « **أن اسمه تعالى غيره** » .

المقام الثاني
أن أسماءه تعالى ليست منحصرة بالأسماء اللفظية

إذ الاسم الذي هو بمعنى العلامة والسمة ليس بالضرورة أن يكون من عالم الالفاظ والمفاهيم ، بل قد يكون من عالم الأعيان الخارجية ، فقد نجد موجوداً هو اسماً وآية وعلامة لموجود آخر ، فكما يستدل على الذات المقدسة والأعيان الخارجية بالأسماء اللفظية [١] ، كذلك أيضا يستدل على وجود وكمالات وصفات واجب الوجود بالموجودات الخارجية العينية .

فكما أن الوجود الضعيف ـ وهو الوجود اللفظي ـ يمكن أن يكون اسماً لله تعالى ، فمن باب الاولوية القطعية أن يكون الوجود الشديد اسماً له تعالى ، فافهم وتدبر .

ولعلّ موضع النقاش والجدال في التغاير بين الاسم والمُسمّىٰ بين الائمة عليهم أفضل الصلاة والسلام وبين عدة من المتكلمين ، ليس في أن الاسم اللفظي هو غير المُسمّىٰ كما يفهم بدواً ، إذ مثل هذا لا يمكن أن يكون موضعاً للنقاش والخلاف ، إذ لاخلاف بين العقلاء قاطبة في أن اللفظ غير

(١) إذ الالفاظ تدل على المعاني الموضوعة لها ، فإحضار اللفظ هو إحضار للمعنى بانتقاشه في الذهن بصورته أو غير ذلك ، فحينما يقال «جبل» تنتقش صورة الجبل في الاذهان ، وحينما يقال «الحب» يحضر معنى الحب لدى المخاطب .

معناه وأن المفهوم غير مصداقه ، فشخصٌ كعمران الصابىء ـ الذي هو أوحد أهل زمانه في الجدال والنقاش ـ لم يكن حواره مع الامام الرضا عليه السلام منصباً على النسبة بين الأسماء اللفظية والذات المقدسة ، إذ الغيريّة بين الاسم اللفظي والمُسمّىٰ مما لا يمكن أن يقال بعدم إلتفات عمران لها .

وإنما النقاش في الأسماء الالهية العينيّة التي لها وجود وتأصل خارجي ، إذ الاسم ماهو إلا علامة وآية للمسمى وذي الآية ، فكما أن الآية يمكن أن تكون لفظية ، كذلك يمكن أن تكون شيء من عالم الوجودات الخارجية العينية ، بل الآية التي هي من سنخ الوجودات الخارجية أشدّ كاشفية وحكاية من الاية والاسم الذي هو من سنخ الوجود اللفظي الضعيف .

لذا قال عليه السلام مخاطباً عمران الصابىء : « **لان الله عز وجل وتقدّس تُدرك معرفته بالصفات والأسماء ... ولكن يُدلّ على الله عز وجل بصفاته ، ويدرك بأسمائه ، ويستدل عليه بخلقه ، حتى لا يحتاج في ذلك الطالب المرتاد إلى رؤية عين ، ولا استماع أُذن ، ولا لمس كف ، ولا إحاطة بقلب ، فلو كانت صفاته جل ثناؤه لا تدل عليه ، وأسماؤه لا تدعو إليه ، والمَعْلَمَةُ من الخلق لا تدركه لمعناه ، كانت العبادة من الخلق لا سمائه وصفاته دون معناه ، فلولا أن ذلك كذلك لكان المعبود الموحد غير الله لان صفاته وأسماءه غيره أفهمت** » ، قال : نعم ياسيدي ، زدني [1] .

ومما يدل على أنه هناك بعض الأسماء ليست من سنخ الالفاظ والمفاهيم :

---

(١) التوحيد : ٤٣٧ .

الاسم المستأثر :

١ / ما في حسنة إبراهيم بن عمر عن أبي عبدالله عليه السلام : قال : « **إن الله تبارك وتعالى خلق إسماً بالحروف غير متصوت ، وباللفظ غير منطق ، وبالشخص غير مجسد ، وبالتشبيه غير موصوف ، وباللون غير مصبوغ ، منفي عنه الاقطار ، مبعد عنه الحدود ، محجوب عنه حس كل متوهم ، مستتر غير مستور ، فجعله كلمة تامة على أربعة أجزاء معاً ، ليس منها واحد قبل الاخر ، فأظهر منها ثلاثة أسماء لفاقة الخلق إليها ، وحجب منها واحدا وهو الاسم المكنون المخزون ...** »[1] .

فلو كان هذا الاسم من سنخ الوجود اللفظي لكان بالحروف متصوت وباللفظ منطق وبالشخص متجسد وبالتشبيه موصوف ، غير منفي عنه الاقطار ومبعد عنه الحدود ، ولكان غير محجوب عن الحواس والأوهام ، فعلمنا أن المراد من الأسماء هي حقائق ووجودات عينية خارجية ، غير الذات العليّة ، والاسماء اللفظية الالهية .

نسبة الخلق والابداع للاسماء :

٢ / وما في الاحاديث المستفيضة بل المتواترة وكذا ما في الادعية والزيارات من نسبة الخلق والابداع والتدبير إلى أسمائه تعالى ، ومن الواضح أن المؤثر في ذلك ليس الأسماء بوجوداتها اللفظية والمفهومية ، بل بحقائق تلك الأسماء ووجوداتها العينية الخارجية ، فهذه الأسماء بوجودها الخارجي العيني هي التي تكون الواسطة للفيض لجميع العوالم الامكانية ، وبما أن

---

(١) الكافي : ١١٢/١ .

الاسم كما مر غير المُسمّىٰ ، فينتج أن ثمّة وجودات مقدسة ﴿ **لايسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون** ﴾ (١) بواسطتها يكون التدبير والابداع والخلق ، المشار إليها في قوله تعالى ﴿ **فالمدبرات أمرا** ﴾ (٢) ، وهذه المدبرات هي أسماء الله تعالىٰ العينيّة ، ولفظ الرحمٰن والرحيم والحي والقيوم والاعلىٰ أسماء لفظية له تعالى .

من هذه الادعية قوله عليه السلام : « **اللهم إني أسألك باسمك الذي به ابتدعت الخلق في غامض العلم بجود جمال وجهك ، من عظيم خلق أصناف غريب أجناس الجواهر ... وأسألك باسمك الذي تجليت به للكليم على الجبل العظيم ... وأسألك باسمك الذي تعلم به رجم خواطر الظنون بحقائق الايمان ، وغيب عزيمات اليقين ، وكسر الحواجب ، واغماض الجفون وما استقلت به الاعطاف ، وادارة لحظ العيون وحركات السكون ... وأسألك باسمك الذي خلقت به في الهواء بحراً معلقاً عجاجاً ... الحديث** » (٣) .

وفي صحيحة محمد بن مسلم قال : قلت له : علمني دعاء فقال : أين أنت عن دعاء الإلحاح قال : قلت : وما دعاء الإلحاح ؟ فقال : « **اللهم رب السماوات السبع وما بينهن ، ورب العرش العظيم ، ورب جبرئيل وميكائيل وإسرافيل ، ورب القرآن العظيم ، ورب محمد خاتم النبيين ،**

---

(١) الانبياء : ٢٧ .

(٢) النازعات : ٥ .

(٣) مصباح المتهجد : ٢٧٨ ، البحار : ٤٥/٩٠ ، جمال الاسبوع : ٢١٦ .

اللهّم إني أسألك باسمك الذي به تقوم السماء ، وبه تقوم الارض ، وبه تفرق بين الجمع ، وبه تجمع بين المتفرق ، وبـه تـرزق الاحـياء ، وبـه أحصيت عدد الرمال ووزن الجبال وكيل البحور » ثم تصلى على محمد وآل محمد ، ثم تسأله حاجتك وألح في الطلب [(١)] .

وفي صحيحة معاوية قال : قال لي أبو عبدالله عليه السلام ابتداء منه : يا معاوية أما علمت أنَّ رجلاً أتى أمير المـؤمنين صـلوات اللـه عـليه فشكـى الإبطاء عليه في الجواب في دعائه ، فقال له : أين أنت عن الدعاء السـريع الاجابة ؟ فقال له الرجل : ما هو ؟ قال : قل « **اللهم إنـي أسألك بـاسمك العظيم الاعظم ، الأجل الأكرم ، المخزون المكنون ، النور الحق البرهان المبين ، الذي هو نور مع نور ، ونور من نور ، ونور في نور ، ونور على نور ، ونور فوق كل نور ، ونور يضيء به كل ظلمة ، ويكسر به كل شدة ... وهو اسمك الأعظم الأعظم ، الأجل الأجل ، النور الأكبر الذي سميت به نفسك ، واستويت به على عرشك** » [(٢)] .

وجاء في كثير من الادعية عـبارة « **اللهم اني أسألك باسمك العـظيم الأعظم الأعظم الأعظم** » [(٣)] وليس المقصود من الاسـم الاعـظم الاعـظم الاعظم هنا هو الاسم اللفظي اذ اللفظ لا يوصف بأنه عـظيم أو أعـظم ، بـل المراد به الاسم الاعظم التكويني العيني الخارجي الذي به أشرقت السماوات

---

(١) الكافي : ج٢/٥٨٥ ※ الغيبة للطوسي : ٢٥٩ حديث ٢٢٧ ※ كمال الدين : ٤٧٠ حديث ٢٤ .

(٢) الكافي : ٢/٥٨٢ .

(٣) من لا يحضره الفقيه : ٢/٥٣٢ ، ٥٤٢ ، ٥٦٩ ※ مصباح المتهجد : ٤٥ ، ٥٦٧ ، ٥٧٢ ، ٨٠٦ ، ٨١٤ ※ تهذيب الأحكام : ٣/٩٦ .

والارض وتنورت الوجودات والممكنات .

وكذا قوله تعالى ﴿ **تبارك اسم ربك** ﴾ [1] فالمتبارك هو الاسم التكويني ، وإن كان الاسم اللفظي له حظ من التقديس .

قال العارف الملكي التبريزي قدس سره : « وتفطن أن المراد بالأسماء التي يُقْسَمُ فيها على الله هل هو اسم لفظي أو اسم عيني ؟ لعلك لو تفكرت في مضامينها لا سيما في مثل ما فيها « **وباسمك الذي رفعت به السماوات بلا عمد وسطحت به الارض ...** » عرفت أن المقصود منه الاسم العيني ، وهكذا قوله « **وباسمك السبوح القدوس البرهان الذي هو نور على كل نور ، ونور من نور ، ونور يضيء منه كل نور اذا الارض انشقت ...** » لا يلائم الأسماء اللفظية ، فإن هذه الصفات لا تعقل في الأسماء اللفظية إلا بتأويل يرجع إلى الأسماء العينية ، وأيضا لا تغفل عن التصريح فيها ، وكذا في أغلب المناجات الطوال ، أن وجود كل شيء وخلقه إنما هو بأسماء الله ، فتفكر في هذه المعاني لعلك تعرف بنور التفكر ما كنت غافلاً عنه من جواهر العلوم ، وأسرار الكون التي أُشير إليها في القران العزيز من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر ، واشكر نعمة من علمك بها » [2] .

فتحصل مما تقدم : أن لكل وجود عدة أنحاء من الوجود ، ولكل مخلوق عدة تشؤنات وتطورات ومراتب ، وبما أن أسماء الله تعالى مخلوقة كما هو صريح جملة من الروايات ، وبما أن الاسم غير المُسمّىٰ ، فالأسماء

---

(١) الرحمن : ٧٨.

(٢) المراقبات : ٣٥٨ ، في ذكر أعمال العشرة الاول من ذي الحجة .

الالهية ليست على غرار واحد .

فهناك أسماء للذات الالهية من عالم الالفاظ والمفاهيم ، وأسماء للذات الإلهية من عالم الوجودات والأعيان الخارجية .

فقوله تعالى ﴿ **ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها** ﴾ أعم من الاسم اللفظي والمفهومي والعيني المصداقي ، وكذا قوله تعالى ﴿ **وابتغوا إليه الوسيلة** ﴾ [١] ، ومن أعظم وسيلتنا إليه تعالى أسماؤه الحسنى العينيّة الخارجية .

وقد قال الرضا عليه السلام في خطبة له في التوحيد بمحضر المأمون العباسي : « **وأسماؤه تعبير ، وأفعاله تفهيم ، وذاته حقيقة ، وكنهه تفريق بينه وبين خلقه** » [٢] .

قال سيد الفقهاء والمجتهدين الخوئي ﴿قدس سره﴾ : « ابتدأ الله كتابه التدويني بذكر اسمه ، كما ابتدأ في كتابه التكويني باسمه الأتم فخلق الحقيقة المحمدية ونور النبي الأكرم صلى الله عليه واله قبل سائر المخلوقين .

وإيضاح هذا المعنى : أن الاسم هو مادل على الذات ، وبهذا الاعتبار تنقسم الأسماء الإلهية الى قسمين : تكوينية ، وجعلية ، فالأسماء الجعلية هي الألفاظ التي وضعت للدلالة على الذات المقدّسة ، أو على صفة من صفاتها الجمالية والجلالية ، والأسماء التكوينية هي الممكنات الدالة بوجودها على وجود خالقها وعلى توحيده ﴿ **أم خلقوا من غير شيء أم هم**

---

(١) المائدة : ٣٥.

(٢) التوحيد : ٣٦.

الخالقون ﴾ [١] **﴿ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ﴾** [٢]، ففي كل شيء دلالة على وجود خالقه وتوحيده ».

قال : « وكما تختلف الأسماء الإلهية اللفظية من حيث دلالتها ، فيدل بعضها على نفس الذات بما لها من صفات الكمال ، ويدل بعضها على جهة خاصة من كمالاتها على اختلاف في العظمة والرفعة ، كذلك تختلف الأسماء التكوينية من هذه الجهة ، وإن اشترك جميعها في الكشف عن الوجود والتوحيد ، وعن العلم والقدرة وعن سائر الصفات الكمالية .

ومنشأ اختلافها : أن الموجود إذا كان أتم كانت دلالته أقوى ، ومن هنا إطلاق الأسماء الحسنىٰ على الائمة الهداة ، كما في بعض الروايات » [٣] .

وقال العارف المتأله المعاصر الشيخ جوادي آملي دام ظلّه : « ومن المعلوم أن القراءة بوجودها الإعتباري لا تَقْدِر على التأثير العيني ، بل لِمَا لها من السر الوجودي ، والاسم أمر عيني مُسبّح عن العيب والنقص ، فلذا أمر الله سبحانه رسول الله صلى الله عليه واله بالتسبيح له حيث قال تعالى : **﴿ سبِّح اسم ربك الاعلىٰ ﴾** [٤] ، وذلك الاسم هو سر للإسم اللفظي الذي يقرؤه المصلي ، ولا خفاء في أن سر الاسم الأعظم هو أعظم الأسرار ولا ينال إلا بخرق الحجب طراً » [٥] .

---

(١) الطور : ٣٥.
(٢) الانبياء : ٢٢.
(٣) البيان في تفسير القرآن : ٤٣٣ ، وستأتي تتمة مهمة له قدس سره فانتظر .
(٤) الاعلى : ١.
(٥) أسرار الصلاة : ٦٣ .

وقال العارف الجنابذي علي شاه ﴿قُدِّسَ سِرُّهُ﴾ : « إن اسم الشيء ما دل عليه مطلقاً أو باعتبار بعض صفاته سواء كانت الدلالة وضعية أو غير وضعية ، وسواء كان الدال لفظاً أو نقشاً أو مفهوماً ذهنياً أو موجوداً عينياً ، ولما كانت الدلالة مأخوذة في الإسمية فكلما كانت الدلالة أقوى كانت الإسمية أشد ، فالدلالة الوضعية التي هي في الألفاظ والنقوش لمّا كانت محتاجة إلى أمر آخر هو وضع واضع كانت أضعف ، فالإسمية في الدلالة الوضعية أضعف الأسماء ، والمفهوم الذهني لضعفه في نفسه واختفائه عن المدارك بحيث أنكره بعض ... أضعف الأسماء أيضا .

قال : فبقي أن يكون الموجود العيني المدرك لكل أحد الدال على غيره بالطبع كاملاً في الإسمية ، « **نحن أسماء الله الحسنى** » و « **ولا أسم أعظم مني** » و « **باسمائك التي ملأت كل شيء** » وغير ذلك من كلماتهم تدل على اعتبار الإسمية للأعيان الموجودة .

وأهل العرف لمّا كان نظرهم إلى المحسوسات غير متجاوز عنها لا يعرفون من اطلاق الاسم سوى اللّفظ والنقش لغفلتهم عن حصول مفهوم من المُسمّىٰ في الذهن فضلا عن اعتبار الإسمية له ، لاحتجابهم عن دلالة الأعيان على غيرها وعن كونها مرايا للحق الأول تعالى »[١] .

وقال في موضع آخر : « واسم الشيء علامته وكل لفظ وضع لجوهر أو عرض من غير اعتبار نسبة فيه ، وأسماء الله عبارة عما يدل عليه تعالى من لفظ أو مفهوم أو جوهر عيني ، لا اختصاص لها بالأسماء اللفظية أو المفاهيم

---

(١) بيان السعادة : ٧٥.

الذهنية ، **فإن اطلاق الاسم في الاخبار على الذوات العينية كثير** »[١] .

ومما ينادي بضرورة وجود الأسماء العينية أن معرفة الله تعالى بالالفاظ ليست هي المعرفة التامة بل هي معرفة لا تخرج عن كونها معرفة وهمية عقلية ، فالأسماء المبحوث عنها في كلام الائمة عليهم السلام أعم من الأسماء اللفظية والمفهومية والعينيّة ، وإلى الأسماء العينية أشار القران بقوله ﴿ **وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء** ﴾[٢] فإن الضمير في قوله « عرضهم » واسم الاشارة « هؤلاء » يشير الى أن هذه الأسماء مخلوقات حية ذات شعور ووجودات عينية حاضرة[٣] ، مستورة تحت ستر الغيب غيب السماوات والارض ، وأمور غائبة عن العالم السماوي والأرضي ، وموجودات عالية محفوظة عند الله تعالى ، محجوبة بحجب الغيب ، ولو كانت هذه الأسماء من سنخ الالفاظ والمفاهيم لما كان التعبير عنها بضمير « هؤلاء » و« هم » ، فهذه الأسماء العينية هي محال معرفة الله تعالى[٤] التي من عرفها عرف الله تعالى ، ومن جهلها لم يعرف الله تعالى حق معرفته ، وبالحري أن تسمىٰ هذه المعرفة التي منحها الله تعالىٰ لآدم عليه السلام كما هو نص الآية الكريمة ﴿ **وعلم آدم الاسماء كلها** ﴾

---

(١) تفسير بيان السعادة : ٢٦ .كإطلاق كلمة ، تطلق على الكلمة اللفظية والوجود العيني ، قال تعالى ﴿إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاهاإلى مريم وروح منه ﴾ .

(٢) البقرة : ٣١.

(٣) لمكان اسم الاشارة « هولاء » فانه للجمع الحاضر .

(٤) وقد ورد في الزيارة الجامعة الكبيرة « السلام على محالّ معرفة الله ، ومساكن بركة الله » وفي الزيارة الجامعة الصغيرة ـ والتي سندها من أصح اسانيد الخاصة ـ « من عرفكم فقد عرف الله ومن جهلكم فقد جهل الله » .

بالمعرفة الحقيقية .

قال صدر المتألهين الشيرازي قدس سره : « الاسم موضوع فى اللغة لِلَفظ دالٍّ على معنى مستقل ؛ لأنه مشتق من السمة وهو العلامة فكأنّه كان منقولاً لغويا ، نقل من مطلق العلامة للشيء إلى علامة خاصة وهو اللفظ الدال عليه بالإستقلال ، ولما كان نظر العرفاء إلى أصل كل شيء وملاك أمره من غير احتجابهم بالخصوصيات وموارد الاوضاع ، كان الاسم عندهم أعم وأشمل من أن يكون لفظا مسموعا أم صورة معلومة أم عينا موجودا .

ويشبه أن يكون عرفهم يطابق القران والحديث ، فان الاسم في قوله تعالى ﴿ **سبح اسم ربك الاعلى** ﴾ [1] ، وقوله ﴿ **تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام** ﴾ [2] مستبعد أن يكون المراد به الحرف والصوت وما يلتئم منهما ، لانهما من عوارض الاجسام ، وما هو كذلك يكون أخس الاشياء ، فكيف يكون مسبحاً مقدساً .

فإذا وقعت الاستعانة والتبرك باسمه تعالى في مثل قولك : باسم الله أقرء ، وبسم الله أكتب ، وجرت العادة بالتوسل الى اسم الله لطلب الحوائج وكفاية المهمات ، في مثل : بسم الله الشافي ، وفي الادعية النبوية « **باسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الارض ولا في السماء** » .

وقد ثبت عند محققي العلماء أن المؤثر فى جواهر الاكوان ليس إلا الباري جل اسمه أو ملك مقرب من ملائكته باذنه ، فلا تأثير للعوارض

---

(١) الاعلى : ١ .

(٢) الرحمن : ٧٨ .

الجسمانية فى الاشياء الجوهرية » .

وقال في موضع آخر : « ليس المراد من الاسم كما فهمه المتكلمون ، من أنه لفظ موضوع فى اللغة بازاء معنى من المعانى ، يدل على ذلك :

١ /قوله تعالى ﴿ **ولله الأسماء الحسنى** ﴾ [١] فَوَصْفُها بالحسنى من قبل الله تعالىٰ مشعر بانها ليست من قبيل الهيئة العارضة للصوت ، اذ لا شرافة معتد بها لبعض الألفاظ على بعض ، إذ كلها من نوع واحد ، فكما لا فرق بين لفظ الإيمان والكفر والنور والظلمة في الحسن والقبح من حيث أنها هيئآت مسموعة ، بل في مدلولها ومعانيها التى وضعت هذه الالفاظ بازائها .

٢ / قوله تعالى ﴿ **سبح اسم ربك الاعلى** ﴾ [٢] اذ معلوم ان الاسم مما يُسبَّح به لا مما يسبح له .

٣ / ان الذي صار لمزية منزلة آدم عليه السلام على الملائكة لم يكن مجرد حفظ الالفاظ » [٣] .

---

(١) الاعراف : ١٨٠.

(٢) الاعلىٰ : ١ .

(٣) وقطعاً هذه الأسماء المشار إليها في قوله تعالى ﴿ وعلم آدم الأسماء كلها ﴾ ليست هي الذات بتجلٍ معين ـ الذي هو حقيقة الاسم عند المتصوفة والعرفاء كما سيأتي بيانه ـ وذلك لمكان اسم الاشارة في قوله تعالى ﴿ أنبئوني بأسماء هؤلاء ﴾ الدال على أن هذه الأسماء وجودات شاعرة حاضرة مقدسة هي غيب السماوات والارض ، ليست هي ذاته المقدسة مطلقاً ، فهذا الاسم ليس هو ما أصرت عليه المتصوفة والعرفاء ، فالاستفادة من هذه الاية وغيرها ومن جملة من الاحاديث من كون الأسماء المذكورة فيها هو باصطلاحهم تحميل للايات والروايات ، وللبحث تتمة تأتي إن شاء الله تعالى .

المقام الثالث

التعرف على الصفات الذاتية للحق تعالىٰ
وانتزاع الأسماء اللفظيّة من الأسماء العينيّة

كما يستدل على وجوده تعالى بوجود مخلوقاته وصنائعه، كذلك يستدل على أسمائه وصفاته الذاتية والفعلية بوجود مخلوقاته وصنائعه، لذا قال الرضا عليه السلام حينما سأله عمران الصابىء: فبأي شيء عرفناه؟ قال عليه السلام: بغيره، قال: فأي شيء غيره؟ قال الرضا عليه السلام: « **مشيّته واسمه وصفته وما أشبه ذلك، وكل ذلك محدث مخلوق مدبَّر** »[1].

وعليه فتُعرف صفات الله تعالىٰ عن طريق معرفة اسمائه التكوينية العينيّة، فكل عالم الامكان آية وعلامة على صفاته الذاتية والفعلية وأسمائه اللفظية، وتختلف الآيتيّة من وجود إلى آخر حسب السعة الوجودية لكل كائن ومخلوق، فهناك من الموجودات ما يحكي صفة من صفاته، وهناك ما يحكي أكثر من صفة، وهناك موجود يحكي جميع الصفات الالهية والكمالات القدسية من الجمالية والجلالية.

مع ملاحظة أن هذه الحكاية لا تستلزم الاحاطة بالذات المقدسة، إذ هي ممتنعة؛ لعدم احاطة المحدود باللامحدود والمخلوق بالخالق، لذا قال الرضا عليه السلام « **والصفات والأسماء كلها تدل على الكمال والوجود، ولا تدل على الاحاطة** »[2]، فكما أن ظل الانسان وصورته المرآتية لا

---

(١) التوحيد: ٤٣٣ باب ٦٥ حديث ١.

(٢) التوحيد: ٤٣٧.

تقتضي إلا حكاية قدر الانسان الوجودي ولا تستلزم الاحاطة به ، كذلك مخلوقاته تعالى مهما بلغت من الكمال والتمام ودلت وحكت جميع الكمالات الالهية والصفات الربوبية ، إلا أن مَثَلها كمثل الظل وذي الظل والصورة المرآتية وما تعكسه ، ولله المثل الاعلىٰ .

وإن شئت فقل بعبارة حكمية متعالية كما يتداولها أصحاب نظرية المعرفة الالهية : أن تلك الحكاية دلالتها على حد الوجود لا على بيان الوجود .

قال سلطان الفقهاء والمجتهدين السيد الخوئي ﴿قدس سره﴾ : « وكما تختلف الأسماء الالهية اللفظية من حيث دلالتها ، فيدل بعضها على نفس الذات بما لها من صفات الكمال ، ويدل بعضها على جهة خاصة من كمالاتها على اختلاف في العظمة والرفعة فكذلك تختلف الأسماء التكوينية من هذه الجهة ، وإن اشترك جميعها في الكشف عن الوجود والتوحيد ، وعن العلم والقدرة وعن سائر الصفات الكمالية .

ومنشأ اختلافها : أن الموجود إذا كان أتم كانت دلالته أقوى ، ومن هنا صح إطلاق الأسماء الحسنى على الائمة الهداة ، كما في بعض الروايات ، فالواجب جل وعلا قد ابتدأ في أكمل كتاب من كتبه التدوينية بأشرف الالفاظ ، وأقربها الى اسمه الاعظم من ناظر العين إلى بياضها ، كما بدأ كتابه التكويني باسمه الاعظم في عالم الوجود العيني ، وفي ذلك تعليم البشر بأن يبتدئوا في أقوالهم وأفعالهم باسمه تعالى »[١] .

---

(١) البيان في تفسير القرآن : ٤٣٣ .

زيادة إيضاح :

وزيادة على البيان السابق نأتي بهذا المثال العرفي توضيحاً للمطلب فنقول : لنتصوّر أن مصنعاً من المصانع ينتج عدة من الأجهزة الإلكترونية التالية : « الراديو ، التلفزيون ، الكمبيوتر » ، ولنفترض أنّا لا نعرف شيئاً عن مدى مايمتلكه أصحاب هذا المصنع من كفاءات وقدرات علمية ، فهل يمكننا من خلال ما ينتجه هذا المصنع من أجهزة أن نحكم على أصحابه ببعض الصفات والكفاءات الكمالية أم لا ؟

الجواب يكون طبعاً بالايجاب ، فإذا وضعنا «الراديو» أمامنا من خلاله يمكن أن نحكم على أصحاب المصنع والعاملين فيه أنهم خبراء علماء مهندسون ، لما نجد من آثار ذلك متجسداً في «الراديو» ، وإذا نظرنا الى «التلفزيون» فإن إيماننا بكفاءة أصحاب هذا المصنع ستزيد ، إذ الدقة والتعقيد في «التلفزيون» يفوق مافي «الراديو» ، وإذا نظرنا الى «الكمبيوتر» فسنزداد بصيرة في مدى ما يتصف به خبراء هذا المصنع ، ونصفهم بصفات كمالية تفوق ما تقدم .

فنحن من خلال ما ينتجه هذا المصنع استطعنا أن نتعرف على بعض ما يمتلكه أصحاب المصنع من قدرات وصفات وكفاءات علمية وعملية ، فمن خلال جهاز «الراديو» اكتشفنا بعض الصفات ، ومن خلال «التلفزيون» اكتشفنا صفات إضافية وعرفنا الحد الادنى من نسبة الاتقان والدقة لدى أصحاب المصنع ، وكذلك أيضا من خلال «الكمبيوتر» ، فهذه الاجهزة الثلاثة تحكي وتشير لنا إلى ما يمتلكه أصحاب المصنع من كفاءات

وقدرات ، مع اختلاف في درجة الحكاية والآيتية .

وهذا المطلب هو المشار إليه في كلمات الفلاسفة بـ «قانون السنخية» والمراد من السنخية أن كل كمال موجود في المعلول والمصنوع لابد وأن يكون في العلة والصانع بنحو أعلى وأشرف إذ فاقد الشي لا يعطيه [١] .

وإن شئت فقل : إن قانون السنخية هو عبارة عن الخصوصية التي توجب صدور هذا عن ذاك ، وهذا هو مراد الحكماء من أصل هذه القاعدة التي تصور طرفيها يكفي في التصديق بها .

وعليه فما من شيء إلا وهو آية للخالق واسم له ، ومن خلاله يعرف الخالق ويوصف ، فكلما كان المخلوق عظيماً وذو كمال عال ، فحكايته عن خالقه تكون على حسب سعته الوجودية ، ومعرفته معرفة للخالق بِقَدَره [٢] .

---

(١) فما في تفسير مواهب الرحمن : ٦٠/١ من إنكار أصل هذه القاعدة المشهورة عند الحكماء ليس بتام ، بل صدورها من هذا العالم النحرير من العجائب ، حيث قال في معنى هذه القاعدة ما نصه : المعروف بين جمع من الفلاسفة لزوم السنخية بين العلة والمعلول فالمباين من كل جهة لا يمكن أن يصير علة للمباينة كذلك ، كما أن المباين من كل جهة لا يصدر من المباين كذلك . وبنوا عليه مباحث فلسفية وعرفانية .

قال : ولكن ظاهر قوله تعالى (رب العالمين) وغيره من الايات المباركة ينفي ذلك فإن موجد العالم ومربيها لا سنخية بينه وبينها إذ لا سنخية بين الممكن بالذات والفقير المحض ، وبين الواجب بالذات والغني المطلق كذلك ، انتهى .

قلت : ما فهمه قدس سره من «قانون السنخية» ليس مراد للحكماء ، وإنما ماذكرناه في المتن هو المراد ، والشاهد على مانقول كلماتهم في «قاعدة الواحد» حيث عبّر هناك عن السنخية بمعنى الصدور ، والله العالم .

(٢) ومن هنا فاعتقادنا ـ كما سيأتي ـ بأن أكمل الموجودات طراً ـ ما سوى الله تعالى ـ هم الوسائط بين الحق والخلق ، ليقوموا بدورهم الوجودي التكويني بإظهار الحق في الخلق ، وهو مقتضى

وبما أن معرفة الخالق البارىء المصور بالذات متعذرة ومستحيلة ، فلا بد من وجودٍ مخلوقٍ فيه جميع الكمالات والصفات الكمالية : الجمالية والجلالية ، ومعرفته تكون معرفة تامة للرب حسب منتهى ما يمكن أن يحيط به المخلوق (١) .

فبما أن الاسم الاعظم أعظم ما خلق الله عز وجل فهو يحكي جميع الصفات الالهية والكمالات الربوبية ، فمن خلاله نتعرف على كل الصفات الالهية ، ثم نتعرف بعد ذلك على أسماء الجلال والجمال اللفظية ، إذ الأسماء اللفظية منتزعة من الصفات .

الفرق بين الاسم اللفظي والصفة :

بيان ذلك : أن القول السديد في التفرقة بين الصفات الالهية والأسماء الحسنىٰ اللفظية ، أن الاسم اللفظي منتزع من الذات المقدسة مع صفة من الاوصاف ، كالعالم والحي والرازق والقادر والخالق .

فإن العالم هو ذات ثبت لها العلم ، والحي ذات ثبت لها الحياة والقادر ذات ثبت لها القدرة (٢) ، ولذا قال الامام الرضا عليه السلام جواباً على سؤال محمد

صحيحة ابن أبي يعفور قال عليه السلام : يا بن أبي يعفور : إن الله تبارك وتعالى ، واحد متوحد بالوحدانية متفرد بأمره ، فخلق خلقاً ففردهم لذلك الأمر ، فنحن هم يا بن أبي يعفور ، فنحن حجج الله في عباده .... .

(١) ومن هنا تعرف ما في الزيارة الجامعة الصغيرة الواردة بسند صحيح عال « من عرفكم فقد عرف الله ومن جهلكم فقد جهل الله » .

(٢) هذا من حيث اللفظ وتفهيماً للسامع بالنسبة لله تعالى ، وإن شئت فقل : هذا للعارف لا للمعروف ، إذ صفاته عين ذاته مصداقاً ، لا أن الذات كانت في مرتبة من المراتب فاقدة للصفة ثم بعد ذلك اتصفت بها وحيث أن الاتصاف قديم فتكون الصفة قديمة كما ذهب اليه بعض الاشاعرة

بن سنان حينما سأله ما الاسم فقال : « **صفة لموصوف** » [١] ، والاسم العيني فرع الفعل والتجلي الالهي ، فكل ما ينشأ من الفعل الالهي هو اسم عيني .

وأما الصفات فهي لحاظ المبدأ بما هو هو بلا نسبته إلى فاعل وذات معينة ، كالقدرة والعلم والحياة .

ولأجل هذه التفرقة يصح حمل الإسم على الذات المقدسة بلا تقدير شيء ، فيقال : الله عالم و حي وقادر وخالق ، ولا يصح حمل الصفة على الذات المقدسة إلا بتقدير «ذو» فيقال : الله ذو حياة وذو قدرة وذو علم .

قال العلامة الطباطبائي ﰇ : « لا فرق بين الصفة والاسم [٢] ، غير أن الصفة تدل على معنى من المعاني تتلبس به الذات ، أعم من العينية والغيرية والاسم هو الدال على الذات مأخذة بوصف ، فالحياة والعلم صفتان ، والحي والعالم اسمان » [٣] .

وعليه : فمرتبة الصفات متقدمة على مرتبة الأسماء اللفظية ، فإذا تعرفنا على الصفات الالهية بعد ذلك ننتقل إلى معرفة أسمائه تعالى ، **فمعرفة الأسماء اللفظية متوقفت على معرفة الصفات ، ومعرفة الصفات متوقفت على معرفة الأسماء العينية الخارجية ، إذ الله لا يعرف إلا بمخلوقاته**

والعياذ بالله ، إذ تصوروا أن التعدد في المفهوم منشؤه التعدد المصداقي فقالوا بزيادة الصفات على الذات وهذا يستلزم تعدد القدماء ، ولو أنهم فرقوا بين المصداق والمفهوم وأن تعدد المفهوم لا يستلزم بالضرورة تعدد المصداق لما وقعوا في هذا الشرك الظاهر ، وللمزيد من التفصيل راجع كتابنا « صفات الخالق والمخلوق » .

(١) الكافي الشريف : ١١٣/١ ❊ توحيد الصدوق : ١٩٢ .

(٢) أي اللفظيان .

(٣) الميزان : ج٣٥٢/٨ .

ومصنوعاته [١] .

فتكون النتيجة أن طريق معرفة الأسماء اللفظية هي الأسماء العينيّة الخارجية ، فدلالة وسعة حكاية الاسم اللفظي للكمالات الالهية تابع لدلالة الاسم العيني التكويني .

كما أن طريق معرفة الصفات الالهية التي هي عين الذات لا يتم إلا عن طريق الأسماء العينية الخارجية التكوينية ، ففي مثالنا العرفي السابق ، نحن من خلال ماينتجه المصنع نتوصل الى ما يتصف به أصحاب المصنع من صفات ونعوت ، ومن هذه النعوت ننتزع أسماء نسمي بها أصحاب هذا المصنع ، فأولاً الانسان يتعرف على منتوجات المصنع ، ثم ينتقل عقله الى صفات الصُنّاع ، ثم بعد ذلك يقوم بعملية وضع أسماء للصنّاع [٢] .

المقام الرابع
أن الواسطة بين الله وبين مخلوقاته أسماؤه العينية الخارجية المصداقية

كما تشير إلى ذلك الاحاديث المستفيضة والأدعية المتواترة والزيارات المأثورة ، فعالم الامكان بأكمله تحت هيمنة وسيطرة الأسماء الالهية ، وهذه الأسماء الالهية ترجع إلى اسم واحد وهو الاسم الأعظم الجامع لجميع

---

(١) لمزيد من التعمق راجع كتابنا « وسائط الفيض الالهي » في بيان « العناية الالهية » .

(٢) احتفظ بهذا فسيفيدك عند التعرض لنظرية المتصوفة والعرفاء ، ونظرية الشيخ الاحسائي .

الكمالات والمنطوي تحته جميع الأسماء الالهية ، وقد مر ذكر نزر يسير من هذه الاحاديث والادعية .

قال العلامة الطباطبائي قدس سره : « وقد تواترت الآثار من الاخبار والادعية الصحيحة الواردة عنهم عليهم السلام في وجود الاسم الاعظم ، وهي على كثرتها لا تحتاج إلى النقل في هذا المختصر ، وإنما المهم بيان شيء آخر ، وهو انك إذا تأملت الاخبار والادعية ومايثبت فيها من الآثار للاسم الاعظم علمت أنه الاسم الذي يترتب عليه كل أثر متصور ، من الايجاد والاعدام من الابداء والاعادة والخلق والرزق والاحياء والاماتة والحشر والنشر والجمع والفرق ، وبالجملة كل تحويل وتحوّل جزئي وكلي .

ومن الواضح أن هذه التأثيرات غير مترتبة على اسم لفظي ، وهو صوت مسموع عرضي قائم بمخارج الفم فَانٍ ، بل صادرة من ناحية المعنى ، وهذا المعنى أيضا غير مؤثر بما أنه صورة ذهنية خيالية مثلا بالضرورة ، فإنها مثل اللفظ ، على أنها فانية في المصداق الخارجي ، على أن هذا المؤثر ـ كائنا ماكان ـ فهو مؤثر بوجوده العيني ، ومن المستحيل دخول مثل هذا الوجود في الذهن ، فليس الاسم المزبور إلا اسماً خارجياً حقيقياً ، وهو الذات مأخوذاً بوصف ، فهو بعض مراتب الذات المقدسة [1] ، نعم هو أرفع المراتب

---

(١) وما من شيء من مراتب الوجود ـ غير الواجب ـ إلا وهو حق من جهة وخلق من جهة اخرى عند العرفاء والمتصوفة ، وهذا لا يتنافي مع ما قدمناه من كون الاسم كما يمكن ان يكون من عالم الالفاظ يمكن ان يكون أيضاً من عالم الوجودات الخارجية ، وسيأتي أن هذا الاسم العيني ليس هو الاسم في اصطلاح العرفاء والمتصوفة .

وأعلاها ، وهذا هو المراد من اسم الله الاعظم الواردة في الاثار »[١] .

وقال قدس سره أيضاً : « إنّا ننتسب إليه تعالى بواسطة أسمائه ، وبأسمائه بواسطة آثارها المنتشرة في أقطار عالمنا المشهود ، فآثار الجمال والجلال في هذا العالم هي التي تربطنا بأسماء جماله وجلاله من حياة وعلم وعزة وعظمة وكبرياء ، ثم الأسماء تنسبنا إلى الذات المتعالية التي تعتمد عليها قاطبة أجزاء العالم في استقلالها .

وهذه الاثار التي عندنا من ناحية أسمائه تعالى مختلفة في أنفسها سعة وضيقاً ، وهما بإزاء مافي مفاهيمها من العموم والخصوص ، فموهبة العلم التي عندنا تنشعب منها شعب السمع والبصر والخيال والتعقل مثلا ، ثم هي والقدرة والحياة وغيرها تندرج تحت الرزق والإعطاء والإنعام والجود ، ثم هي والعفو والمغفرة ونحوها تندرج تحت الرحمة العامة .

ومن هنا يظهر أن مابين نفس الأسماء سعة وضيقاً ، وعموماً وخصوصاً على الترتيب الذي بين آثارها الموجودة في عالمنا فمنها خاصة ، ومنها عامة، وخصوصها وعمومها بخصوص حقائقها الكاشفة عنها آثارها وعمومها .... فللاسماء الحسنى عرض عريض تنتهي من تحت إلى اسم أو أسماء خاصة لا يدخل تحتها اسم آخر ، ثم تأخذ في السعة والعموم ، ففوق كل اسم ماهو أوسع منه وأعم ، حتى تنتهي إلى اسم الله الاكبر الذي يسع وحده جميع حقائق الأسماء ، وتدخل تحته شتات الحقائق برمتها ، وهو الذي نسميه غالباً بالاسم الاعظم .

---

(١) الرسائل التوحيدية : ٥٩ رسالة الأسماء فصل ٦.

ومن المعلوم أنه كلما كان الاسم أعم كانت آثاره في العالم أوسع ، والبركات النازلة منه أكبر وأتم لما أن الآثار للاسماء كما عرفت فما في الاسم من حال العموم والخصوص يحاذيه بعينه أثر ، فالاسم الاعظم ينتهي إليه كل أثر ، ويخضع له كل أمر » [١] .

فالنتيجة المتحصلة : أن جميع ما في عالم الامكان يرجع إلى الاسم الاعظم الذي هو غير الذات المقدسة [٢] ، فالمؤثر في عالم الوجود [٣] هو الاسم الاعظم التكويني لا اللفظي الجعلي ، إذ الوجود اللفظي وجود ضعيف لا يتفرع عليه وجود أقوى منه ، وراجع ماذكرناه في ذيل المقام الثالث .

قال العارف جواد ملكي التبريزي قدس سره : « أن جميع أفعال الله في العالم من الابداع والخلق والرزق والحفظ وغيرها إنما هي قضيّة أسمائه ، وان الله تعالى إنما جعل بعض مخلوقاته واسطة لخلق بعضها الاخر وسمّاه اسماً لنفسه كما في مضامين بعض الادعية « أسألك باسمك الذي خلقت به البحر ، وباسمك الذي خلقت به الجبال » وهكذا ، وإن لاسمائه تعالى مراتب بعضها فوق بعض ، فيكون أعظم أسمائه مخلوقه الاول ، والواسطة بينه وبين الكل ، فينطبق بمعونة بعض الاخبار بحقيقة نور نبينا وآله المتحدين معه في النورانية » [٤] .

---

(١) الميزان : ج٣٥٨/٨ ، وسيأتي الاختلاف في تحديد مصداق الاسم عند ذكر نظرية العرفاء والمتصوفة .

(٢) خلافاً للعرفاء والمتصوفة وما صرّح به العلامة الطباطبائي قدس سره في كلامه الانف الذكر .

(٣) وتأثيره خاضع لنظام الأمر بين الأمرين ، كما سيأتي التنبيه عليه .

(٤) اسرار الصلاة ٢٢١ .

حقيقة الواسطة في الفيض

ومعنى الوساطة في الفيض أي الوساطة في التحقق والوجود والثبوت، كوسطية النار لتحقق الحرارة، ووسطية الماء لوجود البرودة، ووسطية الطين والنطفة والابوين لتحقق الانسان في هذه النشأة، ووسطية الشجرة لتحقق الثمرة، وماشابه ذلك ، ولا تفهم من الواسطة في المقام الخلو عن التأثير، بل تأثير -كما سيأتي- الواسطة وتصرفها هو نحو من تأثيره وتصرفه تعالى، فلا سلطان في الوجود إلا سلطانه، ولا قيومية في الوجود إلا قيوميته المطلقة عز سلطانه، وهذا بخلاف الآلة فإنها وإن صدقت عليها الواسطة لكنها خالية عن التأثير أصلا، فالتأثير الواقعي فيها هو لصاحب الآلة ليس إلا. فالفاعلية الواقعية متحققة في الواسطة دون الآلة.

ومثال آخر: ان الفعل والجعل الالهي لايخلو من حالتين؛ إما ان يتحقق بلا واسطة، وإما بالواسطة والتدرج، ويسمى الاول في المصطلح القراني -على ماصرح به جملة من الفلاسفة- بالامر، والثاني بالخلق، وإليه أُشير في قوله تعالى ﴿ **آلا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين** ﴾[(١)]، وقوله ﴿ **إنما امره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون** ﴾[(٢)].

فوجود الانسان في هذه النشأة -مثلا- ليس من عالم الامر وإنما من عالم الخلق، اذ الانسان بوجوده المادي لم يصدر مباشرة عن الله عز وجل بل

(١) الاعراف: ٥٤.

(٢) يس: ٨٢، والامر والخلق من القضايا النسبية الاضافية، فتأمل.

توسط الماء والطين في تحققه ، وإليه أشار الذكر الحكيم في قوله ﴿ **وبدأ خلق الانسان من طين** ﴾ [(١)] ، وقوله ﴿ **فلينظر الانسان مم خلق خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب** ﴾ [(٢)] وقوله ﴿ **ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحماً ثم أنشأنه خلقا اخر فتبارك الله احسن الخالقين** ﴾ [(٣)] .

وغيرها من الايات الكثيرة الصريحة في أن الانسان بوجوده المادي لم يصدر مباشرة عن الله عز وجل ، وإنما توسط الماء والطين في إيجاده وتحققه [(٤)] ، وليس هذا عجزاً في الفاعل ـ والعياذ بالله ـ بل نقصٌ وعجزٌ وعدمُ استعدادٍ لان تتلقىٰ المادة الفيضَ من الله مباشرة ، وعليه فالماء والطين واسطةُ فيضٍ بالنسبة للانسان في هذه النشأة .

وعلى وزان الفعل الالهي فعل الانسان أيضاً ، إذ فعله لا يخلو من تلك الحالتين ، إما أن يصدر منه بلا توسط شيء ما ، وإما ان يصدر منه بتخلل واسطة أو وسائط متعددة .

وعليه : فكل فعلٍ وجعلٍ أو أثرٍ ووجودٍ تخلّلَ شيءٌ بينه وبين فاعله

---

(١) السجدة : ٧.

(٢) الطارق : ٧.

(٣) المؤمنون : ١٥.

(٤) فالاب والام من الشروط الاعدادية للولد ، والهواء والماء والحرارة والاكل والشرب من الشروط الاعدادية لاستمرار الحياة له ، فالاب والام والنطفة وبقية الامور وسائط فيضٍ لوجود الولد ولاستمرار وجوده في هذه النشأة .

ومؤثره وموجده ، هذا المتخلِّل يُسمى واسطة في الفيض ، وبتعبير آخر واسطة في التحقق والوجود ، فإذا كان (ج) مجعولا ومخلوقاً لـ (أ) وتخلل (ب) لتحقق (ج) فإن (ب) واسطة لفيض وخلق وتحقق (ج) .

فقوله تعالى ﴿ **وجعلنا من الماء كل شيء حي** ﴾ [(١)] معناه أن الماء واسطةُ فيضٍ وتحققٍ لكلِّ ماهو حي ذي شعور ، وقولنا «كتبت بالقلم» أن القلم واسطةُ فيضٍ وتحققٍ للكتابة .

والواسطة في الفيض تارة تكون إختيارية وأخرى غير اختيارية ، وسيأتي بيان ذلك بشكل أوسع وأوضح [(٢)] .

وأصل كلمة الفيض لغةً من فاض الماء يفيض فيضاً ، أي اذا كثر وسال منصباً ، ومنه قوله تعالى ﴿ **ترى أعينهم تفيض من الدمع** ﴾ [(٣)] ، والفيض هو الماء الكثير ، ومنه استفاض الحديث أي شاع في الناس وكثر وتعددت

---

(١) الانبياء : ٣٠.

(٢) قال العلامة الطباطبائي : وحقيقة وساطة الوسائط ترجع الى تقيّد وجود المسبَّب بقيود مخصصة لوجوده ، فإن ارتباط الموجودات بعضها ببعض عرضاً وطولاً يجعل الجميع واحداً يتقيّد ببعض أجزائه ببعض في وجوده ، فافاضة واحد منها إنما يتم بافاضة الكل ، فليست الافاضة الا واحدة ينال كل منها مافي وسعه أن يناله ، نهاية الحكمة : ٣٠٤ .

فوجود الصادر الاول مثلا شرط لتحقق الصادر الثاني منه تعالى ، ومع عدم تحققه لا تحقق للثاني ، اذ المشروط عدمٌ عند إنعدام شرطه كما هو واضح ، وليس هذا عجز فيه تعالى ـ والعياذ بالله ـ بل لنقص وضعف في الصادر الثاني من أن يصدر منه مباشرة ، فكما أنه لاضعف لنور الشمس عند عدم قدرة العين المجردة على رؤيته ومشاهدته إلا بواسطة النظارة ، كذلك لا ضعف ولا عجز في الفاعل الحقيقي وهو الله تعالى عند عدم قدرة الصادر الثاني أو الثالث لتلقي الفيض منه مباشرة ، فالعجز يكون في القابل لا في الفاعل ، فلا بد من وساطة الصادر الاول لصدور الثاني وقس على ذلك ، وهذا هو منشأ ذهاب الحكماء الى ان الواحد لا يصدر منه إلا واحد .

(٣) المائدة : ٨٣.

طرقه .

البيان الفلسفي للواسطة

أقسام العلة :

قسم الفلاسفة العلة باعتبار إلى النظر إلى داخل المعلول وخارجه إلى أربعة أقسام وهي : العلة الفاعلية ، والعلة الغائية ، والعلة المادية ، والعلة الصورية .

ومثلوا لذلك بـ «الكرسي» فإن له علة فاعلية وغائية ومادية وصورية ، أما الفاعلية فهي النجار ، وأما الغائية فهي الجلوس عليه ، وأما المادية فهي الخشب ، وأما الصورية فهي الهيئة الخاصة للكرسي وبها يختلف عن الطاولة وغيرها .

وكذا مثال الكتابة على الورق ، فلها فاعل وغاية ومادة وصورة ، فالفاعل هو الكاتب ، والغاية إيصال الفكر إلى الاخرين ، والمادة الحبر ، والصورة هو الشكل الخاص للحروف العربية .

ولكي يتحقق المعلول وهو الكرسي أو الكتابة على الورق ـ كما في المثالين ـ لا بد من تحقق هذه العلل الاربع معاً ، وتَخلُّف واحدةٍ منها معناه لا تحقق للمعلول ، فتسميتها بالعلل من باب المسامحة ، وإنما التسمية الدقيقة أنها أجزاء العلة الواحدة [1] .

---

(١) وتسمى العلة الفاعلية والغائية علل خارجية ، والمادية والصورية علل داخلية ، والعلل الخارجية هي الموجدة للمعلول ، بينما الداخلية هي عين المعلول بمعنى أنها مقومة للمعلول ، فالكرسي كما في المثال غير النجار ، والنجار غير الكرسي ، بخلاف الخشب فإنه عين الكرسي

تقسيم آخر للعلة :

ولهم تقسيم آخر للعلة باعتبار النظر إلى وجود المعلول وعدمه ، وهو : المقتضي ، الشرط ، وعدم المانع ، وتسمى أجزاء العلة الواحدة .

فلكي تحترق الورقة ـ مثلا ـ لابد من وجود النار ومماسة النار للورقة وعدم رطوبة الورقة ، فالنار في المثال يعبر عنها بالمقتضي للاحراق ، والمماسة يعبر عنها بالشرط ، وارتفاع الرطوبة يعبر عنها بارتفاع المانع ، فاذا لم يوجد المقتضي فلا احراق ، وكذلك اذا لم يتحقق الشرط ، أو تحقق ولم يترفع المانع ، فاذا انعدمت النار أو لم تحصل المماسة بين النار والورقة بأن كانت النار في جهة والورقة في جهة أخرى ، أو كانت الورقة رطبة ، فالنتيجة تكون عدم تحقق الاحراق في الواقع الخارجي .

والشرط والمانع تارة تنسب إلى العلة الفاعلية ، فيقال أن الانسان له اقتضاء التعلم بخلاف بعض الحيوانات ، وشرطه حضور الدرس ، ومانعه الغفلة أثناء شرح المدرس .

وأخرى تنسب إلى العلة المادية لأجل تشخيص القابل عن غير القابل ، كما في الحجر والورق بالنسبة إلى الاحراق .

فالعجز تارة ينسب إلى الفاعل ، وأخرى ينسب إلى القابل ، ومنشأ العجز هو الضعف في فاعلية الفاعل وقابلية القابل ، كضعف العين من أن تنظر إلى نور الشمس مباشرة ، أو ضعف الانسان من القدرة على الطيران مثلا .

بصورة معينة ، هذا مع ملاحظة ان النجار ليس هو علة وفاعل للخشب وإنما هو علة وفاعل للصورة فلا تغفل .

فالمقتضي بالمعنى الأعم : هو حصول الاستعداد الذاتي للتأثير أو التقبل ، فالنار لها اقتضاء التأثير في عملية الاحراق ، بينما الحجر ليس له قابلية الاحتراق والذوبان بخلاف الورق والثلج فإن لهما قابلية الاحتراق والذوبان بمماسة النار واشراق الشمس .

والشرط : هو المتمم لفاعلية الفاعل ، أو لقابلية القابل ، فمقاربة الورقة ومماستها بالنار شرط لفاعلية النار وتأثيرها في الورقة .

والمانع : هو المضاد لفاعلية الفاعل أو قابلية المحل ، فالشلل مضاد لقدرة الانسان على الحركة ، والرطوبة مضاد لقابلية الورقة للاحتراق .

فالشرط والمانع كما هو في الفاعل كذلك في القابل ، باختلاف الجهة ، والثلاثة وأجزاؤها كلها تعدّ من المعدات لتحقق المعلول ، والمعد هو كل ما له مدخلية في تحقق المعلول .

وعليه : كل ما سوى العلة الفاعلية وسائط ومعدات لتحقق المعلول ، فالقلم والحبر والورق وسائط لتحقق الكتابة ، وقس على هذا المثال بقية الامثلة ، فاحتفظ بهذا المطلب فإنه محور لفهم واستيعاب بعض الابحاث التالية .

الوساطة في الفيض والجبر والتفويض

وعليه فأن الالتزام بالوساطة في الفيض بالنسبة للفعل الالهي لا يستلزم القول بالتفويض الممتنع والمستحيل كما قد يتوهم ذلك ، بل الوساطة في الفيض والتحقق مع التفويض على طرفي نقيض كما هو واضح للمتأمل

والمتدبر .

ولبيان ذلك بشكل واضح وجلي نقول :

قد وقع الخلاف بين البشر في أن أفعال الانسان ـ الذي هو خلاصة عالم الخلقة ـ هل يقوم بها على نحو الاستقلال ، أم أنه مجبور على فعلها ، وبتعبير آخر هذه الافعال والاثار الصادرة عن الانسان سواء كانت حسنة أم قبيحة ، خير هي أم شراً ، هل هي فعل لله تعالى وليس للانسان فيها نصيب ، أم أنها فعل للانسان وليس لله تعالىٰ فيها نصيب ، فهل تنسب هذه الاعمال والآثار إلى الله تعالىٰ فقط أم تنسب الى الانسان فقط ، أم ثمة مذاهب أخرى .

وهذا البحث هو المعنون عندهم بعنوان الجبر والتفويض ، أو الجبر والاختيار .

وليس هذا البحث مختصاً بأفعال الانسان فحسب ، بل هو جارٍ في كل ذي أثر ومؤثر ، وسبب ومسبب ، وعلة ومعلول ، ومقدمة ونتيجة ، وحاكي ومحكي .

ففي عالم الطبيعة هناك أشياءٌ تؤثر في وجود أشياءٍ أخر ، وأشياءٌ تصدر منها أشياء أخر ، وأشياءٌ عللٌ لأشياءٍ أخر ، فالنارُ تعطى الحرارة ، والاشجارُ تعطي الثمرة ، والمطرُ يؤثر في اخضرار الارض ، والماءُ يرفع العطش ، والطعامُ يرفع الجوع ، والحرارةُ تمدد الحديد ، والبرودةُ تجعله منكمشاً ، وقس على ذلك سائر الأمور التي نشاهدها في عالم الطبيعة والتي قد اكتشفناها ، وما غاب عنّا أكثر مما أحطنا به بما لا يعد ولا يحصى ، فسنة الله تعالى قائمة على أساس السبب والمسبب ، والعلة والمعلول ، والمقدمات

والنتائج .

فالسؤال في أفعال الانسان يأتي هنا أيضا ، فيا ترى ما هي العلاقة بين الاسباب والمسببات ، بين النار والحرارة ، بين الماء ورفع العطش ، بين الطعام ورفع الجوع ، وبين الامطار واخضرار الارض ، فهل هناك رابطة ، وإذا كانت فما هي حقيقتها ، أم أنه لا توجد رابطة وعلاقة أصلا بين تلك الأمور ؟

وفي المقام ثلاث نظريات :

النظرية الاولى : مذهب الجبريّة :

من عدم وجود العلاقة والنسبة بين الانسان وأفعاله وآثاره ، بل لا قدرة للانسان على الفعل أو الترك فهو مسلوب الاختيار ، فأفعالُ العباد مخلوقة لله تعالى بصريح ظاهر القرآن ﴿ **أتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون** ﴾ [(١)] وقوله تعالى ﴿ **هل من خالق غير الله** ﴾ [(٢)] ، فلا المؤمن موجد لإيمانه ولا الكافر كذلك ، بل الله هو الموجد والمحدث لذلك ، فهو فاعل كل شيء ولا دور ولا قدرة للانسان أصلا في التأثير والتأثر .

قال جهم بن صفوان : إن الله تعالى هو الموجد لأفعال العباد ، وإضافتها اليهم على سبيل المجاز ، فإذا قيل فلان صلى وصام كان بمنزلة قولنا طال وسمن [(٣)] .

كما أنه لا علاقة ـ وفق هذه النظرية ـ بين الأسباب الطبيعية والمسببات ،

---

(١) الصافات : ٩٥، ٩٦.

(٢) فاطر : ٣.

(٣) كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد : ٣٠٨.

وبين العلة والمعلول ، فلا صلة أصلا بين النار والحرارة ، والماء ورفع العطش ، والطعام ورفع الجوع ، والبذرة والشجرة ، والشجرة والثمرة ، والنطفة والإنسان ، بل النار والحرارة والماء ورفع العطش والبذرة والشجرة من قبيل ضم الحجر إلى الانسان ، فكما أنه لا علاقة بين الانسان والحجر ، كذلك لا علاقة بين النار والحرارة ، وبين الماء ورفع العطش .

نعم جرت عادة الله عز وجل أنه كلما شرب الانسانُ الماءَ رفع الله العطش عنه ، فليس الماء هو الرافع للعطش حقيقة كما قد يتراىٰ ، وإنما الله هو الذى يرفع العطش حقيقة إذا شرب الانسان الماء ، أو يرفع الجوع إذا اكل الطعام ، أو يحقق الحرارة إذا وجدت النار ، وقس على ذلك بقية الأمور التي تتصف بأنها تؤثر في امورٍ أخر .

وإن شئت فقل إن هناك صحبة اتفاقية جرت عادة الله تعالى أن يوجد هذا قبل ذاك ، وذاك بعد هذا ، من غير وجود رابطة حقيقية بين الأمرين ، ولا تأثير حقيقي لأحدهما في الاخر .

فالذي يرفع العطش والجوع ويحقق الاحراق والحرارة هو الله عز وجل لا الماء والطعام والنار ﴿ **هو الذي يطعمني ويسقين واذا مرضت فهو يشفين** ﴾ (١) ، كما أنه لا علاقة أصلا بين هذه المقدمات ونتائجها ، نعم ـ كما قلنا ـ جرت سنة الله تعالى وعادته أنه كلما تحقق شرب الماء أحدث الله تعالىٰ رفع العطش وكلما تحقق الاكل أحدث الله تعالىٰ رفع الجوع ، وكلما تحققت النار أحدث الله تعالىٰ الحرارة والاحتراق ، وقس على ذلك سائر

---

(١) الشعراء : ٨٠.

الأمور .

فهذه الاسباب الطبيعية كأفعال الانسان ، فالايمان والصلاة والزكاة والحج والصوم والخمس والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والاجتناب عن المحرمات والكبائر وكذا الصغائر لا تستوجب الجنة ، وكذلك الكفر والشرك والزنا واللواط والكذب وبقية المحرمات والكبائر لا تستوجب النار ، وإنما جرت عادة الله أنه يدخل المؤمنين الجنة ويدخل الكفار والمشركين النار ، وقد يدخلهم الجنة كما قد يدخل المؤمنين النار ، ولاعتراض على حكمه وفعله ﴿ **لا يسأل عما يفعل وهم يسألون** ﴾ [١] .

وعليه : فليس الحاكم والمهيمن على عالم الإمكان نظام السببية والمسببية والعلية والمعلولية ، لا بنحو العلة التامة ولا بنحو الاقتضاء ولا بنحو الشرط ولا بأي نحو من الانحاء [٢] ، فلا علاقة بين المقدمات والنتيجة ، وهذا ما يعبر عنه بالارادة الجزافية في نظام الكون .

وتنسب هذه النظرية إلى الاشاعرة برمتهم كما يظهر ذلك واضحاً أيضا من كلماتهم ، والله العالم .

قال شارح المواقف : أن أفعال العباد واقعة بقدرة الله تعالى وحدها ،

---

(١) الانبياء : ٢٣ . وهذه الآية تعد من أهم الايات التي تمسك بها المذهب الجبري ، ولها تفسير آخر بمنزلة عكس النقيض مما قاله القوم .

(٢) اذ العلاقة بين النار والحرارة ، إما أن تكون علاقة العلة التامة مع معلولها ، فتحقق النار يلزم منه قهراً تحقق الحرارة ، أو أن العلاقة بين النار والحرارة علاقة جزء العلة مع معلولها ، فتحقق النار ماهو إلا مقتضي للحرارة ولكي تتحقق الحرارة لابد من توفر الشرط ورفع المانع ، وسيأتي في النظريات التالية ما يوضح المطلب ويرفع الابهام .

وليس لقدرتهم تأثير فيها ، بل الله سبحانه أجرى عادته بأن يوجد في العبد قدرة واختياراً ، فاذا لم يكن هناك مانع أوجد فيه فعله المقدور مقارناً لهما ، فيكون فعل العبد مخلوقا لله ابداعاً واحداثاً ومكسوباً للعبد ، والمراد بكسبه اياه مقارنته لقدرته وارادته من غير أن يكون هناك منه تأثير أو مدخل في وجوده سوى كونه محلا له ، وهذا مذهب الشيخ أبي الحسن الاشعري [(١)] .

وقد يمثل أمر الكسب بحمال يحمل شيئاً ويذهب به ويضع آخر يده تحت الشيء المحمول من غير أن يكون لقوته وقدرته مدخلية في الحمل له والذهاب به ، بل مجرد أن لو لم يحمل الحمال لحمل هو ، ولكن قد جرت عادة الحمال بحمله ، فهكذا يقولون أن الله تعالى أجرى عادته بخلق الفعل مقارناً لقدرتنا وإرادتنا من غير أن يكون لهما مدخلية فيه ، وبهذا الكسب يصححون الثواب والعقاب وغيرهما .

ولا ريب أن مجرد المقارنة مع عدم المدخلية والوقوع بمحض إرادة الله تعالى وقدرته جبر محض .

ولعل بعض التقريبات في بيان الكسب تلتئم مع نظرية الامر بين الامرين ، القائلة بوجود العلاقة بين ما يسمى بالعلة والمعلول والسبب والمسبب .

قال الغزالي : « إنما الحق إثبات القدرتين على فعل واحد ، والقول بمقدور منسوب إلى قادرين ، فلا يبقى إلا استبعاد توارد القدرتين على فعل واحد ، وهذا إنما يبعد إذا كان تَعَلُّق القدرتين على وجه واحد ، فاذا اختلفت

---

(١) شرح المواقف للجرجاني : ١٤٦/٨ .

القدرتان واختلف وجه تعلقهما فتوارد القدرتين المتعلقتين على شيء واحد غير محال » [(١)] .

فلعل محصل كلامه يرجع إلى أحد البيانات في تفسير معنى الامر بين الامرين إن التزم بوجودِ علاقةٍ ما بين العلة والمعلول ، وبين الانسان وفعله ، وقد صرح الاشعري بعدم التأثير والمدخلية للإنسان مطلقا في فعله .

النظرية الثانية : مذهب التفويض :

وتسمى في عرف أصحاب هذا المذهب بنظرية التولد أو التوالد ، من وجود العلاقة الحقيقية بين الانسان وأفعاله وآثاره ، فالفعل فعل الانسان ولا ربط له بالله تعالىٰ أصلا ، فهذا القول على طرفي نقيض مع القول السابق ، وهو ينحل إلى قولين :

١ / أن صدور الأفعال من الانسان على نحو الاستقلال من دون تأثير لقدرة الله عز وجل فيها ابتداءاً ، نعم هو قادر على التصرف خلاف ذلك ، لكن لم تتعلق إرادته بذلك التصرف في أفعالهم الاختيارية ، وهذا القول هو المنسوب إلى مدرسة الاعتزال .

٢ / أن صدور الافعال من الانسان على نحو الاستقلال من دون تأثير لقدرة الله عز وجل فيها ، وليس لقدرته وإرادته مجال للتدخل فيها ، فقد خرجت أزمة الامور من يده ، بعد أن خلق الانسان وجعله سميعاً بصيرا قادراً [(٢)] .

---

(١) الاقتصاد في الاعتقاد : ٤٧ .

(٢) وهذا هو اعتقاد اليهود المشار إليه بقوله تعالى ﴿ وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت ايديهم

وقس على أفعال الإنسان العلاقات القائمة بين الاشياء مع بعضها البعض [١] ، فالعلاقة بين النار والحرارة وبين الماء ورفع العطش والطعام ورفع الجوع كالعلاقة بين الاربعة والزوجية ، كيف أنه بمجرد تحقق الاربعة تتحقق الزوجية كذلك بمجرد تحقق شرب الماء يتحقق رفع العطش وبمجرد تحقق أكل الطعام يتحقق رفع الجوع ، فالنار علة تامة لتحقق الحرارة لا أنها مقتضي بحاجة إلى توفّر الشرط وارتفاع المانع .

فاذا أوجد الله تعالىٰ النار فلا بد من تحقق الحرارة ، واذا أوجد الماء فلا بد من تحقق الارواء عند شربه ، وانفكاكه عن لازمه تغير لحقيقته ، فاذا رفع الله تعالىٰ الحرارة من النار معناه أن النار تحولت إلى وجود آخر [٢] .

ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء ﴾ فزعموا ان الله تعالى بعد ان أبدع الاشياء وخلق الكائنات وفرغ من الامر والنظام وثبت السنن والقوانين خرجت أزمة الامور من يده وقدرته ، فيده مغلولة عن القبض والبسط والاخذ والاعطاء فلا يمكن التغيير ولا التبديل ، فقد فرغ من الامر فلا يزيد ولا ينقص .

قال الصادق عليه أفضل الصلاة والسلام في قوله تعالى ﴿ وقالت اليهود يد الله مغلولة ﴾ قال : « لم يعنوا هكذا ، ولكنهم قالوا : قد فرغ من الامر ، فلا يزيد ولا ينقص ، فقال الله جل جلاله تكذيباً لقولهم ﴿ غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء ﴾ الم تسمع الله عز وجل يقول ﴿ يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب ﴾ ، فالمحو نقصان والاثبات زيادة . ومعنى قوله عليه السلام «لم يعنوا هكذا» أي لم يريدوا أن له يداً كأيدينا وهي مغلولة إلى عنقه .

فقولهم عليهم أفضل الصلاة والسلام ـ كما سياتي ـ « لا جبر ولا تفويض وإنما هو امر بين امرين » رد على البيان الاول من معاني التفويض ، وقولهم عليهم السلام « ما عبد الله بشيء مثل البداء » رد على الثاني فافهم واغتنم ، وللتفصيل راجع كتابنا « ما عُبد الله بمثل البداء » .

(١) مع فارق أن أفعال الانسان اختيارية ، وأفعال غيره ليست كذلك .

(٢) وهذا يتصور على التفسير الاول من معاني التفويض ، اذ الثاني يتوهم عدم مجال للقدرة الالهية في التدخل بعد تحقق تلك الامور .

ففي قضية إبراهيم عليه السلام لا بد من القول بـالتجوز ، فـقوله تـعالى ﴿ **يانار كوني بردا وسلاما** ﴾ [(١)] إما أن نقولوا بأن الله ألبس ابراهـيم عـليه السلام بعض الالبسة ـ كما هو ظاهر بعض الروايات ـ تقيه عن النار ، وإما أن نلتزم بان النار تحولت إلى وجود آخر لا أقل تلك النار التي كـانت مـحيطة بإبراهيم عليه السلام .

اذ لا يمكن انفكاك الحرارة عن النار ، فكما لا يمكن انفكاك الزوجية عن الاربعة لكونها لازماً ذاتياً ، كذلك لا يمكن انفكاك الحرارة عن النار لكونها من لوازمها الذاتية ، وانفكاكهما معناه تحول النار إلى وجود آخر .

وعليه فالكون بأكـمله قـائم عـلى أسـاس السـببية والمسـببية والعـلية والمعلولية والمقدمات والنتائج ، وهناك علاقة بين المسبب والسبب ونوعية هذه العلاقة أنها على غـرار عـلاقة الزوجـية بـالاربعة ، فـهي عـلاقة ذاتـية ضرورية لا يمكن انفكاكها عن ذيها .

فخلاصة النظريتين :

أن الاولى تسلب القدرة والتأثير والفعل من الممكن والمخلوق وتُثْبت كل ذلك لله عز وجل ، فلا نصيب أصلا للعباد في التأثير والفاعلية مطلقا ، والثانية بخلافها فهي تسلب القدرة والتأثير والفعل من الله تعالى وتثبت كل ذلك للعبد والمخلوق والممكن ، فلا نصيب لله في التأثير والفاعلية مطلقا .

وعلى غرار الفعل الانساني ما نراه في عالم المادة مـن سـبب ومسـبب

---

(١) الانبياء : ٦٩.

وعلة ومعلول ومقدمة ونتيجة ، فالجبر و التفويض ليس فقط فى أفعال الانسان وإنما في جميع مراتب الوجود ومواطن الغيب والشهود .

قال الامام الخميني قدس سره : « هل المعلولات الصادرة من عللها ، والآثار والخواص المترتبة على الاشياء ، والمسببات المربوطة بالاسباب ، والافعال الصادرة عن الفواعل ، سواء فى عالم الملك أو الملكوت أو المجردات او الماديات ، وسواء صدر عن الفواعل الطبيعية كإشراق الشمس واحراق النار، أو الحيوانية والانسانية ، أو الآثار والخواص المترتبة على الأشياء كحلاوة العسل ومرارة الحنظل ، وسواء كان الفاعل مختاراً أو لا .

وبالجملة كل ما يترتب على شيء بأي نحو كان ، هل يترتب عليه وصادر منه على سبيل الاستقلال والاستبداد بحيث لايكون للحق ـ جل شأنه ـ تأثير فيها ، وإنما شأنه تعالى خلق المبادىء فقط ونسبته الى العالَم كالبنّاء والبِناء بحيث يكون بعد الايجاد منعزلاً عن التأثير والتدبير ، وتكون الشمس في إشراقها والنار في إحراقها والإنسان فى أفعاله والملائكة فى شؤونها مستقلات ومستبداتٌ ، ويكون وجود البارىء وعدمه ـ والعياذ بالله ـ في فاعليّة العبد ومنشأيّة الوجودات للآثار على السواء ، وأنه تعالى أوجد العقل مثلا وفوّض الامر إليه ، أو أوجد المكلف وفوّض أفعاله إليه .

أو أنه تعالى كما هو فاعل المبادىء فاعل الآثار بلا وسط ولا فاعلية ولاتأثير لشيء من الأشياء ، ولا علية لموجود بالنسبة الى غيره ولا خاصية لموجود ، بل الاشياء كلها منعزلة عن التأثير والخواص والآثار لكن جرت عادة الله بإيجاد أشياء عقيب أشياء كالإشراق عقيب وجود الشمس

والاحراق عقيب النار والارادة والقدرة في الانسان ، والفعل عقيب الارادة ، والعلم بالنتائج عقيب الأقيسة ، والاشياء كلها على السواء في عدم التأثير ، لكن الجاهل بالواقع يرى ترتّب الآثار على المؤثرات غفلةً من حقيقة الامر .

ثم قال : فالتفويضي يرىٰ انعزاله تعالى من التأثير مطلقا إلا في المبادىء ، والجبري يرىٰ انعزال الخلق عنه واستناد الكل إليه تعالى بلا وسط وبنحو المباشرة » [١] .

أدلة الجبرية والمفوضة :

وكلا الطائفتين تستدل على مدعاها من ظواهر القرآن الكريم :

فالاولى : تمسكت بقوله تعالى ﴿ **يضل من يشاء ويهدي إليه من يشاء** ﴾ [٢] ، وقوله ﴿ **أتعبدون ماتنحتون والله خلقكم وماتعملون** ﴾ [٣] وقوله ﴿ **الله خالق كل شيء** ﴾ [٤] .

والثانية : تمسكت بقوله تعالى ﴿ **من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها وماربك بظلام للعبيد** ﴾ [٥] ، وقوله ﴿ **إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفورا** ﴾ [٦] ، وقوله ﴿ **كل امرىء بما كسب رهين** ﴾ [٧] ، وقوله ﴿ **وقل**

---

(١) العدل الالهي في نظر الامام الخميني : ٣٨.

(٢) فاطر : ٨.

(٣) الصافات : ٩٦ . ويمكن ان يكون معنى الاية ان الله خلقكم والاصنام التي تعملونها ، اذ «ما» في قوله «وما تعملون» موصولة لا مصدرية حتى يكون المعنى والله خلقكم وعملكم . فإذا كانت الاصنام مخلوقة لله فكيف يعبد المخلوق ويترك الخالق .

(٤) الرعد : ١٦ .

(٥) فصلت : ٤٦ .

(٦) الانسان : ٣ .

الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ (٨) ، وغيرها من الآيات .

النظرية الثالثة :

وهي مذهب الأمر بين الامرين ، فهي في قبال الاولى من جهة وقبال الثانية من جهة أخرى (٩) ، في قبال الأولى من جهة وجود العلاقة الواقعية الحقيقية بين الفعل والانسان وبين المسبب والسبب وبين المعلول والعلة ، وقبال الثانية من جهة صحة نسبة الفعل إلى الله والعبد معاً فكليهما له نصيب في الفعل والأثر ، وكون العلاقة بين السبب والمسبب والعلة والمعلول قابلة للانفكاك ، لا أنها علاقة ذاتية لا يمكن أن تنفك .

توضيح ذلك : أن الله عز وجل خلق الانسان وأقدره على أن يؤثر في الاشياء وأن يفعل الافاعيل ، وكذلك أيضا خلق الاشياء وأقدرها على أن تؤثّر في أشياءٍ أخر بأذنه ، فالماء ـ مثلا ـ مؤثر في رفع العطش ، والسُّم له تأثير في تحقق الموت ، والنار لها دور في عملية الاحراق وإعطاء الحرارة ، ولكن تأثير كل من الماء والسُّم والنار مغياة بالاذن الالهي ، ومع عدم هذا الاذن لايتحقق رفع العطش والموت والاحراق بشرب الماء والسم وتحقق النار .

فليس الماء والنار والسم علة تامة للمعلول ـ كما هو مقتضى النظرية

---

(٧) الطور : ٢١ .

(٨) الكهف : ٢٩ .

(٩) وعبرنا بأنها قبال الاولى و الثانية من باب المسامحة في التعبير وإلا الأمر على خلاف ذلك ، إذ أن هذه النظرية الشريفة ليست ناظرة أصلا إلى الجمع بين النظريتين السابقتين كما قد يتصورها البعض ، إذ هي ترفض النظرية الأولى على إطلاقها كما ترفض الثانية على إطلاقها .

الثانية ـ بل جزء العلة ، اذ ـ كما قلنا سابقاً ـ أجزاء العلة ثلاثة ، وهي : المقتضي والشرط وعدم المانع ، فلكي يتحقق المعلول لابدّ من تحقق هذه ا لاجزاء الثلاثة للعلة وعدم أحدها عدم للمعلول .

فاحتراق الورقة ـ مثلا ـ في الخارج لابدّ من توفّر هذه الامور الثلاثة ، فالمقتضي في المثال هو النار [١] ، والشرط مماسة النار للورقة ، وعدم المانع أن لا تكون الورقة رطبة .

فلو لم يتحقق المقتضي وهو النار ، أو تحقق و لم يتحقق الشرط وهو المماسة بين النار والورقة ، بأن كانت النار في جهة والورقة في جهة اخرى ، أو تحقق المقتضي والشرط ولكن لم يرتفع المانع بأن كانت الورقة رطبة مثلا ، لاتحقق للاحتراق إذ هو معلول لهذه الأجزاء الثلاثة فعدم أحدها عدمه ، فلا يكفي وجود المقتضي بل لابد من تحقق الشرط ورفع المانع .

خلاصة النظريات :

فنظرية الامر بين الأمرين تقول : أن العلاقة بين الانسان وفعله ، وبين النار وإعطائها الحرارة واحراقها للاشياء ، والماء ورفعه للعطش ، والطعام ورفعه للجوع ، ليس هو من قبيل العلة التامة مع معلولها ، بل من قبيل العلة الناقصة مع المعلول ، فلا بد من توفّر بقية أجزاء العلة حتى يتحقق المعلول ، فجميع ما نراه من اسباب ومسببات وعلل ومعلولات ومقدمات ونتائج العلاقة بين كل ذلك هو علاقة العلة الناقصة مع معلولها ، فكل ذلك

---

(١) أو مايقوم مقام النار كالاحتكاك مثلا .

معدات [1] لتحقق المعلول .

ونظرية التفويض تقول : ان العلاقة بين النار والحرارة هي علاقة العلة التامة مع معلولها .

ونظرية الجبر تقول : بأنه لا علاقة أصلا بين النار والحرارة والماء ورفع العطش ، فلا علاقة بين ما نراه أنه سبب ومسببه وما نراه علة ومعلوله .

وقد مثّل سيد الفقهاء والمجتهدين الخوئي أمثله عرفية ثلاثة تنطبق على النظريات في المقام ، قال قدس سره :

إن الفعل الصادر من العبد خارجاً على ثلاثة أصناف :

الاول : ما يصدر منه بغير اختياره وإرادته ، وذلك كما لو افترضنا شخصاً مرتعش اليد وقد فقدت قدرته واختياره في تحريك يده ، ففي مثله اذا ربط المولى بيده المرتعشة سيفاً قاطعاً ، وفرضنا أن في جنبه شخصاً راقداً وهو يعلم أن السيف المشدود في يده سيقع عليه فيهلكه حتما ، ومن الطبيعي أن مثل هذا الفعل خارج عن اختياره ولا يستند إليه ، ولا يراه العقلاء مسؤولا عن هذا الحادث ولا يتوجه إليه الذم واللوم أصلا ، بل المسؤول عنه إنما هو من ربط يده بالسيف ويتوجه إليه اللوم والذم ، وهذا واقع نظرية الجبر وحقيقتها .

الثاني : ما يصدر منه باختياره واستقلاله من دون حاجة إلى غيره أصلا وذلك كما اذا افترضنا أن المولى أعطى سيفاً قاطعاً بيد شخص حر وقد ملك

---

(١) المعد هو كل ما له مدخلية في تحقق المعلول ، فالمقتضي والشرط وعدم المانع ، وجزء المقتضي والشرط والرافع للمانع كلها تعدّ من المعدات لتحقق المعلول .

تنفيذ ارادته وتحريك يده، ففي مثل ذلك إذا صدر منه قتل في الخارج يستند إليه دون المعطي، وإن كان المعطي يعلم ان اعطاءه السيف ينتهي به الى القتل كما انه يستطيع أن يأخذ السيف منه متى شاء ... وهذا واقع نظرية التفويض وحقيقتها (١).

الثالث : ما يصدر منه باختياره وإعمال قدرته على رغم أنه فقير بذاته وبحاجة في كل آن إلى غيره بحيث لو انقطع منه مدد الغير في لحظة انقطع الفعل فيه حتما، وذلك كما إذا افترضنا أن للمولى عبداً مشلولا غير قادر على الحركة فربط المولى بجسمه تياراً كهربائياً ليبعث في عضلاته قوة ونشاطاً نحو العمل، وليصبح بذلك قادراً على تحريكها، وأخذ المولى رأس التيار الكهربائي بيده وهو الساعي لايصال القوة في كل آن إلى جسم عبده بحيث لو رفع اليد في آن عن السلك الكهربائي انقطعت القوة عن جسمه وأصبح عاجزا، وعلى هذا فلو أوصل المولى تلك القوة الى جسمه وذهب باختياره وقتل شخصاً والمولى يعلم بما فعله ففي مثل ذلك يستند الفعل إلى كل منهما، أما الى العبد فحيث أنه صار متمكناً من ايجاد الفعل وعدمه بعد أن أوصل المولى القوة إليه وأوجد القدرة في عضلاته وهو قد فعل باختياره واعمال قدرته، وأما الى المولى فحيث أنه كان معطي القوة والقدرة له حتى حل الفعل والاشتغال بالقتل، مع أنه متمكن من قطع القوة عنه في كل آن شاء واراد، وهذا هو واقع نظرية الامر بين الأمرين وحقيقتها (٢).

---

(١) وهو التفويض المعتزلي والنمط الاول منه.

(٢) محاضرات في أصول الفقه : ج ٨٧/٢.

روايات الأمر بين الأمرين :

وما أشار إليه قدس سره هو ما دلت عليه جملة من الاحـاديث الواردة عن أهل البيت عليهم أفضل الصلاة والسلام .

ففي الحديث الصحيح عن يونس بن عبدالرحمن عن غير واحـد عـن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام قـالا : « **إن الله أرحم بخلقه من أن يجبر خلقه على الذنوب ثم يعذبهم عليها ، والله أعز من أن يريد أمراً فلا يكون** » ، قال : فسئلا هل بين الجبر والتفويض منزلة ثالثة ؟ قالا : « **نعم أوسع مما بين السماء والارض** » [1] .

وفي صحيحة سليمان بن جعفر عن الرضا عليه السلام وقد ذكر عنده الجبر والتفويض ، فقال : « **ألا أعطيكم في هذا أصلا لا تختلفون فيه ، ولا تخاصمون عليه أحداً إلا كسرتموه ، قلنا : إن رأيت ذلك ، فقال : إن الله عز وجل لم يطع بإكراه ، ولم يعص بِغَلَبة ، ولم يهمل العباد في ملكه ، وهو المالك لما ملكهم ، والقادر لما أقدرهم عليه ، فـإن ائـتمر العـباد بطاعته ، لم يكن الله عنها صاداً ، ولا منها مانعاً ، وإن ائتمروا بمعصيته فشاء أن يحول بينهم وبين ذلك فعل ، وإن لم يحل وفعلوه فـليس هـو الذي أدخلهم فيه ، ثم قال عليه السلام : من يضبط حدود هذا الكلام فقد خصم من خالفه** » [2] .

وقال الامام علي الهادي عليه السلام ـ في حـديث طـويل ـ : « **وهـذا**

---

(١) الكافي : ١٥٩/١ .

(٢) التوحيد : ٣٦١ .

القول بين القولين ليس بجبر ولا تفويض وبذلك أخبر أمير المؤمنين صلوات الله عليه عباية بن ربعي الاسدي حين سأله عن الاستطاعة التى بها يقوم ويقعد ويفعل ، فقال له أمير المؤمنين : سألت عن الاستطاعة ، تملكها من دون الله أو مع الله ؟ فسكت عباية ، فقال له أمير المؤمنين : قل يا عباية ، قال : ما أقول ؟ قال عليه السلام : إن قلت إنك تملكها مع الله قتلتك ، وإن قلت تملكها من دون الله قتلتك ، قال عباية : فما أقول ياأمير المؤمنين ؟ قال عليه السلام تقول : إنك تملكها بالله الذي يملكها من دونك ، فإن يُملِّكها إياك كان ذلك من عطائه ، وإن يسلُبكها كان ذلك من بلائه ، هو المالك لما ملّكك ، والقادر لما عليه أقدرك » (١) .

وفي صحيحة البزنطي قال : قال أبو الحسن الرضا عليه السلام : « **قال الله : يا ابن آدم بمشيئتي كنت أنت الذي تشاء لنفسك ما تشاء وبقوتي أدّيت فرائضي وبنعمتي قويت على معصيتي جعلتك سميعاً بصيراً قوياً ، ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئةٍ فمن نفسك ، وذاك أني أولى بحسناتك منك وأنت أولى بسيئاتك مني وذاك انني لا أسال عمّا أفعل وهم يسألون » (٢) .**

وعن الوشاء عن أبي الحسن عليه السلام قال : سألته فقلت : الله فوض الأمر الى العباد ؟ قال : الله أعز من ذلك ، قلت : فجبرهم على المعاصي ؟ قال : الله أعدل وأحكم من ذلك ، قال : ثم قال : « **قال الله تعالى : يا ابن آدم**

---

(١) الاحتجاج : ٢٥٥/٢ ☼ البحار : ج ٧١/٥.

(٢) قرب الاسناد : ٣٤٧ ☼ الكافي : ١٥٢/١ ☼ التوحيد : ٣٣٨.

أنا اولى بحسناتك منك وأنت أولى بسيئاتك مني عملت المعاصي بقوتي التي جعلتها فيك » [١] .

وعن الامام الكاظم عليه السلام قال : « **القدرية ـ المفوضة ـ أرادوا أن يصفوا الله عز وجل بعدله ، فأخرجوه من قدرته وسلطانه** » [٢] .

وهذه الروايات وغيرها تفسير وبيان لجملة من الايات القرانية ، كقوله تعالى ﴿ **وماتشاؤون إلا أن يشاء الله** ﴾ [٣] ، وقوله ﴿ **ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله** ﴾ [٤] ، وقوله ﴿ **فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى** ﴾ [٥] ، وقوله ﴿ **قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلا ماشاء الله** ﴾ [٦] فإذا شاء الله فاني أملك لنفسي نفعاً وضراً ، وغيرها من الايات .

التفسير الفلسفي لنظرية الأمر بين الأمرين :

وللفلاسفة والحكماء الاسلاميين نمطين من التفسير لهذه النظرية التي هي أوسع مما بين الارض والسماء ، والتي لا يعرفها إلا العالم أو من علّمه العالم كما في الحديث عن المعصوم عليه السلام .

تفسير المدرسة المشائية :

وهو : أن الله خلق الانسان وهو خلق أفعاله ، وهو مايعبر عندهم

---

(١) الكافي : ١/١٥٧ .

(٢) فقه الرضا : ٣٤٩ * بحار الانوار : ٥/٥٤ .

(٣) الانسان : ٣٠ .

(٤) الكهف : ٢٤ .

(٥) الانفال : ١٧ .

(٦) الاعراف : ١٨٨ .

بالفاعلية الطولية بأن الله أفاض الوجود على الانسان والانسان أفاض الوجود على فعله .

وهو يحتوي على عدة مقدمات :

الاولى : أن الموجود ينقسم إلى متحقق بالذات ومتحقق بالغير ، والاول هو الله سبحانه وتعالى ، والثانيٰ هو ماسواه سواء كان جوهراً أم عرضاً ، ذاتاً أو صفة أو فعلا .

الثانية : أن الممكن ماهية ، وهي في حد ذاتها متساوية النسبة إلى الوجود والعدم ، لأنها في حد ذاتها مسلوبة عنها جميع الأوصاف المتقابلة ، ومنها الوجود والعدم ، ولتحققها في الخارج لابد من علة تخرجها عن حد الاستواء ، وهذه العلة أما إن يكون وجودها بالذات أو تنتهي إليه .

الثالثة : أن المعلول سواء كان ذاتاً أو صفةً أو فعلاً ، إضافةً إلى احتياجه للعلة حدوثاً وتحققاً ، كذلك هو بحاجة الى العلة استمراراً وبقاءاً .

فخلاصة ماذهب إليه المشاء : أنه ما من ممكن في عالم الوجود والتحقق إلا وهو مخلوق لله ، إما بالواسطة وإما بلا واسطة ، فأفعال الانسان الاختيارية مخلوقة لله بالواسطة ، بمعنى أن الله سبحانه وتعالى خلق علل تلك الافعال وهو الانسان وزوده بالقدرة والاختيار ، وهو خلق أفعاله ، وهذا مايسمى عندهم بالفاعلية الطولية ، بمعنى أن الله خلق الانسان وزوده بالقدرة والارادة والعلم ، والانسان خلق أفعاله ، فأفعاله معلولة له وهو معلول لله تعالىٰ حدوثا وبقاءاً ، وعلة علة الشي علة لذلك الشيء ، فأفعال الانسان لها نسبة لله ونسبة للانسان فهي أمر بين أمرين ، أما نسبتها للانسان فَلِأنه هو

الفاعل المباشر ، وأما نسبتها الى الله فلأنها معلولة للانسان والانسان وكمالاته وقدراته معلول لله تعالى حدوثا وبقاءاً ، ومن هنا قسّم المشاء الفاعل باعتبار قربه وبعده إلى قسمين ، فاعل قريب وبعيد .

وقد تسأل : ما هو الفرق اذن بين نظرية التفويض ـ على التفسير الاول ـ وماذهبت إليه المدرسة المشائية ، اذ القول بالفاعلية الطولية من أن الله تعالىٰ خلق الانسان ، وهو خلق أفعاله هو عين ماذهب إليه بعض المعتزلة القائلين بنظرية التفويض ، من أن الله سبحانه وتعالى خلق الانسان ، وأقدره على الحركة والاختيار وفوض إليه شئونه وأحواله ، وبإمكانه أن يحول بينه وبين ما اختاره ؟

والجواب : أن المدرسة المشائية ومن تبعهم من المتكلمين صرحوا بأن الفاعل المباشِر للفعل محتاج إلى الفاعل غير المباشر حدوثا واستدامة، بخلاف المعتزلة فإنهم ذهبوا إلى أن الممكنات تحتاج إلى الخالق حدوثا فقط لابقاءاً واستدامةً ، فالعلاقة بين الخالق والمخلوق كالعلاقة بين البَنّاء والبِناء ، كيف أن البِنَاء لا يحتاج الى البَنّاء إلا حدوثا كذلك عالم الامكان لا يحتاج إلى الخالق الا حدوثا .

وتوضيح ماذهب إليه المشاء : من أن جميع الممكنات سواء كانت ذاتا أو صفة أو فعلا هي بحاجة إلى الفيض والمدد الالهي لكي تتحقق في الخارج وعالم الوجود ، وكذلك هي أيضا بحاجة إلى المدد والفيض الالهي لكي تستمر في التحقق والوجود ، ومع انقطاع ذلك المدد ولو آناً ما فإن مصيرها العدم والبطلان ، فليست العلاقة بين الخالق والمخلوق وبين العلة

والمعلول هي كالعلاقة بين البنّاء والبِناء ، بل هي من قبيل العلاقة بين الانسان وصوره الذهنية ، ولله المثل الاعلىٰ .

ومن هنا يتفرع على أن علة علة الشيء ـ عند بعض أهل الاعتزال ـ ليس علة لذلك الشيء ، فإذا افترضنا أن (أ) علة لـ (ب) و (ب) علة لـ (ج) فإن (أ) ليس علة لـ (ج) اذ أن علة علة الشيء ليس علة للشيء على مذاقهم .

وتعرف أيضا أن الانسان أو النار علة تامة لفعل الانسان أو الحرارة عند بعض أهل الاعتزال ، وعلة ناقصة على مبنى المدرسة المشائية ، وقد تقدم عنهم أن الحول بين النار والحرارة معناه انسلاخ النار عن حقيقتها على القول بالتفويض ، بخلاف ما عليه المشاء فان النار تبقى على حقيقتها ولكن لاتعطي الحرارة لعدم تكامل أجزاء العلة [١] للحرارة .

فنظرية المشاء هي نفس النظرية التي تبنتها مدرسة المتكلمين ، من أن الله سبحانه وتعالى خلق الاشياء وأقدرها على أن تؤثر في الاشياء بإذنه ، فالماء مؤثر في رفع العطش ، والطعام مؤثر في رفع الجوع ، والنار مؤثرة في تحقق الحرارة والاحتراق ، والسُّم له دور تكويني وحقيقي في ايجاد الموت ، ولكن كل ذلك لا على نحو الاستقلال وإنما بتبع الاذن الالهي ، فالنار فيها اقتضاء الحرارة والاحراق والماء كذلك فيه اقتضاء رفع العطش ، ولكن كونه مقتضي لذلك لايكفي اذ لابد من عدم المانع فاذا لم يأذن الله فقد تحقق

---

(١) لا تقل أن الحرارة من اللوازم الذاتية للنار ، كما أن النطق من اللوازم الذاتية للانسان ، ولا يمكن التفكيك بين الشيء ولوازمه الذاتية ، فإنه يقال : كون ذلك لازما ذاتية لا ينفك عن الشيء هو أول الكلام ، نعم ـ كما حقق في محله ـ هو لازم مشهوري ، اذ لا يعرف حقائق الامور إلا هو تبارك وتعالى فراجع .

المانع ، واذا أذنَ فقد انتفى المانع .

وبتعبير آخر : النار تحرق ولكن ليس بذاتها وإنما بالله تعالىٰ ، والماء يرفع العطش ولكن ليس بذاته وإنما باقدار من الله تعالى وبأمر منه تعالى ، وكل ما نراه ونحسبه أنه علة ومعلول وسبب ومسبب ومقدمة ونتيجه ، فهناك علاقة واقعية حقيقة تكوينيّة لكن ـ كما قلنا مرارا ـ لا على نحو العلية التامة وإنما على نحو العلاقة بين أجزاء العلة الواحدة .

فلب المطلب عند هؤلاء : أن ما نحسبه أنه علة تامة هو مقتضي لا غير ، والمقتضي لا يؤثر في مقتضاه إلا بعد تحقق الشرط ورفع المانع ، فتحقق المقتضي والشرط فقط لا يحقق المطلوب بل لابد من رفع المانع وهو لا يتحقق إلا بالاذن والأمر الالهي .

الى هنا تبين أن المعتزلة تجعل الفاعل على نحو الحقيقة هو الانسان ، وتسلب الفعل عن الله عز وجل ، والمجبرة تجعل الفاعل هو الله وتسلب الفعل عن الانسان ، والمشاء والمتكلمون ينسبون الفعل على نحو الحقيقة إلى كلٍ من الله والانسان ، فالله هو فاعل الفعل وكذلك الانسان فكلاهما فاعلان ، لكن ليس في عرض واحد وإنما بشكل طولي ، من كون علة علة الشيء علة للشيء كما تقدم .

تفسير المدرسة الصدرانية :

أما مدرسة الحكمة المتعالية التي أسس عرشها صدر المتألهين الشيرازي ، فإنها ترى أنه لا مؤثر ولا فاعل في الوجود إلا الله تعالى ، ولا يوجد لدينا فاعل قريب وبعيد كما عند المشاء ، وكل ما نراه ونظنّه بانه فاعل

او علة تامة أو سبب ماهو إلا معد وواسطة لافاضة الاثر والفعل من الله عز وجل ، ولكونه معد وواسطة للافاضة صح نسبة الفعل والاثر إليه .

ومثل قدس سره وحشره مع الائمة الطاهرين عليهم السلام لتوضيح نظريته بمثال النفس فقال : إن اردت مثالاً تعلم به كيفية كون الافعال الصادرة عن العباد هي بعينها فعل الحقّ ، لا كما يقوله الجبري ولا كما يقوله القدري ولا كما يقوله الفلسفي ، فانظر إلى أفعال الحواس والقوى التي للنفس الناطقة التي خلقها الله مثالاً له تعالى ذاتاً وصفة وفعلاً ، لقوله عليه السلام « من عرف نفسه فقد عرف ربه » فإن التحقيق عند النظر العميق أن فعل كل حاسة وقوة ـ من حيث هو فعل تلك القوة ـ فعل النفس .

فالابصار مثلا فعل البصر ، وهو بعينه فعل النفس بلا شك ، لا كما اشتهر في الحكمة الرسمية أن النفس تستخدم القوة كمن يستخدم كاتباً أو ناقشاً ، والفرق بأن الاستخدام هٰهنا طبيعي ، وهناك غير طبيعي ، بل كما حقق في مقامه من أن النفس بعينها تكون عيناً باصرة واذناً سامعةً ، وكذا تكون قوة باطشة في اليد ، وقوة ماشية في الرجل ، فبها تبصر العين الباصرة ، وبها تسمع الاذن السامعة ، وبها تبطش اليد الباطشة ، وبها تمشي الرجل الماشية .

فالنفس مع تجردها وتنزهها عن البدن وقواه لا يخلو منها جزء من أجزاء البدن عالياً كان أو سافلا ، ولا تقومها قوة من القوى بمعنى أن لا هوية للقوى غير هوية النفس ، لان النفس هوية أحدية عقلية ، جامعة لهويات سائر القوى والاجزاء ، تستهلك عندها وتضمحل لديها هوّيات سائر القوى والاجزاء ، لأنها محيطة بها قاهرة عليها ، منها مبدؤها وإليها منتهاها ، كما أن

النفس من الله مشرقها وإلى الله مغربها ، وكذا جميع الاشياء منه تبتدىء وإليه تعود وتصير ، فالنفس ـ وهي القلب المعنوي ـ أمير الحواس والجوارح ، فلا يكون من الجارحة فعل إلا بارادة النفس ، ولولا ارادة النفس كانت الجارحة جماداً لا حركة فيها .

ثم ارادة النفس كوجودها لاتنشأ من ذاتها ، وإنما تنشأ من ارادة الله تعالى التي هي عين ذاته ، وإنما الله يخلق فيها ارادة ومشيّة ﴿ **وما تشاؤون إلا أن يشاء الله** ﴾ [١] فكما ينشأ من النفس في الباصرة شعاع تدرك به الالون والاضواء ، وفى السامعة قوة تدرك بها الاصوات ، فكذلك يخلق الله تعالى في النفس ارادة وعلماً تدرك وتتصرف في الامور .

وعند هذا التحقيق ينكشف سر قوله تعالى ﴿ **وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى** ﴾ [٢] فسلب الرمي منه صلى الله عليه واله من حيث أثبت له ، وكذا قوله تعالى ﴿ **قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم** ﴾ [٣] فنسب القتل إليهم والتعذيب الى الله تعالى بأيديهم ، والتعذيب هناك عين القتل [٤] .

قال : إن الاعتقاد في أفاعيل العباد مفاد قوله تعالى ﴿ **ومارميت اذ رميت ولكن الله رمى** ﴾ [٥] ، وقوله ﴿ **وماتشاؤن الاَّ ان يشاء الله** ﴾ [٦] فاخمدْ

---

(١) الانسان : ٣٠ .

(٢) الانفال : ١٧ .

(٣) التوبة : ١٤ .

(٤) رسالة خلق الاعمال : ٢٧٧ ، ضمن مجموعة من الرسائل .

(٥) الانفال : ١٧ .

(٦) الانسان : ٣٠ .

ضرام أوهامك ايُّهاالجبري ، فالفعل ثابت لك بمباشرتك اياه وقيامه بك ، وسكّنْ جاشك أيها القدري [١] ، فان الفعل مسلوب منك من حيث أنت ، أنت وجودك إذا قُطع النظر عن ارتباطه بوجود الحق فهو باطل ، فكذا فعلك إذ كل فعل متقوم بوجود فاعله ، وانظرا جميعا بعين الأعتبار في أفعال الحواس كيف انمحت وانطوت في فعل النفس وتصورها في تصور النفس واتلوا جميعاً قوله تعالى ﴿ **قاتلوهم يعذّبهم الله بأيديكم** ﴾ [٢] ، وتصالحا بقول الامام الحق عليه السلام « **لا جبر ولاتفويض وإنما امرٌ بين امرين** » [٣] .

قال : فلا ذرة من ذرّات الاكوان الوجودية إلا ونور الانوار محيط بها وقاهر عليها ﴿ **وهو قائم على كل نفس بما كسبت** ﴾ [٤] ، فكما أنه ليس شأن إلا شأنه فكذلك ليس فعل إلا وهو فعله ، ولا حكم إلا لله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، يعني كل حول حوله ، وكل قوة قوته مع علوّه وعظمته، فهو مع علوه وعظمته ينزل منازل الاشياء ، ويفعل فعلها ، كما أنه مع غاية تجرده وتقدسه عن جميع الاكوان لا يخلو منه أرض ولا سماء ، وكما قال إمام الموحدين علي عليه السلاِم « مع كل شيء لا بمقارنة ، وغير كل شيء لا بمزايلة » فاذا تحقق هذا المقام ظهر أن نسبة الفعل والايجاد إلى

---

(١) اي أيها القائل بالتفويض ، اذ القدرية في احاديث العترة الطاهرة عليهم افضل الصلاة والسلام تطلق على الجبرية والمفوضة .

(٢) التوبة : ١٤ .

(٣) الشواهد الربوبية : ٥٨ .

(٤) الرعد : ٣٣ .

العبد صحيح [١].

إفتراق الحكمة المتعالية عن المشاء :

فموضع اختلاف المدرسة المشائية عن ملا صدرا ، أن المشاء يرى بأن الله علة بعيدة طولية لأفعال الانسان ، أما ملا صدرا فإنه ينفي هذه الطولية ، ويقول كما أن الله سبحانه وتعالى علة قريبة للصادر والمخلوق الاول كذلك هو علة قريبة للصادر والمخلوق الاخير ، فعلى قول المشاء الله أفاض الوجود على الانسان والانسان أفاض الوجود على فعله ، أما على رأي الملا صدرا فليست الافاضة في كلا الفرضين إلا من الله عز وجل إذ لا مفيض للوجود ذاتا وصفة وفعلا إلا هو ، وماعداه ليس إلا وسائط ومعدات للافاضة.

ودليله على ذلك : أن سائر الممكنات فقيرة ، وهي عين الربط والحاجة والافتقار إلى الله تعالى ، والفقير لا يمكن أن يعطى شيئا وكيف يعطي ما ليس بواجد له ، وإذا رأينا أن هناك ممكن تصدر عنه أفعالا وآثارا معينة فليس هو المفيض لها بل هو واسطة لفيضها وتحققها عن الله عز وجل .

وسر ذلك كله أن موجودية الحق تعالىٰ عند صدر المتألهين هي موجودية بالذات ، وموجودية ما سواه هي موجودية بالعرض لا بالتبع ، بمعنى أن كل ما سواه وإن اتصف بالوجود حقيقة لكن واقع الوجود مسلوب عنه حقيقة ، ومعلوم أن إفاضة الأشياء لا تكون إلا بالوجود ، فحينئذ استنتج الأصل القائل : أن لا مؤثر في الوجود حقيقة إلا الله تعالى ، وجعل كل ما سواه معدات ليس إلا .

---

(١) المصدر السابق : ٢٧٥.

ولتوضيح نظريته نقول : قولنا « كتبت بالقلم » فيمكن نسبة الكتابة في هذه القضية الى الضمير البارز وهو «تاء الفاعل» وإلى القلم ، وهـذه النسـبة ليست طولية بمعنى أن الفاعل المباشر للكتابة هو القلم والفاعل البعيد هـو الضمير البارز ، بل كلاهما في عرض واحد [١] فالكاتب هو الضمير البـارز والقلم ، بمعنى ان كلاهما له أثر في تحقق الكتابة ، ولكن لو دققنا لرأينا أن الفاعل للكتابة حقيقة ليس هو القلم وإنما هو الضمير البارز ، نعم القلم ما هو إلا واسطة لتحقق الكتابة ، ولكونه واسطة صح نسبة الكتابة إليه ، كـما صـح نسبة النظر والشم والسمع والذوق إلى العين والانف والاذن واللسان ، مع أن هذه الحواس ماهي إلا وسائط لافعال النفس وهي التي فعلت هذه الافاعيل حقيقة .

كذلك عالم الامكان بما فيه من ذوات وصفات وأفعال كلها مخلوقة لله تعالى وكلها مفاضة من الله تعالى ، فلا فاعل ولا مفيض إلا هو لا غير ، ولكن بعض الاشياء صدرت منه تعالى بلا وساطة شيء أصلا وبـعضها صـدرت بالواسطة ، وليس الواسطة هنا لعجز فيه تعالى وإنما ـ كما قلنا مرارا ـ لعجز القابل وقصوره ، اذ لا يمكن ويستحيل أن ينسب العجز في الفعل الالهي الى الفاعل وانما منشأ الواسطة ـ التـي نسـميها مـجرى الفـيض ـ عـجز القـابل

---

(١) كعرضية فتحُ القفل ، فحركة المفتاح هيَ في عرض حركة اليد بلا تقدم لأحدهما ، فينسب الفتح الى المفتاح والى اليد أيضاً ، وكذا الى النفس في عرض واحد حقيقة وبلا مجاز ، فليس نسبة الفتح إلى اليد أو المفتاح كنسبة الجريان إلى الميزاب كما في قولنا « جرى الميزاب » فهنا مجاز في الإسناد لكون الميزاب لا يجري ، ولكن لوجود العلاقة بينه وبين الماء أسند الجريان إلى الميزاب ، والفاعل الحقيقي الخارجي المؤثر للفتح في مـثالنا هـو النـفس واليـد والمـفتاح وسـائط للـفتح ، ولكونها وسائط صح نسبة الفعل إليها بلا تجوز ومجاز في الإسناد .

وضعفه .

فالله سبحانه وتعالى فاعل الكل ، لكن فعله قد يكون بواسطة وقد لا يكون ، وفعل النفس على غرار الفعل الالهي لأنها ظل الله في أرضه ، مع فارق واحد ، وهو أن مجاري الفيض التي تتوسل النفس بها قد يكون لعجز فيها وقد يكون لعجز القوابل ، أما مجاري الفيض الالهي فلا يكون العجز إلا في القوابل لضعفها عن تحمل الفيض مباشرة من الله عز وجل .

ومنه يتضح أن النار والماء والطعام بالنسبة للحرارة ورفع العطش والجوع ليس بمقتضيات كما هو مبنى المشاء ، بل هي معدات وشرائط إذ نسبة الفعل إلى المقتضي حقيقية .

شبهة الجبر :

إن قلت : أن ما مثّل به صدر المتألهين من كون العلاقة بين الله سبحانه وتعالى والانسان وفعله كالعلاقة بين النفس والجوارح والعمل الصادر منها ، يلزم منه الجبر وعدم الاختيار ، اذ صدور الفعل من الجوارح بأمر من النفس أمر قهري لا مجال للجوارح في أن تتخلف عنه ، وكذا مثال « كتبت بالقلم » فإن صدور الكتابة من القلم قهري ولا أرادة واختيار للقلم ، فكيف يمكن تصحيح العلاقة بين الفعل والذات بحيث لا يلزم منه الجبر ، وكيف يمكن التفريق بين نظرية صدر المتألهين وما ذهب اليه المجبرة من الاشاعرة ، إذ هم يقولون أيضا بان الفعل فعل الله تعالى ومحله الانسان ، ولولا الانسان لما كان هناك فيض لهذا الفعل من الله سبحانه وتعالى .

أقسام الوسائط :

والجواب : أن الواسطة في الفيض على قسمين : غير اختيارية ، واختيارية .

والاولى تنقسم إلى طبعيّة وقسرية وجبرية وتسخيرية .

والطبعيّة هي الواسطة التي لا علم لها بالفعل المفاض بواسطتها مع كون الفعل ملائماً لطبعها ، كتحقق الكتابة بواسطة القلم ، فالقلم لا علم له بهذا الفعل مع كونه ملائما لمقتضى طبعه ، وكتحقق الحرارة والاحراق بواسطة النار ، فالنار لا علم لها بهذا الفعل المتحقق بواسطتها لكن مقتضى النار ملائماً لهذا الفعل .

والقسرية هي تلك الواسطة التي لا علم لها بالفعل كالطبعيّة مع كون الفعل خلافا لمقتضي طبعها .

والجبرية هي تلك الواسطة التي لها علم بالفعل المفاض من خلالها لكن صدور وفيض ذلك الفعل بلا إرادة منها .

والواسطة الاختيارية أيضا تنقسم الى أقسام وليس المقام محل تعدادها فلتطلب من مظانها ، ومن مصاديق هذه الوساطة الانسان والملائكة والجان ، فتوسطها لاي فعل وأثر وفيض إلهي ليس بالجبر والعنوة وإنما بالاختيار والارادة ، هكذا أراد الله سبحانه وتعالى ولم يرد أن تكون هذه المخلوقات مجاري لفيضه بالجبر والتسخير والقسر .

صحيح أنه لا فاعل على نحو الحقيقة الا الله سبحانه وتعالى ، ولكن هذا لايلازم عدم صحة نسبة الفعل للوسائط الاختيارية وكذا غير الاختيارية ، كما

لا يلازم أيضا ان تكون الواسطة مجبرة على وساطتها للفيض .

ففي عالم التشريعات مثلا أذن الولي شرط في تحقق النكاح شرعاً ، وهو بالخيار بين القبول والرد ، فإذا أذن إعتبر الشارع تحقق النكاح وإذا لم يأذن لم يعتبر الشارع ، فاعتبار الشارع بتحقق النكاح وعدمه رهن إذن الولي وعدمه ، فاذا اذن وأقر الشارع النكاح فكونه واسطة لتحقق العقد لا يلازم أن إذنه بالنكاح باجبار ، فمع أنه ليس هو الذي أوجد النكاح الشرعي لكن هذا الايجاد والتحقق للنكاح متوقف عليه وهو بالخيار إن شاء أذن وإن شاء لم يأذن .

كذلك الافعال التي يكون الانسان واسطة لفيضها مع كونه واسطة وشرطاً ومعداً لتحقق هذه الافعال لكنه ليس مجبراً على وساطته لتلك الافعال ، بل هو بالخيار بين الوساطة وعدمها ، وبين اختياره لأن يكون واسطة للظلم او واسطة للعدل .

فالانسان مخير بين أن يكون كافراً أو شكوراً ، وهذا التخيير لا مناص منه وليس له نصيب في رفضه أو رفعه ، فالانسان في حركة دائمة وهذه الحركة قسرية لا اختيار له فيها ، نعم نوعية هذه الحركة باختياره فبامكانه أن يختار تلك الحركة التي تلازم العدل والاحسان ، وبامكانه أن يختار تلك الحركة التي تلازم الظلم والتعسف ، وقس على ذلك .

فالانسان في هذه الدنيا كشخص في عربة وهناك من يدفع هذه العربة إلى الامام وليس له الخيار في إيقاف حركة هذه العربة ـ ظاهراً ـ وإنما له الخيار فقط في ان يذهب يميناً أو شمالا ، فان اختار اليمين فهو من أصحاب

اليمين وان اختار الشمال فهو من اصحاب الشمال [١] ﴿ **وأصحاب اليمن مآ أصحاب اليمن في سدرٍ مخضود وطلح منضود وظل ممدود وماء مسكوب ... وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال في سموم وحميم وظل من يحموم لابارد ولاكريم** ﴾ [٢] ، وقال تعالى ﴿ **انا هديناه النجدين** ﴾ [٣] ، قال صادق أهل البيت عليهم السلام : « **نجد الخير والشر** » [٤] .

فلا جبر ولا تفويض وإنما أمر بين أمرين ، وليس المراد به تركّب فعل العبد بين الجبر والاختيار ، ولا معناه أن فعله خالٍ عن الجبر والاختيار ، ولا أيضاً أن العبد له اختيار ناقص وجبر ناقص ، ولا أنه اختيار من جهة واضطرار من جهة اخرى ، ولا أنه مضطر في صورة الاختيار ، بل المراد أنه مختار من حيث هو مجبور ، ومجبور من حيث أنه مختار ، بمعنى أن اختياره بعينه اضطرار وحاجته وفقره ، فيكون كل فعل صدر منه مضطر في صورة مختار ، هكذا أفاد صدر متألهة الاسلام الشيرازي عليه الرحمة والغفران .

خلاصة النظريات :

فتكون خلاصة المذاهب هكذا :

أما الاشاعرة : فانهم أنكروا أن تكون هناك علاقة بين الانسان وفعله وبين الاسباب الطبيعة ومسبباتها ، فلا علاقة بين النار والحرارة والاحراق

---

(١) والمثال غير دقيق ، فلا تغفل .

(٢) الواقعة : ٢٧ .

(٣) البلد : ١٠ .

(٤) الكافي : ١٦٣/١ .

لاعلى نحو المقتضي أو الشرط أو عدم المانع ، فليس النار مقتضي للحرارة وليست ايضا شرطاً لها وليست كذلك عدم مانع لتحققها .

وأما المفوّضة : بقسميها أثبتوا أنه ثمة علاقة بين الانسان وفعله ، وبين النار والحرارة ، وهذه العلاقة لايمكن بأي حال من الاحوال ان تنسب الى خالق الانسان والنار ، كما أنه لا يمكن الانفكاك بين النار والحرارة ، فالنار علة تامة للحرارة .

وأما القائلين بالأمر بين الأمرين فهم على قسمين .

الاول : المشاء والمتكلمون القائلون بأن علاقة الانسان وفعله وعلاقة الاسباب والمسببات والمقدمات والنتائج علاقة المقتضي مع مقتضاه ، فليس الانسان علة تامة للفعل بل هو مقتضي له ، وليست النار علة تامة للحرارة والاحراق بل هي على نحو المقتضي لذلك ، فلابد من توفر الشرط ورفع المانع حتى يتحقق فعل الانسان ويتحقق الاحراق والحرارة .

والثاني : مدرسة الحكمة المتعالية القائلة بأنه لا مؤثر في الوجود إلا الله تعالى ، فعلاقة الانسان مع فعله علاقة اختيارية متجسدة في كون الانسان شرطاً ومعداً لتحقق الفعل ، فليس هو مقتضي لتحقق الفعل حتى ينسب له الفعل على نحو الحقيقة .

وتوضيح ذلك : مقتضى التوحيد الأفعالي : أنه لا مؤثر في الوجود إلا الله تعالى ، فيكون الفاعل لجميع الافعال الصادرة من المخلوقات هو الله حقيقة .

وبمقتضى كون الانسان مختار في فعله ؛ لأنه عبارة عن موجود خلق

بقيد كونه مختاراً ، فالفعل الصادر عنه لابد أن يكون مستنداً إليه ، وحينئذ يكون الفاعل لفعله هو الانسان حقيقة .

وإذا كان الأمر كذلك فالفعل منسوبا للانسان على نحو الحقيقة وهذا يتنافى مع التوحيد الافعالي الذي عرفت معناه ، ولا يمكن التنازل عن كلا الأمرين حيث أن كليهما مقطوع به بحسب الدليل فلا محيص من التفصي ، فهل فاعلية الله في طول فاعلية العبد ، أم في عرضه قولان ، لا ثالث لهما .

ذهب الاشاعرة إلى بطلان فاعلية العبد فالتزمت بالجبر ، وذهبت المعتزلة الى بطلان فاعلية الله فالتزمت بالتفويض .

أما الامامية المتكلمين والمنتهجين منهج المشاء فذهبوا إلى حصر القول في هذه المسألة في صورتين مع الالتزام بكون فاعلية الله حقيقة وكذا العبد ، وحينئذ قالوا بأن الأمر في المقام لا يخلو من أحد حالتين : إما أن تكون فاعلية الله في عرْض فاعلية العبد ، أو في طولها ، وحيث أن الصورة الاولى لا يمكن الالتزام بها لا ستلزامها الشرك في الخالقية ، وبطلان التوحيد الافعالي الذي قام الدليل على صحته بالمعنى المتقدم وهو كون أفعال المخلوقات كلها مستندة بالاصالة والاستقلال إلى الله تعالى ، فاضطروا إلى قبول الصورة الثانية ، وهي كون فاعلية الله في طول فاعلية العبد كما ذهب إلى ذلك سيد الفقهاء الخوئي قدس سره ـ ظاهراً ـ فى مباحث الالفاظ .

إلا أن ملا صدرا قدس سره لم يقبل الفاعلية الطولية ، لان الالتزام بها يلازمه محذور فاسد وهو تحديد قدرة الله تعالى ، مع أن الدليل قام على إن

قدرته لا متناهية [١] ، فاختار وجها آخر غير الصورتين المتقدمتين ، ليوجه الأمر في ذلك ، وهذا التوجيه الذي ذهب اليه هو المعبر عنه فيالابحاث الكلامية نظرية الأمر بين الأمرين .

وملخص ماأفاده المتربع على كرسي البرهان والمستظل بظل روضة العرفان صدر المتألهين الشيرازي قدس سره : هو أننا نلتزم بأن فاعلية العبد بالنسبة إلى فاعلية الله طولية ولكن هذه الطولية ليس بالمعنى المتقدم ، الذي يلزم منه تحديد قدرة الحق تعالى كما في طولية الاب والابن في عالم التكوين ، بل بمعنى نفي العرضية وحينئذ تكون قدرة الله سارية ونافذة في العبد وهذا هو المعبر عنه سريان الوجود في عالم الامكان ، وهذا المطلب وإن قصر عن بيانه كل من اللسان الفلسفي المتعارف ، إلا إن لسان العارف والحكيم المتأله هو القادر على تذوقه فقط ، ومثل له بمثال الوردة والجيفة ، فانك لو أمررت عليهما ريح واحدة ثم استقبلت تلك الريح من الطرف الاخر فمع أن الريح واحدة ولكن ترى هناك لونين من الرائحة تصل إليك ، أحدها رائحة كريهة والاخرى رائحة طيبة ، فلو تأملت في ذلك لوجدت بأن الريح مع أنها واحدة وسارية في كلا الوجودين ولكن لم تعط في النهاية شيئا واحد بل أعطت أمران متغايران ولو سألت عن سبب ذلك الاعطاء لقيل لك بأن

---

(١) ومثال سيد الفقهاء الخوئي قدس سره « العبد المشلول والكهرباء » قد يتناغم مع ما ذهب إليه ملا صدرا ، فلا فرق جوهري بين مثال ملا صدرا « النفس وقواها » وبين مثال سيد الفقهاء قدس سره ، فالنفس والكهرباء سارية في البدن والاجهزة والاسلاك كسريان الوجود في عالم الامكان ، فهما داخلان في البدن والاجهزة لا بالممازجة ، وخارجان عنهما لا بالمزايلة ، وهذا هو معنى القيمومية ، نعم يمكن ايجاد الفرق من ناحية أخرى أن الكهرباء لا توصف حقيقة بفعل العبد المشلول بخلاف النفس الناطقة الانسانية وقواها فإنها توصف بالفعل الصادر من العبد حقيقة .

السبب في ذلك منحصر في قابلية القابل . وهذا خلاصة نظرية الأمر بين الأمرين التي أعطيت من قبل الائمة عليهم السلام .

معنى الشرط عند ملا صدرا :

وعليه ففعل الانسان في الحكمة المتعالية ما هو إلا شرط معد لتحقق المعلول ، والشرط ـ كما أشرنا له سابقا ـ تارة يكون شرطاً لفاعلية الفاعل وأخرى شرطاً لقابلية القابل ، والمقصود بالشرط هنا هو الثاني فلا تغفل ، ومنه تعرف الفرق بين هذا القول وما ذهب اليه الحشوية والاشاعرة القائلين بعدم الصلة والعلاقة مطلقا .

كما يمكن أن يكون مقصود صدر المتألهين بالشرط هنا عدم المانع إذ من المعدات لتحقق المعلول رفع المانع ، فمنطقة اختيار الانسان هو رفع المانع أو إيجاده ، فان رفع المانع أفاض الله عليه الفعل المعين وإن أوجد المانع أفاض الله عليه فعلا مضاد للفعل السابق ، فنسبة الفعل له تكون من هذه الجهة والثواب والعقاب مترتب على رفع المانع أو وضعه أزاء الاعمال الحسنة والقبيحة .

فقد يرفع الانسان المانع من إفاضة الكمال فيفاض عليه الكمال ، وقد يرفع المانع عن تحقق النقص والشر والعدم ، فيزداد بعداً عن مولى الموالى ، إذ الشرور والأثام كلها أمور عدمية ، ورفع المانع من تحققها لا يعني إن الله هو المفيض لها وهو الذي خلقها إذ لاشيئية للعدم والنقص والشر حتى يقال أنها مفاضة أو غير مفاض من الله تعالى ، وإنما لها حظ من الوجود بلحاظ ابتعاد الانسان عن الكمال المطلق اللامتناهي وهو الله عز وجل ، وكلما قرب

من الكمال المطلق إزداد حسناً وبهاءا وشدة وجودية .

ولذا نجد بأن الانبياء والائمة والاولياء كلما ارتقوا درجات كمالية في طريقهم الى المبدأ الأعلى استغفروا الله على ماكانوا عليه ، مع أنه لو قسنا أنفسنا وتلك الدرجات التي استغفر عليها الانبياء والائمة لكان الفرق مما لا يمكن وصفه ، والوجه في استغفارهم وتضرعهم أن ماكانوا عليه بالنسبة إلى ما وصلوا إليه كالنسبة بين الظل والحرور والنور والظلمة .

قلت : وبما أن « رفع المانع » فعل من أفعال الانسان ، فهل هو على نحو الجبر أو التفويض أو الأمر بين الأمرين ، لا محيص من الالتجاء بمثال السيد الخوئي قدس سره ، وهو الذي تشهد له الروايات بشكل صريح .

ففي صحيحة سليمان بن جعفر عن الرضا عليه السلام وقد ذكر عنده الجبر والتفويض ، فقال : ألا أعطيكم في هذا أصلا لا تختلفون فيه ، ولا تخاصمون عليه أحداً إلا كسرتموه ، قلنا : إن رأيت ذلك ، فقال : إن الله عز وجل لم يطع بإكراه ، ولم يعص بِغَلَبة ، ولم يهمل العباد في ملكه ، وهو المالك لما ملكهم ، والقادر لما أقدرهم عليه ، فإن ائتمر العباد بطاعته ، لم يكن الله عنها صاداً ، ولا منها مانعاً ، وإن ائتمروا بمعصيته فشاء أن يحول بينهم وبين ذلك فعل ، وإن لم يحل وفعلوه فليس هو الذي أدخلهم فيه ، ثم قال عليه السلام : من يضبط حدود هذا الكلام فقد خصم من خالفه [(١)] .

وقال الامام علي الهادي عليه السلام ـ في حديث طويل ـ : وهذا القول بين القولين ليس بجبر ولا تفويض وبذلك أخبر أمير المؤمنين صلوات الله

---

(١) التوحيد : ٣٦٠.

عليه عباية بن ربعي الاسدي حين سأله عن الاستطاعة التى بها يقوم ويقعد ويفعل ، فقال له أمير المؤمنين : سألت عن الاستطاعة ، تملكها من دون الله أو مع الله ؟ فسكت عباية ، فقال له أمير المؤمنين : قل يا عباية ، قال : ما أقول ؟ قال عليه السلام : إن قلت إنك تملكها مع الله قتلتك ، وإن قلت تملكها من دون الله قتلتك ، قال عباية : فما أقول ياأمير المؤمنين ؟ قال عليه السلام تقول : إنك تملكها بالله الذي يملكها من دونك ، فإن يُملِّكها إياك كان ذلك من عطائه ، وإن يسلُبكها كان ذلك من بلائه ، هو المالك لما ملّكك ، والقادر لما عليه أقدرك [١] .

فقوله عليه السلام « المالك لما ملكهم » ينسجم بشكل واضح وجلي مع مثال المشلول والكهرباء الذي مثله سيد الفقهاء قدس سره ، ولا ينسجم مع كون الانسان ما هو إلا معد وشرط لفيض الفعل ، فتدبر .

شبهة علم الله :

وما ذهب إليه الاشعري من الجبر لعلم الله الازلي بأفعال العباد وآثار الاسباب والعلل ، فما عَلِمَ الله عدمه من أفعال العباد فهو ممتنع الصدور ، وما علم من صدوره فهو واجب الصدور عن العبد فلا مخرج عنهما فلا اختيار لعدم قدرة العبد على الواجب والممتنع .

فيردّه أن علم الله تابع وليس بمتبوع ، بمعنى أن علمه تعلق بصدور فعل الانسان الاختياري منه بقيد الاختيار لا الجبر ، فلو صدر الفعل من الانسان جبراً لتخلف علمه عن الواقع وهو ما يريد الاشعري نفيه .

---

(١) البحار : ج٧١/٥.

فبما أن الانسان شرط لوجود الفعل وإفاضته من الله تعالى ، فالفعل مشروط وهو عدم عند عدم شرطه ، والله سبحانه وتعالى يمكن أن يخلق الفعل بلا توسط الشرط والمحل وهو الانسان ، ولكن تعلقت إرادته وعلمه الازلي إن لا يوجد الفعل الا بعد تحقق هذا الشرط والمحل المتجسد فيه إختيار الانسان ، والى هذا اشارة مجموعة من الروايات الواردة عن أهل البيت عليهم افضل الصلاة والسلام .

ففي صحيحة ابراهيم بن عمر عنه عليه السلام قال : إن الله خلق الخلق فعلم ما هو صائرون إليه وأمرهم ونهاهم فما أمرهم به من شيء فقد جعل لهم السبيل الى تركه ولا يكونون آخذين ولاتاركين إلا باذن الله تعالى (١) .

وفي الصحيح إلى علي بن الحكم وعبدالله بن زيد جميعاً عن رجل من أهل البصرة قال سألت أبا عبدالله عليه السلام عن الاستطاعة ؟ فقال أبو عبدالله عليه السلام : أتستطيع أن تعمل ما لم يكوَّن ؟ قال : لا ، قال : فتستطيع أن تنهي عما قد كوّن ؟ قال : لا ، قال : فقال له أبو عبدالله عليه السلام : فمتى أنت مستطيع ؟ قال : لا أدري ، فقال له أبو عبدالله عليه السلام : إن الله خلق خلقاً فجعل فيهم آلة الاستطاعة ثم لم يفوض إليهم ، فهم مستطيعون للفعل وقت الفعل مع الفعل إذا فعلوا ذلك الفعل ، فاذا لم يفعلوه في ملكه لم يكونوا مستطيعين أن يفعلوا فعلا لم يفعلوه ، لان الله عز وجل أعز من أن يضاده في ملكه أحد ، قال البصري : فالناس مجبورون ؟ قال : لو كانوا مجبورين كانوا معذورين ، قال : ففوض اليهم قال : لا ، قال فما هم ؟

---

(١) الكافي : ١٥٨/١ * التوحيد : ٢٤٩ .

قال : علم منهم فعلا فجعل فيهم آلة الفعل فاذا فعلوا كانوا مع الفعل مستطيعين ، قال البصري : أشهد أنه الحق وأنكم أهل بيت النبوة والرسالة [(١)] .

وفي الصحيح إلى ابن الحكم عن صالح النيلي قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام -إلى أن قال - ان الله لم يجبر أحداً على معصيته ولا أراد ارادة حتم الكفر من أحد ولكن حين كفر كان في ارادة الله وفي علمه أن لايصيروا الى شيء من الخير ، قلت : أراد منهم أن يكفروا ؟ قال : ليس هكذا أقول ولكنّي أقول : علم أنهم سيكفرون فأراد الكفر لعلمه فيهم وليست هي إرادة حتم إنما هي ارادة اختيار [(٢)] .

رد الاشعري :

وأما ما أنكره الاشعري من إنكار السببية و العلية في نظام الكون والايمان بالجزاف في الارادة الالهية ، فهو قول سخيف جداً وتردّه الايات الكثيرة المبيّنة سببية بعض الاشياء لبعض المشار إليه في القران ﴿ **إنّا مكنا له في الارض وآتيناه من كل شيء سببا * ثم أتبع سببا** ﴾ [(٣)] ، وقوله ﴿ **وفي الارض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد** ﴾ [(٤)] ، فقوله ﴿ **يسقى بماء واحد** ﴾ كاشف عن أن للماء دور تكويني في انبات الاشجار ونمو النباتات ، أما ماهو حقيقة هذا

---

(١) الكافي : ١٦١/١ .

(٢) الكافي : ١٦٢/١ .

(٣) الكهف : ٨٥ ، ٩٢ .

(٤) الرعد : ٤ .

الدور هل هو مقتضي او شرط او رفع مانع فتلك مسألة أخرى .

وأما قوله تعالى ﴿ **وإذا مرضت فهو يشفين** ﴾ [١] لا يدل على نفي الوسائط والاسباب والعلل المتوسطة ، إذ في آية أخرى قال ﴿ **وننزل من القران ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين** ﴾ [٢] ، وفي ثالثة قال ﴿ **يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس** ﴾ [٣] وغيرها من الايات الدالة بوضوح ان للاسباب والمعدات دور تكويني واقعي ، وهو المقصود منه بالسنة في قوله تعالى ﴿ **ولن تجد لسنة الله تبديلا** ﴾ [٤] فسنة الله قائمة على اساس متين محكم رصين لا على أساس الجزاف .

خلاصة المقام :

من كلِّ ما تقدم تعرف : أن الوسطية هنا لا تستلزم التفويض الممتنع والمستحيل على الله تعالى ، كما أنها لا تستلزم العجز ـ والعياذ بالله ـ وأن الله يستعين بهذه الأسماء لتدبير شأن مملكته ، بل هذه الوسطية محكومة بنظام « الأمر بين الامرين » فالتدبير فعل الله حقيقة وفعل تلك المدبرات كذلك ، ونسبة الفعل إلى فاعلين ليس فيه أي محذور [٥] ، كما أن النسبة هنا

---

(١) الشعراء : ٨٠.

(٢) الاسراء : ٨٢.

(٣) النحل : ٧٠، أي من بطون النحل المشار .

(٤) فاطر : ٤٣.

(٥) خاصة إذا كان النسبة بين الفاعلين على نحو الاحاطية والمحيطية ، المعبر عنها في لسان أصحاب الحكمة المتعالية بالطولية ، وهي غير الطولية التي يريدها المتكلمون ، حيث أن الطولية عندهم بمعنى الاثنينية في الوجود ، وعند أصحاب الحكمة المتعالية الطولية بمعنى الواحدية ـ أي التشكيك الخاصي ـ في الوجود ، كما تقدم ذكره .

ليست مجازية كنسبة الجريان إلى الميزاب في قولنا «جرى الميزاب» بل هي نسبة حقيقية ، وكونها كذلك لا يعني أنها خارجة عن الحيطة الالهية .

فالفعل له نسبتان نسبة إلى الوجود المستقل الذي هو بذاته لذاته ، ونسبة إلى الوجود الذي بغيره لغيره ، المشار إليه في قوله تعالى ﴿ **ومارميت اذ رميت ولكن الله رمى** ﴾ (١) ، وقوله ﴿ **فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم** ﴾ (٢) ، فإن علياً عليه السلام واقعاً وحقيقة قتل عمرو بن عبد ود ، والله أيضا واقعاً وحقيقة قتل عمرو بن عبد ود ولا تنافي بين نسبة القتل إلى فاعلين ، كما في نسبة الضرب الى اليد والنفس في قولنا « ضربتُ » ، مع فارق أن اليد لا خيار لها بخلاف علي عليه السلام فانه فاعل مختار .

فالله سبحانه وتعالى لا يستعين بأحدٍ من خلقه مهما كان كمالَه وشدَّةَ وجوده ، وإنما الممكنات بعضها تستعين ببعضها الآخر (٣) ، فوسطية الأسماء لعالم الامكان منشأها عدم قابلية الممكنات لتلقي الفيضَ مباشرة عن الله تعالى ، كما هو الشأن في عدم قابلية العين المجردة لتلقي أشعة الشمس مباشرة من دون وسيلة وآلة ، فلا يُنسب العجز إلى أشعة الشمس وإنما العجز في القابل .

---

(١) الانفال : ١٧ .

(٢) الانفال : ١٧ .

(٣) فسنَّة الله تعالى قائمة على أساس قانون السبب والمسبب والعلة والمعلول ، ولن تجد لسنة الله تبديلا ولا تحويلا ، والنظام الاحسن والاشرف يقتضي ذلك ، ولذا اشتهر على لسان الحكماء الالهيين بأن عالم الامكان محكوم ومقهور بقانون العلية والمعلولية .

المقام الخامس

أن الاسم الأعظم أول ما خلق الله تعالى

والدليل على ذلك ـ كما تقدم في المقام الثاني [١] ـ حيث أن كل شيء صدر بواسطته ، فهو مجرى الفيض والتحقق لكل كائن ومخلوق ، إذ به خلق الله تعالىٰ العرش كما في الدعاء المأثور « **وباسمك الذي خلقت به عرشك الذي لا يعلم ما هو إلا أنت** » [٢] ، والعرش كما في الروايات حاوٍ على جميع العوالم الامكانية وكل ما خلق الله عز وجل ، فالكرسي بابه وهو يسع السماوات والارضين ﴿ **وسع كرسيه السماوات والارض** ﴾ [٣] .

ففي صحيحة الفضيل بن يسار رضي الله عنه قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل ﴿ **وسع كرسيه السماوات والارض** ﴾ ، فقال : « **يا فضيل ! كل شيء في الكرسي ، السماوات والأرض وكل شيء في الكرسي** » [٤] .

وفي صحيحة زرارة قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل ﴿ **وسع كرسيه السماوات والارض** ﴾ ، السماوات والارض وسعن الكرسي أم الكرسي وسع السماوات والأرض ؟ فقال : « **إن كل شيء في**

---

(١) تحت عنوان نسبة الخلق والابداع إلى الأسماء .

(٢) مصباح المتهجد : ٢٩٤ .

(٣) البقرة : ٢٥٥ .

(٤) الكافي : ١٣٢/١ ‌* التوحيد : ٣٢٧ .

الكرسي » [١] .

وعنه صلى الله عليه وآله قال : « **يا أبا ذر ما السماوات والأرض السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة في أرض فلاة ، وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة »** [٢] .

وعليه : فأول ما خلق الله عز وجل اسمه الاعظم الاعظم الاعظم ، وببركة هذا الاسم خلق كل شيء .

ففي الدعاء المأثور : « **وبالاسم الأكبر الأكبر الأكبر ، وبالاسم الأعظم الاعظم الاعظم ، المحيط المحيط المحيط بملكوت السماوات والأرض »** [٣] .

وفي دعاء آخر : « **اللهم إني أسألك باسمك الذي أطْفأتَ به كلَّ نور وهو حيٌ خلقتَه ، وأسأُلك باسمكالذي خلقتَ به عرشك الذي لا يعلم ماهو الا أنت ، وأسألك بنور اسمك الذي خلقت به نور حجابك النور ، وأسألك يا الله باسمك الذي تضعضع به سكان سماواتك وارضك ، وأسألك باسمك الذي تقضي به ما تشاء بذلك الاسم ، وأسألك باسمك الذي هو نور من نور ، ونور مع نور ، ونور فوق كل نور ، ونور تضييء به كل ظلمة ، ونور على كل نور ، ونور في نور ، يا الله .**

باسمك المكتوب على جبهة اسرافيل ، وبقوة ذلك الاسم الذي ينفخ

---

(١) الكافي : ١٣٢/١ .

(٢) التوحيد : ٢٧٧ * الخصال : ٥٢٤ .

(٣) الصحيفة السجادية : ٦٠٩٥ .

اسرافيل في الصور ، واسألك باسمك المكتوب على راحة رضوان خازن الجنة ، واسألك باسمك الزكي الطاهر المكنون في كنه حجبك ، والمخزون في علم الغيب عندك على سدرة المنتهى ، وأسألك باسمك المكتوب على سرادق السرائر ... » [١] .

المقام السادس
الهدف من بحث الاسماء الحسنىٰ

ذكرنا في ما مضى أن الله سبحانه وتعالى كما خلق أسماء لفظية تدل عليه ، كذلك خلق أسماء عينية تدل عليه ، إذ الاسم بمعنى السمة والدلالة ، فكما أن الالفاظ المخلوقة تدل على الله تعالى كذلك كل ما في الوجود يدل عليه ، وتختلف الدلالة من وجود إلى آخر ـ كما تقدم ـ وكلّما كان الموجود قريباً منه كانت دلالته على خالقه أشد وأعظم .

وأقرب الخلق الى الله تعالىٰ بلا ريب ولا شك هو الرسول الاكرم صلى الله عليه واله [٢] ، وهذا محل وفاق بين جميع الطوائف التي انتحلت الاسلام .

وبمقتضىٰ صريح قوله تعالى في آية المباهلة ﴿ **وأنفسنا وأنفسكم** ﴾ [٣]

---

(١) مصباح المتهجد : ٢٥٧ ، جمال الاسبوع : ١٦٥ ، البحار : ج ١٧٢/٩١ .

(٢) ﴿ ثم دنىٰ فتدلىٰ فكان قاب قوسين أو أدنىٰ ﴾ .

(٣) آل عمران : ٥٧ ، المؤكد بقوله ﷺ « لينتهين بنو وليعة أو لأبعثن إليهم رجلاً كنفسي » ، رواه النسائي في السنن الكبرى : ١٢٧/٥ عن أبي ذر بسند حسن ، وابن أبي شيبة في المصنف : ٤٩٩/٦ عن

يسري هذا الحكم ـ منطقياً ـ منه صلى الله عليه واله إليهم عليهم أفضل الصلاة والسلام ، وهذا ما استفاضت به الروايات عن أهل البيت عليهم السلام ـ وكذا روايات أبناء العامة ـ .

ففي صحيحة أبي حمزة الثمالي قال : سمعت علي بن الحسين عليه السلام يقول : « **إن الله خلق محمداً وعلياً وأحد عشر من ولده من نور عظمته ، فأقامهم أشباحاً في ضياء نوره يعبدونه قبل خلق الخلق ، يسبحون الله ويقدسونه ، وهم الائمة من ولد رسول الله صلى الله عليه واله** » (١) .

وفي صحيحة زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال : « **إن الله تعالى خلق أربعة عشر نوراً من نور عظمته قبل خلق آدم ، بأربعة عشر ألف عام فهي أرواحنا** » (٢) .

وعن المفضل قال : قال الصادق عليه السلام : « **إن الله تبارك وتعالى خلق أربعة عشر نوراً قبل خلق الخلق بأربعة عشر ألف عام ، فهي أرواحنا ، فقيل له : يا بن رسول الله ومن الاربعة عشر ؟ فقال : محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والائمة من ولد الحسين ، آخرهم القائم الذي يقوم بعد غيبته فيقتل الدجال ويطهّر الارض من كل جور**

عبد الله بن شداد بسند حسن ، وفي : ٥٤٣/٨ عن عبد الرحمان بن عوف بسند حسن .

(١) الكافي : ٥٣٠/١ * إكمال الدين : ٣١٨ * الاصول الستة عشر : ١٥ .

(٢) رواه الفضل بن شاذان في اثبات الرجعة عن ابن ابي عمير عن عمر بن اذينة عن زرارة ، وعنه النجم الثاقب : ٢١٧ الباب الخامس حديث ٣٠ ، ونقله عن ابن شاذان ايضا الاصفهاني في كفاية المهتدي وهو من معاصرين المولى المجلسي ، وقد طبع كتابه هذا اخيراً .

وظلم »[١] .

وعن أبي الجارود عن محمد بن عبدالله عن أبيه عن آبائه قال : قال رسول الله صلى الله عليه واله : « **كنت أنا وعلي نوراً بين يدي الله جل جلاله قبل أن يخلق آدم بأربعة آلاف عام ، فلما خلق الله آدم سلك ذلك النور في صلبه ، فلم يزل الله عز وجل ينقله من صلب إلى صلب ...** »[٢] .

وعن احمد بن على بن محمد بن عبد الله بن عمر بن علي بن ابي طالب عليه السلام عن أبي عبدالله عليه السلام قال : « **إن الله كان إذ لا كان ، فخلق الكان والمكان ، وخلق نور الانوار الذي نوّرت منه الانوار ، واجرى فيه من نوره الذي نورت منه الانوار ، وهو النور الذي خلق منه محمداً وعلياً ، فلم يزالا نورين أولين ، إذ لاشيء كوّن قبلهما ، فلم يزالا يجريان طاهرين مطهرين في الاصلاب الطاهرة ، حتى تفرقا في أطهر طاهِرَين في عبد الله وأبي طالب** »[٣] .

وعن جابر الجعفي رضي الله عنه قال : قال لي أبو جعفر عليه السلام : « **يا جابر إن الله أول ما خلق خلق محمداً صلى الله عليه واله وعترته الهداة المهتدين ، فكانوا أشباحَ نورٍ بين يدى الله ، قلت : وما الاشباح ، قال : ظلُّ النور أبدان نورانية بلا أرواح وكان مؤيداً بروح واحدة وهي**

---

(١) كمال الدين : ٣٣٥ .

(٢) الخصال : ٦٤٠ باب مابعد الالف حديث ١٦ .

(٣) الكافي : ٤٤١/١ .

روح القدس ، فبه كان يعبد الله وعترته ، ولذلك خلقهم حلماء علماء بررة أصفياء يعبدون الله بالصلاة والصيام والسجود والتسبيح والتهليل ويصلون الصلوات ويحجون ويصومون » [١] .

وعن المفضل رضي الله عنه قال : قلت لابي عبدالله عليه السلام كيف كنتم في الاظلة ؟ فقال : « **يا مفضل كنا عند ربنا ليس عنده أحد غيرنا في ظلة خضراء ، نسبحه ونقدسه ونهلله ونمجده ، وما من ملك مقرب ولا ذي روح غيرنا حتى بدا له في خلق الاشياء ، فخلق ماشاء كيف شاء من الملائكة وغيرهم ، ثم أنهى علم ذلك إلينا »** [٢] .

وعن شهاب بن عبد ربه قال : سمعت الصادق عليه السلام يقول : « **يا شهاب نحن شجرة النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة ونحن عهد الله وذمته ونحن ودايع الله وحجته ، كنا أنواراً صفوفاً حول العرش نسبح الله فتسبح الملائكة بتسبيحنا ، الى ان هبطنا الى الارض فسبحنا فسبح اهل الارض وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون فمن وفي بذمتنا فقد وفى بعهد الله وذمته ، ومن خفر ذمتنا فقد خفر ذمة الله عز وجل »** [٣] .

وعن محمد بن مروان عن ابي عبدالله عليه السلام قال : سمعته يقول : « **إن الله خلقنا من نور عظمته ، ثم صوّر خلقنا من طينة مخزونة مكنونة ،**

---

(١) الكافي : ٤٤٢/١ .

(٢) الكافي : ٤٤١/١ .

(٣) تفسير القمي : ٢٢٨/٢ .

فأسكن ذلك النور فيه ، فكنا نحن خلقاً وبشراً نورانين لم يجعل لأحد في مثل الذي خلقنا نصيب » [١] .

وعليه : فلا يوجد في عالم الامكان موجود يفوقهم في الدرجة والشرف والكمال ، ولذا ورد في الزيارة الجامعة الكبيرة التي تُعدّ من الكنوز والاسرار التي أودعها الله سبحانه وتعالى في أرضه : « **طأطأ كلُّ شريفٍ لشرفكم ، وبخعَ كلُّ مُتكبّرٍ لطاعتكم ، وخضعَ كلُّ جبارٍ لفضلكم ، وذلَّ كلُّ شيءٍ لكم** » [٢] .

فكما أن الاسم يدل على المُسمّىٰ ويكون علامة له ، كذلك هم عليهم السلام أدلاء على الله بما أودع فيهم من كمالات حاكية عن الكمالات الالهية ، « **فمن عرفهم فقد عرف الله ، ومن جهلهم فقد جهل الله** » [٣] .

فهم عليهم السلام الأسماء الحسنىٰ ، بل هم الاسم الاعظم ، بل هم الاسم المكنون المخزون المشار إليه في حسنة ابن عمر عن أبي عبدالله عليه السلام قال : « **إن الله تبارك وتعالى خلق إسماً بالحروف غير متصوت ، وباللفظ غير منطق وبالشخص غير مجسد وبالتشبيه غير موصوف وباللون غير مصبوغ ، منفي عنه الاقطار مبعد عنه الحدود ، محجوب عنه حس كل متوهم ، مستتر غير مستور فجعله كلمة تامة على أربعة أجزاء**

---

(١) الكافي : ٣٨٩/١.

(٢) من لا يحضره الفقيه : ٦١٥/٢ * تهذيب الاحكام للشيخ الطوسي : ١٠٠/٦ ، وهما من الكتب الاربعة المعتمدة لدى الطائفة .

(٣) وهو مقطع من الزيارة الجامعة الصغيرة ، وسندها من أصح أسانيد الخاصة ، وهي خلاصة وثمرة الزيارة الجامعة الكبيرة ، وسيأتي الكلام في سندها فانتظر .

معاً ليس منها واحد قبل الاخر ، فأظهر منها ثلاثة أسماء لفاقة الخلق إليها وحجب منها واحدا وهو الاسم المكنون المخزون ... » (١) .

وعليه فهم الوسائط لعالم الامكان طرّاً (٢) ، المعبّر عنها بلسان أهل المعرفة بالقُطب (٣) ، إذ هم الأسماء العينيّة ، ولفظ « الرحمن والرحيم والبارىء والمصور ... الخ » هي الأسماء اللفظية الدالة على الذات المقدسة ، فافهم .

ولذا نجد أن ما نُسب للاسم الاعظم وبقية الأسماء من آثار وتجليات نُسب إلى أهل بيت العصمة والطهارة ، ففي الدعاء المأثور « **أسألك اللهم باسمك الذي تقوم به السماوات ، وتقوم به الارضون ، وبه أحصيت كيل البحور ووزن الجبال ، وبه تميت الأحياء ، وبه تحيي الموتى ، وبه تنشىء السحاب ، وبه ترسل الرياح ، وبه ترزق العباد ، وبه أحصيت عدد الرمال ، وبه تفعل ما تشاء ، وبه تقول للشيء كن فيكون** » (٤) .

هذا الدعاء وغيره من الأدعية التي فيها تجليات الاسم الاعظم في عالم الامكان هو على غرار تلك الاحاديث المستفيضة القائلة « **بكم بدأ الله وبكم يختم وبكم ينزل الغيث وبكم يمسك السماء أن تقع على الارض**

---

(١) الكافي : ١١٢/١ .

(٢) وللاطلاع على الآيات القرآنية والروايات الكثيرة جداً الدالة على أنهم عليهم السلام وسائط الفيض لعالم الامكان طراً ، راجع كتابنا « وسائط الفيض الالهي » .

(٣) ومعناه في اصطلاح المتصوفة والعرفاء : أنه عبارة عن الواحد الذي هو موضع نظر الله في كل زمان .

(٤) الدروع الواقية : ١٥٢ .

إلا بأذنـــه ، وبكـم يـنفس الهـم ويكشـف الضـر ... واشـرقت الأرض بنوركم » [١] .

و « أنا سائلكم وآملكم فيما إليكم فيه التفويض وعليكم التعويض ، فبكم يـجبر المـهيض ، ويشـفى المـريض ، ومـا تـزداد الارحـام ومـا تغيض » [٢] .

« فهم عين الله الناظرة ، وإذنه السامعة ، ولسانه الناطق فـي خـلقه بإذنه ، وأمناؤه على ما أنزل من عذرٍ أو نذر أو حجة ، فبهم يمحو اللـه السيئآت ، وبهم يدفع الضيم ، وبهم يـنزل الرحـمة ، وبـهم يـحي مـيتاً ويميت حياً ، وبهم يبتلي خلقه ، وبهم يقضي في خلقه قضية» [٣] .

وغيرها من أحاديث موجودة في الكتب المجمع على اعتبارها وصحة نسبتها إلى مـؤلفيها ، **﴿ ومن كان عن هذه أعمى فهو في الاخـرة أعـمى وأضل سبيلا ﴾** [٤] ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

هم عليهم السلام الإسم الأعظم العيني :

والروايات الدالة على أنهم الاسم الاعظم العيني كثيرة جداً [٥] نذكر منها

---

(١) فقرات من الزيارة الجامعة الكبيرة ، وقد أثبتنا استفاضت هذه الالفاظ عنهم عليهم السلام في «وسائط الفيض الالهي» و في «بمن بدأ الله بمن يختم» .

(٢) مصباح المتهجد للشيخ الطوسي : ٨٢١.

(٣) التوحيد : ١٦٧ ، باب ٢٤، حديث ١ ، وسنده من أصح وأعلى وأقوى الاسانيد ، اذ كل مـن فـي السلسلة من الاجلاء الكبار المجمع على ثقتهم وعدالتهم وضبطهم ، وقد أثبتنا تواتر قولهم عليهم السلام «نحن عين الله ، وجه الله ، يد الله ، جنب الله » في الكتاب المزبور فراجع .

(٤) الاسراء : ٧٢.

(٥) وأما ما تضمنته بعض هذه الاخبار من المعارف العالية والاسرار العميقة التي لا يصل إليها إلا

عدة من الطوائف :

الطائفة الاولى : أنهم عليهم السلام الأسماء الحسنىٰ :

١ / الكليني : عن الحسين بن محمد ومحمد بن يحيى جميعاً ، عن أحمد بن إسحاق ، عن سعدان بن مسلم ، عن معاوية بن عمار عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عز وجل ﴿ **ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها** ﴾ قال : « **نحن الأسماء الحسنى التي لا يقبل الله من العباد عملاً إلا بمعرفتنا** » [١] .

وبالنظر إلى هذه الرواية وذيل حسنة ابن عمر المتقدمة في خلق الأسماء من قوله عليه السلام : « وحجب الاسم الواحد المكنون المخزون بهذه الأسماء الثلاثة ، وذلك قوله تعالى ﴿ **قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى** ﴾ » ، يتضح أنهم هم الاسم المخزون ـ كما

الاوحدي فتطلب في مظانها .

(١) الكافي : ج ١٤٣/١ حديث ٤ ، وسلسلة السند ذهبية كلهم ثقاتٌ اجلاءٌ عيونٌ في الطائفة ماعدا ابن مسلم فانه لم يُوثّق ، ويستفاد حسنه من ذكر الشيخ والنجاشي له في اصحابنا المصنفين ، وعدم الطعن فيه اصلا سيما من النجاشي الذي دأبه في كتابه المدح او القدح ، مضافا الى رواية الاجلاء الكبار عنه كابن اسحاق والعباس بن معروف وابن الصلت ومحمد بن عيسى وابن محبوب ويونس بن عبدالرحمن وابن ابي عمير وصفوان ، والثلاثة الأُخر لا يرون إلا عن الثقات ، وقد عده ابن داود في القسم الاول وقال عنه المير داماد انه شيخ كبير القدر جليل المنزلة له أصل .

وكيف كان فقد اعتمد عليه الصدوق وعدّ كتابه من الكتب المشهورة التي عليها المعوّل واليها المرجع ، وأخذ منها ما يفتي ويحكم بصحته ويعتقد أنه حجة بينه وبين ربه ، وهذه الشهادة عندي بنظري القاصر لا تقل عن توثيقات النجاشي ، بل هي أشد اعتباراً إن أكثر الصدوق الرواية عنه ، والتفصيل في محله ، مضافاً الى امكان تبديل الاسناد ، إذ الظاهر ان الرواية موجودة في كتب معاوية بن عمار وكتبه مشهورة بين الطائفة ، وللصدوق والشيخ والنجاشي قدس سرهم أسانيد صحيحة إليها .

سياتي التصريح به في بعض الروايات ـ والأسماء الحسنى .

٢ / محمد بن ابي زيد الرازي عمن ذكره عن الرضا عليه السلام قال : اذا نزلت بكم شدة فاستعينوا بنا على الله وهو قول الله ﴿ **ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها** ﴾ قال : قال ابو عبدالله : « **نحن الأسماء الحسنى التي لا يقبل من احد إلا بمعرفتنا** » (١) .

٣ / صحيحة زرارة عن ابي جعفر عليه السلام قال : « **إن الله تعالى خلق اربعة عشر نوراً من نور عظمته قبل خلق آدم باربعة عشر الف عام فهي أرواحنا ... والله نحن الاوصياء الخلفاء من رسول الله صلى الله عليه واله ، ونحن المثاني التي أعطاها نبينا ، ونحن شجرة النبوة ، ومنبت الرحمة ، ومعدن الحكمة ، ومصابيح العلم ، وموضع الرسالة ، ومختلف الملائكة ، وموضع سر الله ، ووديعة الله جل اسمه في عباده ، وحرم الله الاكبر ، وعهده المسؤول عنه ، فمن وفى بعهده إليه فقد وفى بعهد الله ، ومن خفر فقد خفر ذمة الله وعهده ، فعرفنا من عرفنا وجهلنا من جهلنا ، نحن الأسماء الحسنى التي لا يقبل الله من العباد عملا إلا بمعرفتنا ، ونحن والله الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه إن الله تعالى خلقنا فأحسن خلقنا ، وصورنا فأحسن صورنا وجعلنا عينه على عباده ولسانه الناطق في خلقه ، ويده المبسوطة عليهم بالرأفة والرحمة ، ووجهه الذي يؤتى منه ، وبابه الذي يدل عليه ، وخزان علمه ، وتراجمة**

---

(١) تفسير العياشي : ج٢/٤٢ حديث ١١٩ ، ومثله مارواه المفيد في الاختصاص عن الرضا عليه السلام : ٢٥٢.

وحيه ، واعلام دينه ، والعروة الوثقى ، والدليل الواضح لمن اهتدى ، بنا اثمرت الاشجار ، وأينعت الثمار ، وجرت الانهار ، ونـزل الغـيث مـن السماء ، ونبت عشب الارض ، وبعبادتنا عبد الله ، ولولانا ماعرف الله ، وأيم والله لولا وصية سبقت وعهد اخذ علينا لقلت قولاً يعجب منه ، أو يذهل منه الاولون والاخرون » [١] .

فنلاحظ أنه عليه السلام بعد أن قال بأنهم عـليهم السـلام أسـماء الـله الحسنى رتب على ذلك أنهم عين الله ولسانه ويـده المـبسوطة بـالرحـمة ووجهه الذي يؤتىٰ منه ، وهذا يقتضي أن بهم تثمر الاشجار وبـهم تـجري الانهار وبهم ينزل الغيث وبهم يعبد الله ويعرف ، وهذا شاهد على ما ذكرناه في أول هذا البحث في هذا المقام [٢] ، ولكن الله تعالىٰ يقول ﴿ **لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لايبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون** ﴾ [٣] .

٤ / وعن سلمان الفارسي ـ في حديث طويل ـ عن أمير المؤمنين عليه السلام : **نحن الاسم المخزون المكنون ، نحن الأسماء الحسنى** ، التي إذا

---

(١) رواها الفضل بن شاذان في إثبات الرجعة وعنه المحدث النوري في النـجم الثـاقب البـاب ٥ حديث ٣٠، ورواها المولى المجلسي في البحار : ج ٤/٢٥ عن المحتضر عن منهج التحقيق باسناده عن محمد بن الحسين رفعه الى عمرو بن شمر عن جابر ، ورواها الصدوق في كمال الدين : ٣٣٥ بسنده عن المفضل عن الصادق عليه السلام واختصرها ، وكل ألفاظها وارد عنهم عـليهم السـلام بأسانيد صحيحة .

(٢) من أنه كل ما نسب للاسم الاعظم من تجليات ، نسب لهـم عـليهم السـلام ، وكـونهم عـليهم السلام : عين الله ووجه الله وجنب الله ويد الله مما استفاضت به الروايات .

(٣) الاعراف : ١٧٩ .

سئل الله عز وجل بها أجاب ، نحن الأسماء المكتوبة على العرش ، ولا جلنا خلق الله عز وجل السماء والارض والعرش والكرسي والجنة والنار ، ومنا تعلمت الملائكة التسبيح والتقديس والتوحيد والتهليل والتكبير ، ونحن الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه [١] .

هذا وقد روى الخاصة والعامة باسانيد مستفيضة أنهم عليهم السلام الكلمات التي تلقاها آدم فتاب الله عليه ، وروي أيضا أنهم الأسماء التي علمها الله آدم في قوله ﴿ **وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبؤني بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين** ﴾ [٢] ، مضافاً الى الروايات المتعددة الناصة على أنهم كلمات الله التامة ، وفي بعضها الاخر أنهم كلمته العليا وما شابه ذلك .

مع ما ورد في الاحاديث المستفيضة ـ بل المتواترة اجمالاً ـ من أن عندهم الاسم الاعظم وهو الاسم الاعظم العيني ، وأن نصيبهم منه اثنين وسبعين حرفاً ، نذكر جملة منها :

الطائفة الثانية : حظّهم عليهم السلام من الاسم الاعظم :

١ / الصحيح إلى شريس الوابشي ، عن جابر ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : « **إن اسم الله الاعظم على ثلاثة وسبعين حرفاً ، وإنما كان عند آصف منها حرف واحد** [٣] **فتكلم به فخسف بالارض ما بينه وبين**

---

(١) البحار : ج٢٧/٣٨.

(٢) البقرة : ٣١.

(٣) وفي الدعاء « وأسئلك باسمك العظيم الذي أصغر حرف منه أعظم من السماوات والارض والجبال وكل شيء خلقته » فكيف بمن عنده اثنين وسبعين حرفا.

سرير بلقيس ، حتى تناول السرير بيده ، ثم عادت الارض كما كانت اسرع من طرفة عين ، ونحن عندنا من الاسم الاعظم اثنان وسبعون حرفاً ، وحرف واحد عندالله تعالى استأثر به في علم الغيب عنده ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم »[١] .

وهذا إشارة إلى قوله تعالى ﴿ ثم دنىٰ فتدلىٰ فكان قاب قوسين أو أدنى ﴾[٢] .

٢ / صحيحة عبدالصمد بن بشير عن ابي عبدالله عليه السلام قال : « كان مع عيسى بن مريم حرفان يعمل بهما ، وكان مع موسى أربعة أحرف ، وكان مع ابراهيم ستة أحرف ، وكان مع آدم خمسة وعشرين حرفاً ، وكان مع نوح ثمانية ، وجُمع ذلك كله لرسول الله صلى الله عليه واله ، إن اسم الله ثلاثة وسبعين حرفاً وحجب عنه واحداً »[٣] .

٣ / صحيحة ابن بشير الاخرى عن ابي عبدالله عليه السلام قال : « إن الاسم الاعظم على ثلاثة وسبعين حرفاً ، كان عند آصف منها حرف واحد فتكلم به فخسف بالارض مابينه وبين سرير بلقيس ، ثم تناول السرير بيده ، ثم عادت الارض كما كان اسرع من طرفة عين ، وعندنا من الاسم اثنان وسبعون حرفاً ، وحرف عند الله تعالى استأثر به في علم

---

(١) الكافي : ج ١/ ٢٣٠ ، بصائر الدرجات : ج ٢٠٨/٤ باب ١٣ حديث ١ ، ورواه الحميري عن جابر عن ابي جعفر عليه السلام ، وعن سعيد بن عمر الجلاب عن ابي عبدالله عليه السلام ، وراجع البحار : ج ٢٧/ ٢٥ .

(٢) النجم : ٩ .

(٣) بصائر الدرجات : ج ٢٠٩/٤ باب ١٣ حديث ٤ ، ٥ .

الغيب المكنون » [١] .

ومثله عن علي بن محمد النوفلي عن أبي الحسن الهادي عليه السلام [٢] ، وسعد الجلاب عن أبي عبدالله عليه السلام [٣] ، وفي عدة من الروايات أن عندهم الاسم الاعظم بلا بيان مقدار ما عندهم من الحروف منه .

والحرف المستأثر هو الحرف المائز بين الرب والعبد ، وبين الغني والفقير ، وهو المشار إليه في دعاء رجب « **لا فرق بينك وبينها إلا أنهم عبادك وخلقك ، فَتْقُها ورتقها بيدك ، بدؤها منك وعودها إليك** » [٤] ، فهو على اللّسان حرف واحد ولكن الفارق فوق ما لا يتناهى بما لا يتناهى ، ولا نسبة ومقارنة بين الفقير والغني ، وبين ما هو بذاته وما هو بغيره ، ﴿ **يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله ، والله هو الغني الحميد** ﴾ [٥] .

وعليه فهذا الحرف يستحيل أن يُعطىٰ لاهل البيت عليهم السلام ، لأنهم عليهم أفضل الصلاة والسلام بالنسبة لله تعالىٰ محض التعلق والارتباط والفقر والفناء والعبودية ، وهذا الحرف هو حرف الاستقلالية والغنى المطلق والربوبية العامة ، هو حرف الكمال بالذات ، والنور الاحمدي والمحمدي والعلوي نور وكمال بالغير ، ويستحيل ان يكون بالذات ، وإلا انقلب الفرض

---

(١) بصائر الدرجات : ٢٠٩ .

(٢) الكافي : ج ٢٣٠/١ ، بصائر الدرجات : ٢١١ .

(٣) بصائر الدرجات : ٢١٠ .

(٤) مصباح المتهجد للشيخ الطوسي : ٨٠٣ .

(٥) فاطر : ١٥ .

ولأصبح المخلوق خالقاً والمربوب رباً مطلقا وَلَكَان الفقير غنياً [١] ، وهـذا المعبّر عنه بلسان أصحاب الحكمة المتعالية بأن الإضافة بين الحق والخلق إضافة إشراقيّة .

حقيقة الاضافة الاشراقية :

إذ أن الإضافة إما مقولية أو إشراقيه .

والاولىٰ : ما عليه حكماء المشاء ومن تبعهم ، والمراد منها : أن يكون كل من الطرفين المفروضين مفروغ الثبوت عنه ، ثم بعد ذلك تحصل الاضافة والنسبة بين الطرفين ، فتكون الاضافة والنسبة متأخرة رتبة ووجوداً عن الطرفين المفروضين ، فلا إضافة بلا طرفين ، كما في البنوة والأبوة ، فلا يمكن تحققهما إلا بعد فرض الأب والإبن وتحققهما خارجاً .

والثانية : هو ما عليه أصحاب الحكمة المتعالية [٢] ، والمراد من هذه الإضافة : أن الاضافة والنسبة تتحقق بطرف واحد ، لا بطرفين مفروضين ، فتكون الإضافة بهذا المعنىٰ متأخرة عن ذات الطرف المفروض والمتحقق ،

---

(١) فلا قابلية للمخلوق من تلقي هذا الحرف ، فالاستحالة هنا عدم القابلية وعجز الممكن ، بعد فرضه ممكناً ومتعلقاً بالله عز وجل .

(٢) وهو مأخوذ من ملوك الكلام وسطاء الفيض لعالم الامكان كله ، أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة ، المصرحين بأنه « لا جبر ولا تفويض بل أمر بين أمرين » وهذا النظام حاكم على عالم الامكان بأكمله ، جوهراً وعرضاً ، ذاتاً وفعلاً ، وتبعهم في ذلك أكابر أهل الذوق والوجدان وعبروا عنه في اصطلاحاتهم « فناء الهلاك » ويمثلوا لها عادة بالقطرة والبحر ، فعند الاضافة تفقد القطرة تعينها وتكون بحراً ، ولهم اصطلاح آخر « فناء الاستهلاك » ومثلوا بالشمعة ونور الشمس ، والفرق بين كلا المصطلحين أن القطرة تفقد تعينها عند الملاقات ، بخلاف الشمعة فإنها تحتفظ بتعينها .

فهي في وجودها لا تحتاج إلى طرف آخر ، وهذا هو المعبر عنه بلسان العرفاء بفناء الهلاك والذي هو أرقى أنواع الفناء ، ومثاله القطرة عندما تضاف إلى البحر ، فإن تعينها يرتفع لا أنها تنعدم ، لأن الفناء نحو كمال والعدم نقصان ، ومثال آخر : النفس وقواها ، فإن الاضافة بين النفس وقواها إضافة اشراقية ، حيث أن النفس عندما تتنزل تكون «القوىٰ» ، والقوىٰ عندما تترفع تكون «النفس» .

فالنفس في وحدتها كل القوىٰ وفعلها في فعله قد انطوىٰ

وهذا من التفاسير المتعالية لقوله عليه السلام « **لا جبر ولا تفويض وإنما أمر بين أمرين** » .

ومنشأ الفرق بين هٰذين النوعين من الاضافتين بأن المقولية منها مرتبطة بذات الشيء قبل وجوده ، والاشراقية مرتبطة بوجود نفس الشيء لا بذاته .

وإن شئت فقل : إن الاضافة المقولية طرف الارتباط فيها الماهية ، والاضافة الاشراقية طرف الارتباع فيها الوجود ، و هذا أدق ما قيل في التفرقة بين هاتين الاضافتين ، وعلى هذا يفهم قانون العلية العام الحاكم لنظام الوجود بفهمين متغايرين ، أحدهما يهيىء الفكر للمعرفة الوهمية العقلية ، والآخر يرقي الفكر إلى المعرفة الحقيقية [1] ، فافهم وتدبر .

كما إن النسبة بين من يمتلك حرفا ومن يمتلك حرفين نسبة لامتناهية عدة ومدة وشدة ، فجميع الانبياء والرسل والملائكة المقربين بالنسبة لاهل

---

(١) وبتعبير منطقي أولي : علم حصولي وعلم حضوري .

البيت عليهم السلام كنسبة الواسطة إلى ذي الواسطة ، وهم عليهم السلام محض التعلق والفقر لله تعالى [١] .

وكلما إزداد الموجود فقراً إزداد قرباً إلى الله تعالى ، وهذا هو معنى العبودية المحضة ، حيث أُشير إليها في آيات الذكر الحكيم بنكات لطيفة ، وذلك بأن جعل الله العبودية التي ذكرت في ضمن الايات الكريمة إن كانت مقترنة باسم من أسماء الانبياء فهي تشير إلى مقام ذلك النبي ، وإن لم تقترن باسم من أسماء الانبياء فإنها تنصرف إلى الخاتم صلى الله عليه واله ، فالعبد المطلق هو النبي الامي صلى الله عليه واله ﴿ **فأوحىٰ إلى عبده ما أوحى** ﴾ [٢] ، وقوله ﴿ **سبحان الذي أسرىٰ بعبده ليلاً من المسجد الحرام** ﴾ [٣] .

والخلاصة : بما أنه لا مخلوق يفوقهم في الشرف والدرجة والمرتبة وجمعه للكمالات فهم الاسم الاعظم الذي تقدم ذكره في رواية ابن عمر ، إذ لا يوجد مخلوق يحكي الكمالات الالهية والصفات الربوبية بتمامها وقضّها وقضيضها كحكايتهم عليهم السلام لها ، وهذا لا يعني أن كمالهم عليهم السلام ككماله تعالىٰ وتقدَّس ، فكمال الحاكي لا يقرن بكمال المحكي ، فلا

---

(١) ومن هنا يجب الفرز بين الروايات التي فيها مقارنة بينهم وبين غيرهم ، وبين تلك الروايات التي فيها مقارنة بينهم وبين الذات المقدسة ، فإن لسان الاولى نحن كذا وكذا نحن كذا وكذا نحن كذا وكذا ، ولسان الثانية نحن لا نملك نحن لا نعرف نحن لا نعلم نحن مربوبون نحن عبيد ، ولا تنافي بين الطائفتين من الروايات .

(٢) النجم : ١٠ .

(٣) الاسراء : ١ .

تغفل .

ولذا ورد في الاحاديث والأدعية بأنهم الكلمات التامات [١] والمظهرين لقدرة الله ، ومحال مشيئة الله ، ومحال معرفة الله ، فبهم عُبِدَ الله ، وبهم عُرِفَ الله ، وبهم وُحّد الله لا بغيرهم ، ﴿ وكل شيء أحصيناه في إمام مبين ﴾ [٢] .

الطائفة الثالثة : أنهم عليهم السلام أول ما خلق الله تعالى :

ويدل على أنهم أسماء الله الحسنى والاسم الاعظم أنهم أول ما خلق الله عز وجل كما هو مقتضى الاحاديث المستفيضة بل المتواترة ، وقد تقدم في البحث الخامس أن الاسم الاعظم هو أول تجلٍّ للذات الالهية وأول صادر عنه ، وبما أن النصوص الكثيرة صرحت بأن أول مخلوق هو النور الاحمدي فهذا يدل على اتحاده مع الاسم الاعظم ، فالاسم الأعظم والنور الاحمدي اسمان لمسمى واحد [٣] ، من هذه الروايات :

١ / **الصدوق** : بسنده عن سفيان الثوري ، عن جعفر ، عن آبائه عليهم السلام ، عن علي عليه السلام ، أنه قال : « **إن الله تبارك وتعالى خلق نور محمد صلى الله عليه واله قبل أن يخلق السماوات والارض والعرش**

(١) وهم الكلمات التي تلقاها آدم فتاب الله عليه ، ولو كان ثَمَّ من هو أفضل منهم وأكمل لتوسل آدم دونهم .

(٢) يٰس : ١٢ .

(٣) وقد ذكرنا في كتابنا «وسائط الفيض الالهي» أن منشأ كثرة الأسماء لهذه الحقيقة الواحدة هو تعدد الاثار والافعال والمراتب والتجليات لهذه الحقيقة المقدسة التي لا يعلم حقيقتها إلا الله عز وجل .

والكرسي واللوح والقلم والجنة والنار وقبل أن خلق آدم ونوحا ... وخلق معه اثنا عشر حجاباً ، حجاب القدرة ، وحجاب العظمة ، وحجاب المنة ، وحجاب الرحمة ، وحجاب السعادة ، وحجاب الكرامة ، وحجاب المنزلة ، وحجاب الهداية ، وحجاب النبوة ، وحجاب الرفعة ، وحجاب الهيبة ، وحجاب الشفاعة ، ثم حبس نور محمد صلى الله عليه واله في حجاب القدرة اثنى عشر الف سنة وهو يقول « سبحان ربي الاعلى » ، وفي حجاب العظمة أحد عشر ألف سنة وهو يقول « سبحان عالم السر » ، وفي حجاب المنة عشرة آلاف سنة وهو يقول « سبحان من هو قائم لا يلهو » ، وفي حجاب الرحمة تسعة آلاف سنة ، وهو يقول « سبحان الرفيع الأعلى » ، وفي حجاب السعادة ثمانية آلاف سنة وهو يقول « سبحان من هو دائم لا يسهو » ، وفي حجاب الكرامة سبعة آلاف سنة وهو يقول « سبحان من هو غني لا يفتقر .... »[(١)] .

٢ / الكليني : بسندٍ حسنٍ عن مرازم ، عن ابي عبدالله عليه السلام قال : « **قال الله تبارك وتعالى : يامحمد إني خلقتك وعلياً نوراً ـ يعني روحاً ـ بلا بدن قبل أن أخلق سماواتي وأرضي وعرشي وبحري ، فلم تزل تهللني وتمجدني ، ثم جمعت روحيكما فجعلتها واحدة ، فكانت تمجدني وتقدسني وتهللني ثم قسمتها ثنتين ، وقسمت الثنتين ثنتين ، فصارت أربعة : محمد واحد وعلي واحد ، والحسن والحسين ثنتان ، ثم خلق الله فاطمة من نور أبتدأها روحاً بلا بدن ، ثم مسح بيمينه فأفضى**

---

(١) الخصال : ٤٨٢ ❊ معاني الاخبار : ٣٠٧.

نوره فينا » (١) .

٣ / الكليني : بسنده عن محمد بن سنان قال : كنت عند ابي جعفر الثاني عليه السلام فأجريت اختلاف الشيعة ، فقال : « **يا محمد إن الله تبارك وتعالى لم يزل متفرداً بوحدانيته ، ثم خلق محمداً وعلياً وفاطمة فمكثوا ألف دهر ، ثم خلق جميع الاشياء فأشهدهم خلقها ، وأجرى طاعتهم عليها ، وفوض أمورها إليهم ، فهم يحلون ما يشاؤون ويحرمون ما يشاؤون ، ولن يشاؤوا إلا ان يشاء الله تبارك وتعالى ، ثم قال : يامحمد هذه الديانة التي من تقدمها مرق ومن تخلف عنها محق ومن لزمها لحق ، خذها إليك يا محمد »** (٢) .

٤ / الكليني : بسنده عن احمد بن على بن محمد بن عبدالله بن عمر بن علي بن ابي طالب عليه السلام عن أبي عبدالله عليه السلام قال : « **إن الله كان إذ لا كان ، فخلق الكان والمكان ، وخلق نور الانوار الذي نوّرت منه الانوار ، وأجرى فيه من نوره الذي نورت منه الانوار ، وهو النور الذي خلق منه محمداً وعلياً ، فلم يزالا نورين أولين ، إذ لاشيء كوّن قبلهما ، فلم يزالا يجريان طاهرين مطهرين في الاصلاب الطاهرة ، حتى تفرقا في أطهر طاهِرَين في عبدالله وأبي طالب »** (٣) .

وما في هذه الرواية مطابقٌ لما جاء في الدعاء المأثور « **وأسألك**

---

(١) الكافي : ٤٤٠/١ .

(٢) الكافي : ٤٤١/١ .

(٣) الكافي : ٤٤١/١ .

باسمك الذي هو نور من نور ، ونور مع نور ، ونور فوق كل نور ، ونور تضيىء به كل ظلمة ، ونور على كل نور ، ونور في نور » (١) .

٥ / **الطوسي** : بسند حسن ـ بل صحيح ـ عن المفضل عن ابي عبدالله عليه السلام قال : « **ما بعث الله نبيّاً أكرم من محمد صلى الله عليه واله ولا خلق الله قبله أحداً ، ولا أنذر الله خلقه بأحد من خلقه قبل محمد صلى الله عليه واله فذلك قول الله تعالى ﴿ هذا نذير من النـذر الاولى ﴾ ، وقال ﴿ إنما أنت منذر ولكل قوم هاد ﴾ فلم يكن قبله مطاع في الخلق ، ولا يكون بعده الى ان تقوم الساعة في كل قرن الى ان يرث الله الارض ومن عليها »** (٢) .

الطائفة الرابعة : كتابة أسماؤهم عليهم السلام على كل شيء :

كما يدل على أنهم هم الاسم الاعظم العيني ما ورد في الدعاء المأثور : « **اللهم إني أسألك باسمك الذي أطْفأتَ به كلَّ نور وهو حيّ خـلقتَه ، وأسأُلك باسمكالذي خلقتَ به عرشك الذي لا يـعلم مـاهو الا أنت ، وأسألك بنور اسمك الذي خلقت به نور حجابك النور ، وأسألك يا الله**

---

(١) مصباح المتهجد : ٢٩٤ * جمال الأسبوع : ١٦٥ .

(٢) أمالي الشيخ الطوسي : المجلس ٣٦ حديث ١٣ ، قال أخبرنا الحسين بن ابراهيم القزويني ، قال حدثنا أبو عبدالله محمد بن وهبان ، قال حدثنا أبو القاسم علي بن حبشي ، قال حدثنا أبو الفضل العباس بن محمد بن الحسين ، قال حدثنا أبي قال حدثنا صفوان عن الحسين بن ابي غـندرة عـن المفضل ، وإنما عبرنا عنها بالحسنة لكون جميع احاديث هذا المجلس يرويها الشيخ عن مشايخه عن صفوان ، وقد ذكر في الفهرست أنه يروي جميع روايات وكتب صفوان بعدة اسانيد ، ومحمد بن الحسين الواقع في السند هو ابن ابي الخطاب الثقة الجليل ، وهو من رواة كتب صفوان وعنه عدة من المشايخ ، فيمكن تصحيح السند عن طريق تبديل الاسناد .

باسمك الذي تضعضع به سكان سماواتك وارضك ، وأسألك باسمك الذي تقضي به ما تشاء بذلك الاسم ، وأسألك باسمك الذي هو نور من نور ، ونور مع نور ، ونور فوق كل نور ، ونور تضيىء به كل ظلمة ، ونور على كل نور ، ونور في نور ، يا الله .

باسمك المكتوب على جبهة اسرافيل ، وبقوة ذلك الاسم الذي ينفخ اسرافيل في الصور ، واسألك باسمك المكتوب على راحة رضوان خازن الجنة ، واسألك باسمك الزكي الطاهر المكنون في كنه حجبك ، والمخزون في علم الغيب عندك على سدرة المنتهى ، وأسألك باسمك المكتوب على سرادق السرائر .

وأسألك باسمك الذي كتبته على عرشك واستقر بذلك الاسم ، وأسألك باسمك الذي يُمشى به على طَلَل الماء كما يُمشى به على جَدَد الارض ، وأسألك باسمك الذي أجريت به الفلك فجعلته معالم شمسك وقمرك ، وكتبت اسمك عليه ، وأسألك باسمك الذي أقمت به عرشك وكرسيك في الهواء ، وباسمك الذي به سبقت رحمتك غضبك ، وباسمك الذي خلقت به الفردوس .

وأسألك يا الله باسمك الذي يمشى به في الظلم ، ويمشى به في أبراج السماء ، وباسمك الذي كتبته على حجاب عرشك .... وأسألك باسمك الذي دعاك به الذي عنده علم من الكتاب فأجبته بذلك الاسم »[١] .

---

(١) مصباح المتهجد : ٢٥٧ ، جمال الاسبوع : ١٦٥ ، البحار : ج ١٧٢/٩١ .

قلت : ومن المعلوم أن المكتوب على العرش وعلى الكرسي وعلى باب الجنة وما شابه ذلك ، هي أسماء أهل البيت عليهم السلام ، وهذا مما استفاضت به الروايات عن طريق الخاصة والعامة ، وهذه الكتابة ليست كالكتابة التدوينة التي عندنا إذ الكتابة والكلمة الالهية من سنخ الوجودات الخارجية العينية ، فعيسى عليه السلام كلمة من الله وروح منه ، وهو وجود عيني خارجي ، فهم عليهم السلام كلمات الله في جميع العوالم الامكانية التي لا تنفد ولا تعدّ ولا تحصى ﴿ **قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا** ﴾ (١) ، وليس هناك في عالم الوجود كلمة تفوقهم عليهم أفضل الصلاة والسلام (٢) .

ونتبرك بذكر جملة من النصوص المصرحة بكتابة أسمائهم في جميع مراتب الوجود .

١ / **الخوارزمي** : بسنده عن صهيب بن عباد ، عن الصادق ، عن آبائه قال رسول الله صلى الله عليه واله : « **أتاني جبرئيل عليه السلام ، وقد نشر جناحيه فإذا في أحدهما مكتوب لا إله إلا الله محمد النبي صلى الله عليه واله ، ومكتوب على الاخر لا إله إلا الله علي الوصي عليه السلام** » (٣) .

فقوة جبرئيل عليه السلام متمثلة في جناحية ، ومعنى الكتابة أنه بالله وبمحمد وبعلي قدر واستطاع واستحكم فعله على الخلق ، وهو المشار إليه

---

(١) مريم : ١١٠ .

(٢) للمزيد من التفصيل راجع «دروس من الزيارة الجامعة» تحت عنوان «والمثل الاعلى» .

(٣) المناقب : ١٤٨ .

في قوله تعالى ﴿ **ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده** ﴾ [(١)] فبواسطة الروح وبقوتها تصعد الملائكة وتنزل وتدبر الوجود تحت نظام الأمر بين الأمرين [(٢)] .

٢ / **الخوارزمي** : بسنده عن الاعمش ، عن أبي وائل ، عن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه واله : « ... **يا آدم ارفع رأسك وانظر ، فرفع رأسه فإذا هو مكتوب على العرش لا إله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه واله نبي الرحمة ، علي مقيم الحجة ، ومن عرف حق علي زكا وطاب ومن أنكر حقه لعن وخاب** » [(٣)] .

٣ / **الذهبي** : عن خالد بن أبي عمر الازدي ، عن الكلبي ، عن ابي صالح عن ابي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه واله : « **مكتوب على العرش لا إله الا الله وحدي ، محمد عبدي ورسولي ، وأيدته بعلي** » [(٤)] .

٤ / **ابن عساكر و الطبراني** : بسندهما عن أبي الحمراء قال : قال النبي صلى الله عليه واله : « **ليلة اسري بي رأيت على ساق العرش الايمن مكتوباً : « أنا الله وحدي لا إله غيري غرست جنة عدن بيدي محمد**

---

(١) النحل : ٢ .

(٢) والتفصيل في كتابنا « الروح بين العرش والفرش » وكتابنا « وسائط الفيض الالهي » .

(٣) المائة منقبة للامام محمد بن أحمد القمي : ٨٣ ❊ المناقب للخوارزمي : ٣١٨.

(٤) تاريخ دمشق : ٢٦٠/٤٢ ❊ ميزان الاعتدال : ترجمة العباس بن بكار الضبي ❊ لسان الميزان : ج١٨/٣ ❊ الخصال للشيخ الصدوق : ٢٩٧ ❊ أمالي الصدوق : ٢٨٤ بسند آخر .

صفوتي من خلقي أيدته بعلي »[١] .

٥ / **الخطيب البغدادي** : بسند متصل عن حميد الطويل عن انس قال : قال النبي الله صلى الله عليه واله : « **لما عرج بي رأيت على ساق العرش مكتوباً : لا إله الا الله محمد رسول الله ، أيدته بعلي ونصرته بعلي »**[٢] .

٦ / **الخطيب البغدادي** : بسنده عن مجاهد عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه واله : « **لما عرج بي الى السماء رأيت على باب الجنة مكتوباً : لا إله إلا الله محمد رسول الله علي حبيب الله الحسن والحسين صفوة الله فاطمة أمة الله على باغضهم لعنة الله مهما ذكر الله »**[٣] .

٧ / **العقيلي** : بسنده عن عطية عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه واله : مكتوب على باب الجنة قبل أن يخلق السماوات والارض بألفي سنة « **لا إله الا الله محمد رسول الله أيدته بعلي »**[٤] .

وأحاديث الخاصة في كتابة أسمائهم عليهم السلام على العرش والجنة وجناح جبرائيل وعلى جباه الحور العين ، لعلها تصل إلى حد الاستفاضة بل

---

(١) المعجم الكبير : ٢٠٠/٢٢ ❊ تاريخ دمشق : ٣٣٦/٤٢ ❊ مجمع الزوائد : ج١٢١/٩ قال : رواه الطبراني وفيه عمرو بن ثابت وهو متروك . قلت : منشأ ترك حديثه قول عبد الله بن المبارك ـ كما في صحيح مسلم : ١٢/١ ـ : دعوا حديث عمرو فإنه كان يسب السلف ، ومعنى سب السلف عندهم تقديم علياً عليه السلام على الشيخين ، وتخطأت عثمان وطلحة والزبير ، وقد قال أبو داود في سننه : ٧٢/١ في عمرو : عمرو بن ثابت رافضي رجل سوء ولكنه كان صدوقاً في الحديث .

(٢) تاريخ بغداد : ج١٧٣/١١ ❊ تاريخ دمشق : ٣٤٤/٤٧ .

(٣) تاريخ بغداد : ٢٧٤/١ ❊ تاريخ دمشق : ١٧٠/١٤ .

(٤) ضعفاء العقيلي : ٣٣/١ .

متواترة إجمالا ومعنى ، ويكفي ما ورد في الزيارة الجامعة من قولهم عليهم السلام « **خلقكم الله أنواراً فجعلكم بعرشه محدقين** » والعرش هو جملة العالم بأكمله والاحداق هو الاحاطة القيومية [(١)] ، فالاحداق بالشيء إحاطة وزيادة .

من كل ذلك تعرف أن هذا الاسم الذي كُتب على العرش وعلى الجنة وعلى جبهة اسرافيل هو ذلك الاسم المخزون المكنون المتمثل في النور الاول الذي خلقه الله قبل خلق آدم بألفي سنة وقبل خلق السماوات والارض ، وهو نور النبي والوصي عليهما السلام [(٢)] .

فقد روى الامام احمد بن حنبل بسند صحيح عن عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهري ، عن خالد بن معدان ، عن زاذان ، عن سلمان [(٣)] ، ورواه ابنه في زوائد المناقب عن الحسن ، قال حدثنا احمد بن المقداد العجلي ، حدثنا الفضيل بن عياض ، قال حدثنا ثور بن يزيد ، عن خالد بن معدان ، عن سلمان ، عن الرسول الاكرم صلى الله عليه واله قال : « **كنت أنا وعلي بن أبي طالب نوراً بين يدي الله تعالى قبل أن يخلق آدم بأربعة آلاف عام ، فلما خلق آدم قسّم ذلك النور جزئين ، فجزء أنا وجزء علي** » [(٤)] .

---

(١) وللتفصيل راجع كتابنا « دروس من الزيارة الجامعة » تحت عنوان « فجعلكم الله بعرشه محدقين ».

(٢) وهو الذي لا يتحمل أمره لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا مؤمن ممتحن كما في الحديث الشريف .

(٣) تذكرة خواص الامة : ٤٦.

(٤) مناقب الصحابة : ج٢/٦٦٢ رقم ١١٣٠ ، وابن عساكر في تاريخه ولم يطعن في سنده ولم يتكلم عليه وهذا يدل على ثبوته قاله الكنجي الشافعي في كفاية الطالب : ٣١٥.

الطائفة الخامسة : توسل الانبياء بهم عليهم السلام :

قد ورد في الادعية الكثيرة توسل الانبياء عليه السلام باسم الله تعالىٰ ففي الدعاء المأثور عنهم عليهم السلام « **وباسمك الذي دعاك به أيوب إذ حل به البلاء فعافيته وآتيته وأهله ومثلهم معهم ... وباسمك الذي دعاك به يعقوب فرددت عليه بصره وقرة عينه يوسف وجمعت شمله ، وباسمك الذي دعاك به سليمان فوهبت له ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده ، إنك انت الوهاب** » [١] .

وفي دعاء آخر « **فأسألك باسمك الذي دعاك به آدم صلى الله عليه فأجبت له الجنة ، واسألك باسمك الذي دعاك به شيث بن آدم فجعلته وصي أبيه بعده ... وأسألك باسمك الذي دعاك به نوح فنجيته من الغرق وأهلكت القوم الظالمين ... وأسألك باسمك الذي دعاك به صالح فنجيته من خزي يومئذ ... واسألك باسمك الذي دعاك به شعيب فنجيته من عذاب يوم الظلة ... وأسألك باسمك الذي دعاك به ابراهيم فجعلت النار عليه برداً وسلاما ... وأسألك باسمك الذي دعاك به إسماعيل عند العطش ... وأسألك باسمك الذي دعاك به يعقوب فرددت عليه بصره وولده وقرة عينه ... وباسمك الذي دعاك به يوسف فأخرجته من السجن ... وباسمك الذي دعاك به أيوب إذ حل به البلاء فقال ﴿ رب إني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين ﴾ فاستجبت له وكشفت عنه ضره ... واسألك باسمك الذي دعاك به موسى وهارون ... وباسمك الذي دعاك**

---

(١) الاقبال : ج ٢/٥٢ .

به يونس بن متى في الظلمات ... واسألك باسمك الذي دعاك به زكريا وقال ﴿ رب لا تذرني فردا وأنت خير الوارثين ﴾ ... وباسمك الذي دعاك به يحيى فجعلته يرد القيامة ولم يعمل معصية ولم يهم بها ... واسألك باسمك الذي دعاك به عيسى بن مريم فأحيىٰ به الموتى وأبرأ الاكمه والابرص .... » [١] .

هذا : وقد استفاضت الروايات بتوسل جميع الانبياء بمحمد وآل محمد صلوات الله عليهم أجمعين .

ففي معتبرة معمر بن راشد قال : سمعت أبا عبدالله الصادق عليه السلام يقول : أتى يهودي النبي صلى الله عليه واله فقام بين يديه يحد النظر إليه ، فقال : يايهودي ما حاجتك ؟ قال : أنت أفضل أم موسى بن عمران النبي الذي كلمه الله وأنزل عليه التوراة والعصا وفلق له البحر وأظلّه بالغمام .

فقال له النبي صلى الله عليه واله : « **إنه يكره للعبد أن يزكي نفسه ، ولكني أقول : إن آدم عليه السلام لما أصاب الخطيئة كانت توبته أن قال : اللهم إني أسالك بحق محمد وآل محمد لما غفرت لي ، فغفرها الله له .**

وإن نوحاً عليه السلام لما ركب في السفينة وخاف الغرق قال : اللهم إني أسالك بحق محمد وآل محمد لما أنجيتني من الغرق ، فنجاه الله عنه .

وإن ابراهيم عليه السلام لما ألقي في النار قال : اللهم إني أسألك

---

(١) اقبال الاعمال : ج١٣٨/٣ ، وعنه البحار : ج٣٥٩/٩٨ .

بحق محمد وآل محمد لما نجيتني منها ، فجعلها الله عليه برداً وسلاماً .

وإن موسى لما ألقىٰ عصاه وأوجس في نفسه خيفة قال : اللهم إني أسالك بحق محمد وآل محمد لما آمنتني ، فقال الله جل جلاله ﴿ لا تخف إنك أنت الاعلى ﴾ [١] .

قلت : وروايات توسل كل الانبياء بمحمد وآل محمد مستفيضة لدى الفريقين بل لا يبعد تواترها ، ومنها تعرف أن هذا الاسم الاعظم الذي توسل به كل الانبياء هو نور الحقيقة المحمدية والعلوية .

فالأدعية السابقة التي فيها توسل الانبياء باسمه تعالى أوعزت إلى أن هذا الاسم هو الواسطة في النجاة ، ومعتبرة معمر وغيرها من الروايات عَزَتْ أن محور النجاة كان بتوسلهم بمحمد وآل محمد صلى الله عليهم أجمعين ، وهذا كاشف عن اتحاد بين اسمه تعالى ومحمد وآل محمد .

نعم هنالك اختلاف في المرتبة ، فالاسم الاعظم هو ذلك النور الذي كان بين يدي الله عز وجل ، ولهذا النور تنزلات ومراتب وشؤونات وتجليات وظهورات **﴿ وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم ﴾** [٢] .

الطائفة السادسة : متفرقات :

١ / أنهم عليهم السلام جلال الله سبحانه وتعالىٰ وجماله :

كما يدل على أنهم عليهم السلام أسماء جلاله وجماله تعالىٰ ما في

---

(١) الامالي للصدوق : ٢٨٧ مجلس ٣٩ حديث ٤ .

(٢) الحجر : ٢١ .

معتبرة سعد بن طريف عن ابي جعفر عليه السلام ـ في حديث ـ قال : « قال الله عز وجل ﴿ **تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام** ﴾ [(١)] فنحن جلال الله وكرامته التي أكرم الله تبارك وتعالى العباد بطاعتهم » [(٢)] .

وقد تكررت الاية مرتين في سورة الرحمٰن ، مرة في وسط السورة بلفظ ﴿ **كل من عليها فانٍ * ويبقىٰ وجه ربك ذو الجلال والاكرام** ﴾ ، ومرة في آخر السورة بلفظ ﴿ **تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام** ﴾ فاسم الاشارة وهو « ذو ، ذي » مرة جاء وصفاً للوجه كما هو في الاية الاولى ، ومرة للرب كما في الاية الثانية .

وقد استفاضت الروايات عنهم عليهم السلام أنهم وجه الله تعالى في قوله تعالى ﴿ **ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام** ﴾ [(٣)] ، فهم جلال الله وجماله .

فذو الجلال والاكرام اسم من الأسماء الحسنى جامع بمفهومه بين أسماء الجمال وأسماء الجلال جميعاً ، هكذا صرح العلامة الطباطبائي قدس سره في الميزان في تفسير الاية ، ومرتبة الجمع بين الأسماء الالهية هي مرتبة

---

(١) الرحمٰن : ٢٧ ، ٧٨ .

(٢) بصائر الدرجات : ٣٣٢ * مختصر بصائر الدرجات : ٥٦ ، عن شيخ القميين الاشعري عن البزنطي عن هشام بن سالم عن سعد بن طريف .

ورواه علي بن ابراهيم القمي في تفسيره :ج٣٤٦/٢ ، عن علي بن الحسين عن احمد بن عبدالله عن البزنطي عن هشام عن سعد ، وسعد هو ابن طريف الحنظلي قال النجاشي كوفي يعرف وينكر ، وعده الطوسي من رجال السجاد عليه السلام قائلا : روى عن أصبغ بن نباتة وهو صحيح الحديث ، ووثقه سيد الفقهاء والمجتهدين الخوئي قدس سره في المعجم .

(٣) ذكرناها في «وسائط الفيض الالهي» .

الاسم الاعظم ، فهم عليهم السلام الاسم الاعظم لله تعالى .

٢ / أنهم عليهم السلام محالّ معرفة الله تعالىٰ :

ومما يدل على أنهم عليهم السلام اسماؤه تعالى ـ ماورد في الزيارة الجامعة الصغيرة والكبيرة وغيرهما ـ أنهم « محال معرفة الله » ، وماورد في الزيارة الجامعة الصغيرة « **من عرفكم فقد عرف الله ومن جهلكم فقد جهل الله** » ، وأن معرفة كل أهل زمان إمامهم هي معرفة لله تعالى [١] ، وقوله صلى الله عليه واله « لولا أنا وعلي ما عُرف الله ، ولولا أنا وعلي ما عُبد الله ، ولولا أنا وعلي ما كان ثواب ولا عقاب » [٢] ، والاحاديث المستفيضة بل المتواترة إجمالا والتي لسانها « **بنا عبد الله ، وبنا عرف الله ، وبنا وحد الله** » وما بمعناها .

فهذه الاحاديث دلالتها واضحة على أنه بنور أهل البيت عليهم السلام عُرف الله عز وجل وعُبد ، وقد تقدم في المقام الثالث أن الله عز وجل يُعرف عن طريق أسمائه التكوينية ، وكلما كان الاسم عظيماً كانت حكايته عن الله تعالى ودلالته عليه أشدّ وأعظم ، وبما أن معرفتهم عليهم السلام معرفة لله تعالى وجهلهم جهل به تعالى ، فهذا كاشف عن أنهم عليهم السلام هم الاسم الاعظم ، ولو لم يكونوا كذلك لكان الجهل بهم لا يستلزم

---

(١) قال الحسين عليه السلام : أيها الناس إن الله عز وجل ذكره ما خلق العباد إلا ليعرفوه فإذا عرفوه عبدوه فإذا عبدوه استغنوا بعبادته عن عبادة ماسواه ، فقال رجل : يابن رسول الله بأبي أنت وامي فما معرفة الله ؟ قال : معرفة أهل كل زمان إمامهم الذي يجب عليهم طاعته ؛ علل الشرائع : ١٩ باب ٩ حديث ١ .

(٢) كتاب سليم بن قيس : ٨٥٨ ، وهو كتاب مشهور بين الطائفة .

بالضرورة الجهل بالله عز وجل ، إذا عُرف الاسم الاعظم مع افتراض أنه غيرهم عليهم السلام .

٣ / لافرق بينك وبينها إلا أنهم عبادك :

١ /الطوسي : قال أخبرني جماعة عن ابن عياش قال : مما خرج على يد الشيخ الكبير ابي جعفر محمد بن عثمان بن سعيد رضى الله عنه من الناحية المقدسة ما حدثني به خير بن عبدالله : قال كتبته من التوقيع الخارج إليه : « **اللهم إني أسألك بمعاني جميع مايدعوك به ولاة أمرك ، المأمونون على سرك المستسرون بأمرك الواصفون لقدرتك المعلنون لعظمتك .**

أسألك بما نطق فيهم من مشيتك ، فجعلتهم معادن لكلماتك ، وأركاناً لتوحيدك ، وآياتك ومقاماتك ، التي لاتعطيل لها في كل مكان ، يعرفك بها من عرفك ، لا فرق بينك وبينها إلا أنهم عبادُك وخَلْقُك فتقها ورتقها بيدك (١) **، بدؤها منك وعودها إليك ، أعضادٌ وأشهادٌ ومناةٌ وأزوادٌ ، وحفظةٌ وروَّادٌ ، فبهم ملأت سماءَكَ وأرضَكَ حتى ظهر أن لا إله الا أنت ... يا باطناً في ظهوره ويا ظاهراً في بطونه وكنونه ، باسمك الاعظم الاجل الاكرم الذي وضعته على النهار فأضاء وعلى الليل فأظلم ...** » (٢) .

---

(١) قال القيصري في شرح فصوص الحكم لابن عربي في الفصل الاول من مقدماته : مرتبة الانسان الكامل عبارة عن جمع جميع المراتب الالهية والكونية ، من العقول والنفوس الكلية والجزئية ومراتب الطبيعة الى آخر التنزلات ، ويسمى بالمرتبة العمائية أيضا ، فهي مضاهية للمرتبة الالهية ، ولا فرق بينها إلا بالربيوبية والمربوبية ، ولذلك صار خليفة الله .

(٢) مصباح الشيخ الطوسي : ٨٠٣ * الاقبال : ٢١٥/٣ ، والبحار : ٣٩٣/٩٨ ، وسنده حسن ، وقوة

والاثار التي ذكرت في هذا التوقيع الشريف هي المذكورة للاسم الاعظم ، ومنه تعرف أن المعصومين هم الاسم الاعظم ، ولو أردنا الاسترسال لا مكن الاستدلال بطوائف أخرى من الروايات ولكن في ما ذكرناه كفاية وزيادة لمن ﴿ **ألقى السمع وهو شهيد** ﴾ [1] .

المضمون كافية في الجزم بصدوره عن الناحية المقدسة ، وقد نقل عن العلامة الطباطبائي قدس سره صاحب تفسير الميزان أنه قال : « أن من أقوى المضامين التي وصلت إلينا من أدعية أهل البيت عليهم السلام هو هذا الدعاء الشريف المُسمّىٰ بدعاء رجب » وكان قدس سره ملتزماً بقراءته في طيلة أيام السنة .

(١) سورة ق : ٣٧.

نقد وتحليل

نظرية العرفاء والمتصوفة

ذهب العرفاء والمتصوّفة بأجمعهم تبعاً للشيخ محيي الدين بن عربى إلى أن الأسماء اللفظية هي اسم الاسم ، والاسم عندهم هو الذات الالهية باعتبار صفة وجودية كالعليم ، أو عدمية كالقدوس ، أو الذات بتجلٍ معين ، وبتعبير أوضح هو الذات المقدسة بإضافة فعل من أفعالها [١] ، فالذات المقدسة بتجلٍّ معين هي : الاسم [٢] الرحمٰن ، وبتجلٍّ وظهور آخر هي : الاسم الرحيم ، وبتجلٍّ ثالث هي : الاسم العالم ، وهكذا ، فالاسم عندهم هو عبارة عن الذات المقدسة باعتبار صفة من الصفات .

وعليه فالاسم عندهم متحدٌ مع الذات حقيقة ، مختلفٌ بالاعتبار ، بينما ـ كما قلنا سابقاً ـ بأن الاسم التكويني هو ما يتفرع في عالم الواقع من الذات بتجلٍّ خاص [٣] ، ومنه ينتزع الاسم المفهومي ، ومن المفهومي ينتزع الاسم اللفظي .

قال ملا هادي السبزواري قدس سره : « الاسم عند العرفاء هو حقيقة الوجود مأخوذة بتعيّن من التعيّنات الصفاتية من كمالاته تعالى ، أو باعتبار

---

(١) إن كان المراد من التجلي عندهم هو الفعل والاثر كما هو الظاهر ، المأخوذ من قوله تعالى ﴿ فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا ﴾ .

(٢) والفرق بين «اسم» و «الاسم» ، أن الاول اصطلاح للنحاة والثاني اصطلاح للعرفاء .

(٣) فلم يؤخذ في حقيقة الاسم الذات المقدسة ، بل أثر الذات هو الاسم ، وسيأتي وجه دقيق به يحصل الالتئام بين النظريتين ، والله العالم .

تجلٍّ خاص من التجليات الالهية »(١) .

وقال صدر المتألهين قدس سره : « إن ذاته تعالى باعتبار صفة من الصفات أو تجل من التجليات سمي بـ«الاسم» عند العرفاء ، وهذه الأسماء الملفوظة هي أسماء الأسماء ، وهي معانٍ معقولة في غيب الوجود الحق ، يتعيّن بها شؤونه وتجلياته ، وليست بموجودات عينيّة (٢) .

فكلمة الجبل ـ مثلا ـ لفظ يدل على الحقيقة المتعقلة ، وهذه الحقيقة المتعقلة كاشفة عن الجبل الواقعي الخارجي ، فلفظ الرحمٰن له معنى متعقل ، وهذا المعنى المتعقل كاشف عن تجلٍّ وشأن من شئون الحق تعالى التكوينية الواقعية ، فكلمة الرحمٰن في النظر الدقي هي « اسم اسم الاسم » فالاسم الاول إشارة الى الأسماء اللفظية ، والاسم الثاني إشارة للمعاني المتعقلة ، وهي ليست موجودات عينية خارجية ، بل هي موجودات في صقع العاقلة ، والاسم الثالث حقيقة الذات المقدسة لا مفهوم الذات المقدسة بتجلٍّ معين » (٣) .

وقال القيصري : « الذات مع صفة معينة واعتبار تجلٍّ من تجلياتها تسمى بالاسم ، فان الرحمٰن ذات لها الرحمة ، والقهار ذات لها القهر وهذه الأسماء الملفوظة هي أسماء الأسماء .

وقد يقال «الاسم» للصفة ، إذ الذات مشتركة بين الأسماء كلها ، والتكثر

---

(١) شرح الأسماء الحسنى : ٥٧٤ ، في شرح قوله «يامن له الأسماء الحسنى» .

(٢) تفسير القران الكريم : ج ٣٢٠/١ .

(٣) أما حسب النظرية المطروحة فالاسم الثالث هو اثر الذات المقدسة ، والذات هي المُسمّىٰ ، والاسم غير المُسمّىٰ .

فيها بسبب تكثر الصفات ، وذلك التكثر باعتبار مراتبها الغيبية ، التي هي مفاتيح الغيب »[1] .

أما المخلوقات فهي مظاهر للتجليات الالهية وبتعبير آخر مظاهر الأسماء الالهية ، فالذات المقدسة بقيدِ تجلٍّ ما اسم ، ومايَنشأ من ذلك التجلي مظهر لذلك الاسم ، فليس الأسماء الالهية شيء وراء الذات المقدسة ، بل هي الذات المقدسة بحيثية معينة ، وسائر المخلوقات مظاهر للاسماء الالهية ، فالواسطة بين الذات المقدسة والممكنات هي الأسماء وهي الذات متحيثة بحيثية معينة فهي برزخ بين الذات المقدسة بما هي هي وما سواها .

وقال صدر المتألهين قدس سره : « أن للحق تعالى شؤوناً وتجليات ذاتية أزلاً وأبداً ، وله بحسبها أسماء حقيقية ، وله أيضاً بحسب ﴿ كل يوم هو في شأن ﴾ شؤون وتجليات متجددة متعاقبة ، وله بحسبها أسماء وصفات إضافية أو سلبية ، ولكل من الاقسام الثلاثة نوع من الوجود .... وبالجملة فالذات الأحدية مع صفة معينة من صفاته أو باعتبار تجلٍّ خاص من تجلياته الذاتية أو الافعالية تسمى باسم من الأسماء ، وهذه الأسماء الملفوظة هي أسماء الاسماء »[2] .

فخلاصة ما ذهب إليه العرفاء والمتصوفة : أن الاسم عين المُسمّىٰ واقعاً ولا مغايرة بينهما إلا من حيث الاعتبار ، لأخذ الذات المقدسة وجوداً

---

(١) مقدمات فصوص الحكم .

(٢) مفاتيح الغيب : ج ٤٠٥/١ .

في حقيقة الاسم ، وأن الأسماء اللفظية ليست بأسماء للذات المقدّسة بما هي هي وإنما هي أسماء أسماء الأسماء ، وأن الاعيان الخارجية برمتها هي مظاهر لتلك الأسماء التي هي عين الذات المقدسة (١) .

ومنه تعرف أن لهم مصطلح جديد في حقيقة الاسم غير المصطلح اللغوي والشرعي ، إذ الاحاديث استعملت لفظة «الاسم» في الاسم اللفظي وفي الوجود الخارجي كما تقدم بيانه ، ولا مشاحة في الاصطلاح .

حقيقة الوجود عند العرفاء :

فالوجود عندهم متمثل بالهوية الغيبية وهي ذات الحق تعالى وتقدّس ، ولهذه الذات المقدسة أسماء ، ولهذه الأسماء مظاهر ويعبّر عنها بالاعيان الثابتة ، ولهذه المظاهر ـ وهي الاعيان الثابتة ـ ظهورات في عالم الاعيان الخارجية ، فالاسم عندهم هي الذات المقدسة بتجلٍّ خاص ، وعالم الوجود بما فيه من ممكنات هي مظاهر لتلك الاعيان الثابتة ، التي هي مظاهر للاسماء ، التي هي مظاهر للهوية الغيبية .

فالترتيب يكون كالاتي : ذات الحق تعالى ، الأسماء الحسنىٰ ، الاعيان الثابتة ، الاعيان الخارجية .

ويعبر عن المظهرية الاولى المرتبطة بالممكنات الخارجية بالفيض المقدس ، وعن المظهرية الثانية المرتبطة بالاعيان الثابتة بالفيض الأقدس ، ويعبر عن كلا الفيضين بالفيض المنبسط ، وإن كان الفيض المنبسط له

---

(١) وهذا يوافق ما ذهب إليه أبو الحسن الاشعري من اتحاد الاسم مع المُسمّىٰ ، راجع شرح المواقف : ٢٠٧/٨ .

اصطلاح أوسع من هذا المعنى المتقدم، والتفصيل في مقدمة شرح فصوص الحكم للقيصري.

فالأسماء التكوينية عندهم ليس كما ذهبنا إليه من كونها موجودات شريفة عالية مقدسة، بهم يُحيي اللهُ، وبهم يُميت، وبهم يُقدّم، وبهم يُؤخّر، وبهم يُمسك السماوات أن تقع على الارض إلا بإذنه، بل الأسماء الالهية - عندهم - ليست شيء وراء الذات المقدّسة لكن - كما قلنا - بنظرة وحيثية خاصة.

وما نعدّه أسماء تكويينة هي - عندهم - مظاهر لمظاهر الأسماء، فمظاهر الأسماء عندهم تسمىٰ بالاعيان الثابتة «الماهيات» وهي عين الذات المقدسة، لأن تحققها في الصقع الربوبي عندهم، ولهم في حقيقة الاعيان الثابتة كلام بعيد عن فهم الاذهان البشرية.

تحقيق المقام:

وليس لهم دليل على هذا إلا دعوى المكاشفة، وهي ليست بحجة إذا لم يصدّقها البرهان والقرآن، والبرهان قائم على أن الاسم غير المُسمّىٰ، إذ الاسم دال والمُسمّىٰ مدلول ولابد من التغاير بين الدال والمدلول، والتغاير المزعوم بين الذات بما هي هي وبين الذات بتجلٍّ ما، ممّا لا يصحح التغاير، إذ ليس هو تغاير واقعي وإنما تغاير اعتباري، والمقام لا ربط له بالاعتبار.

وإن أبيت فإن الايات القرانية وروايات أهل بيت العصمة لا تدل على أن الاسم هو ماذهبوا إليه، بل ماعدّوه أنه من مظاهر الأسماء جعلته الايات والروايات أسماء عينية خارجية تكوينية، ولكي نعطي النصفة في

المقام نذكر بعض الروايات التي لا دلالة فيها على أن الاسم هو الذات بتجلي خاص ، مع التعليق عليها حسب ما يقتضيه الايجاز [١] .

* ففي حسنة ابراهيم بن عمر عن أبي عبدالله عليه السلام : قال : إن الله تبارك وتعالى خلق إسماً بالحروف غير متصوت ، وباللفظ غير منطق وبالشخص غير مجسد وبالتشبيه غير موصوف وباللون غير مصبوغ ، منفي عنه الاقطار مبعد عنه الحدود ، محجوب عنه حس كل متوهم ، مستتر غير مستور فجعله كلمة تامة على أربعة أجزاء معاً ليس منها واحد قبل الاخر ، فأظهر منها ثلاثة أسماء لفاقة الخلق إليها وحجب واحدا منها وهو الاسم المكنون المخزون ... الحديث [٢] .

فهذه الرواية دالة بصراحة على أن الاسم مخلوق لله تعالى وأنه ليس من سنخ الالفاظ أو المفاهيم ، بل هو حقيقة جوهرية وعينية خارجية ، إلا إنه مبرءٌ عن المادة وآثارها ، يُعلم ذلك من قوله عليه السلام «وبالشخص» أي أن له تشخّص ووجود جوهري إلا أنه غير مجسّد كما هو شأن الجواهر المادية ، ولا له آثار المادة وإليه أشار عليه السلام «منفي عنه الاقطار مبعّد عنه الحدود» فليس له الابعاد الثلاثة التي تلازم الصور المثالية .

قال العارف المحقق الفيض الكاشاني قدس سره : « وكأن الاسم الموصوف بالصفات المذكورة إشارة الى أول ما خلق الله الذي مر ذكره في باب العقل ، أعني النور المحمدي والروحى الاحمدي والعقل الكلي ،

---

(١) سيأتي وجه دقيق في آخر المطاف تصحيحاً لما ذهبوا إليه ، فانتظر .

(٢) الكافي : ١١٢/١ ، التوحيد : ١٩٥ ، باب ٢٩ حديث ٣ .

وأجزاؤه الاربعة إشارة الى جهته الإلهية والعوالم الثلاثة التي يشتمل عليها ، أعني عالم العقول المجردة عن المواد والصور ، وعالم الخيال المجرد عن المواد دون الصور ، وعالم الاجساد المقارنة للمواد .

قال : وبعبارة أخرى إلى الحس والخيال والعقل والسر ، وبثالثة إلى الشهادة ، والغيب وغيب الغيب وغيب الغيوب ، وبرابعة إلى الملك والملكوت والجبروت واللاهوت ، ومعية الأجزاء عبارة عن لزوم كل منها الاخر وتوقفه عليه في تمامية الكلمة ، وجزؤه المكنون السر الالهي والغيب اللاهوتي .

الى أن قال : فالظاهر هو «الله» يعني أن الظاهر بهذه الأسماء الثلاثة هو الله ، فإن المُسمّىٰ يظهر بالاسم ويعرف به ، والاركان الاربعة الحياة والموت والرزق والعلم ، التي وُكل بها أربعة أملاك هي اسرافيل وعزرائيل وميكائيل وجبرائيل »[١] .

* وعن الحسين بن سعيد الخزاز عن رجاله عن أبي عبدالله عليه السلام قال : الله غاية من غياه ، والمغيىٰ غير الغاية ، توحّد بالربوبية ، ووصف نفسه بغير محدودية ، فالذاكر الله غير الله ، والله غير أسمائه وكل شيء وقع عليه اسم شيء سواه فهو مخلوق ، ألاترى الى قوله « العزة لله ، والعظمة لله »

---

(١) الوافي : ج ٤٦٤/١ ، وعلّق عليه الامام الخميني قدس سره بقوله : وهذا التحقيق الرشيق في كمال الصحة والمتانة ببعض الانظار والاعتبارات ، ولكن الانسب بالاعتبار ان يكون الاسم الموصوف بهذه الصفات مقام اطلاق الحقيقة المحمدية ، اي مقام المشيئة التي مبعد عنها الحدود حتى حد المهيّة .

وقال ﴿ ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها ﴾ [(١)] فالأسماء مضافة إليه وهو التوحيد الخالص [(٢)] .

فنجد بأن الامام عليه السلام استدل على ان الاسم غير المُسمّىٰ بالاضافة، إذ الاضافة تدل على المغايرة بين المضاف والمضاف إليه ولو كان ثَمَّ اتحاد لما صحت الاضافة ، اذ لايضاف الشيء الى نفسه ، فلا يقال نفس زيد ، وإنما يقال مال زيد ، فالتوحيد الخالص هو القول بالمغايرة بين الاسم والمسمى [(٣)] ، والصفة والموصوف وتنزيهه عن شركة الأسماء من أن تكون هي عين الذات أو من عوارضها ، بل هي مخلوقات خلقها الله وسيلة بينه وبين خلقه ليدعوه بها ويتوصلوا إلى معرفته عن طريقها كما في الحديث الشريف .

* وفي صحيحة الجعفري عن الجواد عليه السلام في حديث : بل كان الله ولا خلق ثم خلقها وسيلة بينه وبين خلقه يتضرعون بها إليه ويعبدونه وهي ذكره وكان الله ولا ذكر ، والمذكور بالذكر هو الله القديم الذي لم يزل ، والأسماء والصفات مخلوقات ، والمعاني والمعنيُّ بها هو الله الذي لا يليق بها الاختلاف ولا الائتلاف [(٤)] .

---

(١) الأعراف : ١٨٠ .

(٢) التوحيد : ٥٨ باب ٢ حديث ١٦ .

(٣) وهذه المغايرة ليست هي المغايرة التي تنصرف إليها الاذهان العرفية ، كمغايرة الشجر مع الحجر ، بل هذه المغايرة والبينونة لها معنىً اختص بمعرفته أهل المعرفة والذي عبّر عنه الامام أمير البيان عليه السلام في خطبه : أنها بينونة صفة لا بينونة عزلة .

(٤) الكافي : ١١٦/١ .

* وعن ابن سنان عن الرضا عليه السلام قال : ولكنه اختار لنفسه أسماء لغيره يدعوه بها لانه إذا لم يدع باسمه لم يعرف [١].

فقوله تعالى ﴿ **ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها** ﴾ [٢] هل المقصود به الأسماء اللفظية ، أم خصوص التكوينية ، أو الاعم من اللفظية والتكوينة ، على كل الحالات ، الاسم غير المُسمّىٰ لان الأسماء مضافة إلى المُسمّىٰ كما قال الامام عليه السلام ، فما ادعاه الصوفية من كون الاسم هو الذات بتجل معين ، يخالف ما عليه الروايات والايات ، فهو مصطلح جديد ، ولا مشاحة كما قلنا في الاصطلاح .

وبالجملة : ما ادعاه الصوفية من كون الاسم هو الذات بتجلٍّ معين خلافٌ صريحٌ للايات والروايات ، من مغايرة الاسم للمسمى ، ومن كونه مخلوقاً لله تعالى ففي الدعاء المأثور « اللهم اني أسألك باسمك الذي أطفأت به كلَّ نور وهو حيٌّ خلقتَه » [٣] وبقية الأدعية والروايات الصريحة في أنه مخلوق لله تعالى ، له حقيقة تكوينية خارجية ، لا يمكن أن يكون هو مراد الصوفية قطعاً .

تنبيه :

نعم وضع الأسماء ، سواء كانت أسماء الذات أم أسماء الصفات أم أسماء الافعال ، بحاجة إلى لحاظ الذات مع صفة أو فعل أو لحاظها مجردة ،

---

(١) الكافي : ١١٣/١ .

(٢) الأعراف : ١٨٠ .

(٣) مصباح المتهجد للشيخ الطوسي : ٢٥٧ ، جمال الاسبوع : ١٦٥ ، البحار : ١٧٢/٩١ .

ثم بعد ذلك يوضع لها أسماء معين ، فالموضوع شيء والموضوع له شيء آخر .

فنلحظ زيداً ـ مثلاً ـ وصفة من صفاته ولتكن صفة العمش ، فنضع له اسم «الأعمش» ، فالاعمش وزيد والعمش ، بلحاظ الالفاظ هم ثلاثة ، وبلحاظ الوجود الخارجي ثمة اتحاد بين زيد والعمش ، وتباين بين زيد وصفته وبين الاسم ، والذي هو تموجات خاصة ملفوظة ، فزيد وصفته منشأ انتزاع ـ أو وضع ـ الاسم اللفظي .

فليس حقيقة الذات مأخوذة في حقيقة الاسم ، وإنما لحاظ وتعقل الذات مأخوذ في حقيقة الاسم ، سواء كان الاسم لفظياً أم تكوينياً .

وخلاصة كلامنا مع العرفاء والصوفية ومن تبعهم ما يلي :

١ / تأكيد أهل البيت عليهم السلام أن الاسم غير المُسمّىٰ والاستدلال على ذلك بالاضافة كما تقدم في رواية الخزاز ، ممّا يشعر على أن النزاع ليس فقط مقتصراً على اللفظ بل هو أوسع من ذلك ، فكل ماهو أسم لشيء فهو ليس بمسماه ، وإلا لما صحت الاضافة ، وليس النزاع بين الائمة عليهم السلام وبين المتكلمين آنذاك في المغايرة بين الاسم اللفظي والمُسمّىٰ ، بل النزاع أعم من ذلك [١] .

---

(١) وهو ظاهر قوله عليه السلام في رواية عبد الاعلى المتقدمة «اسم الله غير الله ، وكل شيء وقع عليه اسم شيء فهو مخلوق ماخلا الله ، فأما ماعبرته الالسن أو ما عملته الايدي فهو مخلوق... والله يسمى بأسمائه وهو غير أسمائه والأسماء غيره» فقوله عليه السلام «فأما ما عبرته الالسن أو عملته الايدي» ظاهر في أن النزاع في الأسماء ليست التي من سنخ الوجود اللفظي فقط بل تشمل الوجود العيني الخارجي .

بخلاف صفاته تعالى فإنها عين ذاته ، والعينيّة في الصفات والغيرية في الأسماء ـ كما تقدم في مستهل البحث ـ هي العينيّة والغيرية الخارجية الحقيقية ، لا الاعتبارية واللحاظية ، والعرفاء يصرون على أن الغيرية في الأسماء هي غيرية لحاظية مفهومية اعتبارية ، والله العالم .

قال الشيخ البهائي قدس سره : « اعلم أن أرباب القلوب على أن الاسم هو الذات مع صفة معيّنة وتجلٍّ خاص [١] ، وهذا الاسم هو الذي وقع فيه التشاجر من أنه عين المُسمّىٰ أو غيره ، وليس التشاجر في مجرد اللفظ كما ظنّه المتكلمون فسوّدوا قراطيسهم وأفعموا كراديسهم بما لا يجدي بطائل ، ولا يفوق العالم به على الجاهل » [٢] .

وقال الرازي : « إن كان المراد من الاسم هذا اللفظ الذي هو أصوات مقطعة وحروف مؤلفة ، وبالمسمى تلك الذوات في أنفسها ، وتلك الحائق بأعيانها ، فالعلم الضروري حاصل بأن الاسم غير المسمى ، والخوض في هذه المسألة على هذا التقدير يكون عبثاً ، وإن كان المراد بالاسم ذات المسمىٰ ، وبالمسمىٰ أيضا تلك الذات ، كان قولنا الاسم هو المسمى ، معناه أن ذات الشيء عين الشيء ، وهذا وإن كان حقاً إلا أنه من باب إيضاح الواضحات وهو عبث ، فثبت أن الخوض في هذا البحث على جميع التقديرات يجري مجرى العبث » [٣] .

---

(١) بينما الاسم عندنا هو لحاظ الذات مع صفة معينة أو تجل خاص ، سواء كان الاسم لفظيا أم معنوياً .

(٢) الكشكول : ج ٥٤٢/١ .

(٣) التفسير الكبير : ١٠٩/١ .

وعليه تعرف أن تأكيد أهل البيت عليهم السلام : أن الاسم غير المسمىٰ ، ليس في الاسم اللفظي وإلا كان ذلك عبث لا فائدة منه ، وأحاديثهم عليهم السلام مقدّسة ومنزّهة عن ذلك .

٢ / أن أسماء الله تعالى مخلوقة كما في عدة من الروايات والادعية [١] ، والمخلوق محدود والله سبحانه وتعالى منزه عن الحد ، ينتج أن المحدود يغاير غير المحدود .

وبتعبير أدق : الاحاديث ركزت على أن الاسم مخلوق لله عز وجل ، والاسم عند العرفاء والمتصوفة هو الذات المقدسة بتجل ما ، والذات المقدسة ليست مخلوقة ، فان كان الاسم عندهم هو التجلي خاصة فمرحباً بالوفاق ، أما اذا أخذ في حقيقة الاسم الذات المقدسة بقيد التجلي فلا يصدق على أن هذا الاسم مخلوق ، فتدبر .

٣ / أن الاحاديث المتقدمة وغيرها أطلقت الاسم على مخلوقات الله تعالى ، كقوله عليه السلام « والله نحن أسماء الله الحسنى » فصريح الحديث ينافي كونهم عليهم السلام مظاهر للاسماء فحسب ، إلا على القول باتحاد الظاهر والمظهر على ما يقتضيه القول بوحدة الوجود والموجود التي أصر عليها المتصوفة ، والتي لها بعض التفسيرات الصحيحة وفق نظام الأمر بين الأمرين الذي أسسه الائمة عليهم أفضل الصلاة والسلام ، من أن وجود الكائنات قاطبة له انتساب للخالق وله انتساب للمخلوق حقيقة [٢] .

---

(١) كما مر في صحيحة الجعفري وغيره .

(٢) راجع كتابنا « وسائط الفيض الالهي » .

كما أن قوله تعالى ﴿ **وعلم آدم الأسماء كلها** ﴾ [1] شاهد قوي على إطلاق الاسم على الاعيان الخارجية ، بدليل قوله تعالى ﴿ **ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبؤوني بأسماء هؤلاء** ﴾ فالضمير «هم» لايستعمل إلا للعاقل ، وكذا إسم الاشارة «هؤلاء» لا يستعمل إلا للعاقل الحي الحاضر دون الغائب ، فالأسماء مخلوقات ذات شعور حيّة حاضرة لدى آدم عليه السلام ، وقد تقدم أن هذه الأسماء هي أسماء وحقائق أهل البيت عليهم السلام كما دلت عليه الروايات وهي الكلمات التي تلقاها آدم فتاب الله عليه .

وليس مرامنا تخطئة الصوفية ، إذ لعل مافهمناه من كلامهم ليس مقصودا لهم ، وإنما ما ذكرناه فهماً لكلماتهم لا دليل عليه وخلاف ظاهر بل نص الايات والروايات .

والظاهر من قوله تعالى ﴿ **ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها** ﴾ أن الأسماء غير الذات ، وإنما واسطة للارتباط بالله تعالى ، فالضمير في قوله «فادعوه» غير الضمير في قوله «بها» ، فالضمير الأول عائد إلى اسم الجلالة «الله» ، والضمير الثاني عائد إلى الأسماء الحسنى ، فتدبر .

٤ / ما في عدة من الروايات الصحيحة ـ كصحيحة هشام المتقدمة وصحيحة ابن رئاب عن غير واحد من اصحاب الصادق عليه السلام ـ : « **أن من عبد الله بالتوهم فقد كفر ، ومن عبد الاسم ولم يعبد المعنى فقد كفر ، ومن عبد الاسم والمعنى فقد أشرك ، ومن عبد المعنى بايقاع الأسماء**

---

(١) البقرة : ٣١.

عليه بصفاته التي يصف بها نفسه فعقد عليه قلبه ونطق به لسانه في سر امره وعلانيته فاولئك اصحاب امير المؤمنين عـليه السـلام أولئك هـم المؤمنون حقاً » [١] ، دال على أن الاسم غير المُسمّىٰ حقيقة وتكويناً ، ولو كان الاسم هو ما ذهب إليه الصوفية لكان عبادته ليس كفراً وشركا ، إذ هـو الذات المقدسة بتجلٍّ معين ، فعبادته تكون صحيحة ولا شرك فيها .

وبما أن هذا النمط من الاحاديث يثبت أن من عـبد الاسـم فـقد كـفر ، فيستنتج من ذلك إن الاسم المشار إليه في الاحاديث غير ما عليه الصوفية ، وكما أنه ليس المقصود من الاسم هنا هو الاسم اللفظي إذ تصور عبادة اللفظ عند البشر في غاية الخفاء ، فتأمل .

والظاهر ـ والله العالم ـ أن منشأ ذهاب الصوفية وعـلى رأسـهم الشـيخ محي الدين بن عربي الى إتحاد الاسم مع المُسمّىٰ ، إنما هو تبعاً لأبي الحسن الاشعري الذي اصر على اتحاد الاسم والمُسمّىٰ ، وليس مرامه قطعاً الاسم اللفظي ، لانه أجل من أن يتوهم ذلك [٢] .

نعم ـ كما قلنا ـ أُخذ في تعريف الاسم لحاظ الذات المقدسة ، وذلك لان الاسم ما هو إلا علامة وآية للمسمىٰ ، فمعرفته لا تكون إلا بمعرفة المسمىٰ ، لأن المعنىٰ الحرفي معناه في غيره فلا معنى له محصل إلا بلحاظ غيره ، ولا وجود له إلا بوجود غيره .

---

(١) البحار : ٤/١٦٦ نقلا عن توحيد الصدوق .

(٢) قال : « إن الاسم عينى المُسمّىٰ أي ذاته من حيث هي هي نحو الله ، فإنه اسم للذات مـن غـير اعتبار معنى فيه » شرح المواقف : ٨/٢٠٧ ويريد من الاسم المدلول لا اللفظ المتكلم به .

الوفاق مع العرفاء والمتصوفة :

وبما أن مخالفة الشيخ محيي الدين بن عربي عند المتصوّفة والعرفاء أمر غير مرغوب فيه وغير محبّذة ، حاول بعض العرفاء المحققين من التوفيق والجمع بين كشفه والادلة الشرعية والعقلية ، إذ قول الامام الرضا عليه السلام « أن الاسم صفة لموصوف » يمكن أن يكون إشارة لما عليه المتصوفة من أن الذات المقدسة بتجلٍّ خاص هي «الإسم» ، ولهذا الاسم تنزلات وأطوار ، فما يتفرع عليه وجوداً وانتزاعاً هو اسم ايضا .

وبتعبير آخر : أن الاسم ما دل على المُسمّىٰ ، وهو إما أن يكون ذات المُسمّىٰ ، أو وجوداً عينياً ، أو عَرَضاً ، فالاول كقوله عليه السلام في الدعاء « يامن دل على ذاته بذاته » فاتحد الدال والمدلول واختلفا بالاعتبار والحيثية [١] ، والثاني قولهم عليهم السلام « **نحن الأسماء الحسنى** » ، والثالث الأسماء اللفظية لفظ الرحمن والرحيم والباري والمصور والقيّوم .

وعليه فللعرفاء والمتصوفة اصطلاحان :

الاول : وهو الاصطلاح المتعارف عندهم ـ الذي لا نظر للروايات له ـ وهو الذات المقدسة المتعالية باعتبار صفاتها أو تجلٍّ من التجليات .

---

(١) قلت : الاعتبار واختلاف الحيثية إنما يصحح الحمل ، كحمل الصفات على الذات المقدسة . وصحة الحمل لا تقتضي التغاير الوجودي ، والاحاديث ناصة على التغاير الوجودي بين الذات والأسماء ، وقد قلنا سابقاً ان هذه الغيرية بين الذات والأسماء في كلمات أهل البيت عليهم السلام غيرية مصداقية لا مفهومية فحسب ، فتحميل الروايات ما عليه المتصوفة خلاف صريح لتلكم النصوص ، فلا بد من المصير إلى أن ما ذهب إليه المتصوفة اصطلاح خاص .

الثاني : كل ما في عالم الوجود اسم وعلامة له تعالى وتقدَّس [١] .

قال صدر المتأليهن قدس سره : « وقد تطلق الأسماء عندهم ـ أي عند المتصوفة ـ على الموجودات العينيّة باعتبار كونها مظاهر لتلك الأسماء التي هي معان غيبية ، وذلك لاتحادهما في المفهوم ـ وإن اختلفا في الوجوب والامكان ـ مثلا للعلم حقيقة ذاتية هي كونه عين هويّة الحق الاول ، وحقيقة أسمائية هي معنىً عقلي إنتزاعي من شؤون الحق وتجلياته ، وحقيقة إمكانية هي ذوات العقلاء ، فكل واحد من العقول المجردة عندهم إسم عليمٌ من مراتب اسم الله «العليم» وهكذا في جميع الأسماء .

فعلى هذا حقائق العالم كلها من أسماء الله تعالى فتعليمه تعالى أسماء الاشياء لآدم إرادته الاجناس التي خلقها وإلهامه إياه معرفته أحوالها وما يتعلق بها عن اللوازم » [٢] .

وقال في موضع آخر : « الاسم موضوع فى اللغة لفظ دال على معنى مستقل ، لأنه مشتق من السمة وهو العلامة ، فكانّه كان منقولا لغويا نقل من مطلق العلامة للشيء إلى علامة خاصة وهو اللفظ الدال عليه بالاستقلال ، ولمّا كان نظر العرفاء إلى إصل كل شيء وملاك امره من غير احتجابهم بالخصوصيات وموارد الاوضاع كان الاسم عندهم أعم وأشمل من أن يكون

(١) ولكن ذكر جماعة من العرفاء مجموعة من الروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام المتعرضة للاسماء لاجل تأييد ما ذهبوا إليه من إرتباط الاسم بالمُسمّىٰ كما ذكرنا ـ، فيرد عليهم أن المُسمّىٰ غير الاسم خارجاً ومصداقا ، بينما الاسم بمعناه الاول عند المتصوفة عين الاسم خارجاً وغيره اعتباراً ، فكان الاولى بهم عدم تحميل الروايات ما لا تطيق .

(٢) تفسير القران لصدر المتألهين : ج ٣٢٠/١.

لفظا مسموعا أو صورة معلومة أو عينا موجودا .

ويشبه أن يكون عرفهم يطابق القران والحديث فان الاسم في قوله تعالى ﴿ **سبح اسم ربك الاعلى** ﴾ [١] ، وقوله ﴿ **تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام** ﴾ [٢] مستبعد أن يكون المراد به الحرف والصوت وما يلتئم منهما لانهما من عوارض الاجسام وماهو كذلك يكون أخس الاشياء فكيف يكون مسبحاً مقدساً .

فإذا وقعت الاستعانة والتبرك باسمه تعالى في مثل قولك : باسم الله أقرأ ، وبسم الله اكتب ، وجرت العادة بالتوسل إلى اسم الله لطلب الحوائج وكفاية المهمات في مثل بسم الله الشافي وفي الادعية النبوية « **باسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الارض ولا في السماء** » .

وقد ثبت عند محققي العلماء أن المؤثر فى جواهر الاكوان ليس إلا الباري جل اسمه ، أو ملك مقرب من ملائكته باذنه فلا تأثير للعوارض الجسمانية فى الاشياء الجوهرية » [٣] .

وقال القيصري : « اعلم أن الاشياء الموجودة في الخارج كلها داخلة تحت الاسم «الظاهر» من حيث وجودها الخارجي ، والحق من حيث ظهوره عين الظاهر ، كما انه من حيث بطونه عين الباطن ، فكما أن الاعيان الثابتة في العلم من حيث الباطن أسماؤه تعالى ، والموجودات مظاهرها كذلك طبائع

---

(١) الاعلىٰ : ١.

(٢) الرحمٰن : ٧٨.

(٣) تفسير ملا صدار ، سورة الفاتحة .

الاعيان الموجودة في الخارج ، من حيث الظاهر اسماؤه تعالى ، والاشخاص مظاهرها ، فكل حقيقة خارجية ـ سواء كانت جنساً أو نوعاً ـ اسم من أمهات الأسماء ، لكونها كلية مشتملة على أفراد جزئية .

بل كل شخص أيضا اسم من الأسماء الجزئية ، لان الشخص هو عين تلك الحقيقة مع عوارض مشخصة لها لا غير ، هذا باعتبار اتحاد الظاهر والمظهر في الخارج ، وأما باعتبار تغايرها العقلي ، فالاشخاص مظاهرها الخارجية كما أنها مظاهر للاعيان الثابتة ، وهي مظاهر للاسماء والصفات فافهم »[(١)] .

وقال الحكيم الالهي ملا هادي السبزواري قدس سره : « لكل شيء : وجودٌ عيني وذهني ولفظي وكتبي ، والكل وجوداته وأطواره ، وعلاقتها معه : إما طبيعيّة أو وضعية ، فكما أن وجوده الذهني وجوده ، كذلك وجوده اللفظي والكتبي ، إذا جعلا عنوانين له آلتَيْن للحاظه ، فانّ وجه الشيء ، هو الشيء بوجهٍ وظهور الشيء هو هو ، فاذا سمع لفظ السماء مثلا ، أو نظر إلى نقشه يستغرق في وجوده الذهني الذي هو أربط وأعلق به ، ولا يلتفت إلى أنه كيف مسموع أم مبصر ، بل جوهر بجوهريته وظهور من ظهوراته وطورٌ من أطواره ، ومن ثم لايمس نقش الجلالة بلا طهارة ، ويترتب على تعويذه وتعويذ أسماء الانبياء والائمة عليهم السلام الآثار .

قال : ثم يمكن أن يراد « **بالأسماء الحسنى** » في هذا الاسم الشريف

---

(١) شرح فصوص الحكم : الفصل الثاني «في أسمائه وصفاته تعالى» ، وقال في موضع سابق : وقد يقال «الاسم» للصفة ، إذ الذات مشتركة بين الأسماء كلها ، والتكثر فيها بسبب تكثر الصفات .

الائمة الاطهار كما ورد عنهم عليهم السلام « **نحن الأسماء الحسنى التي لا يقبل الله عملا إلا بمعرفتنا** » ، وفي كلام أمير المؤمنين عليه السلام « أنا الأسماء الحسنى » فإن الاسم من السمة والعلامة ، ولا شك أنهم علائمه العظمى وآياته الكبرى ، كما قال النبي صلى الله عليه واله « **من رآني رأى الحق** » ، ولان مقام الأسماء والصفات مقامهم عليهم السلام ، وحق معرفته حاصل لهم ، والتحقق بأسمائه والتخلق باخلاقه حقهم ، فهم المرحومون برحمته الصفتية والمستفيضون بفيضة الأقدس ، كما أنهم مرحومون برحمته الفعلية والفيض المقدس ، وأما معرفة كنه «المسمى» والمرتبة الاحدية فهي مما استأثرها الله لنفسه »(١) .

وقال الامام الخميني ﷺ : « إعلم هداك الله إلى الاسم الاعظم وعلّمك مالم تكن تعلم ، إن لله تبارك وتعالى إسماً أعظم اذا دعي به على مغالق أبواب السماء للفتح بالرحمة انفتحت ، وإذا دعي به على مضائق أبواب الأرض للفرج انفرجت ، وله حقيقة بحسب مقام الالوهية ، وحقيقة بحسب مقام المألوهية ، وحقيقة بحسب اللفظ والعبارة .

أما الاسم بحسب الحقيقة الغيبية التي لا يعلمها إلا هو ولا استثناء فيه ، فبالاعتبار الذي سبق ذكره وهو الحرف الثالث والسبعون المستأثر لنفسه في علم غيبه ، كما في رواية الكافي في باب « ما اعطوا من اسم الله الاعظم » .

قال : وأما الاسم الاعظم بحسب مقام الالوهية والواحدية فهو الاسم الجامع لجميع الأسماء الالهية ، جامعية مبدء الأشياء وأصلها لها ، والنواة

---

(١) شرح الأسماء الحسنى : ٥٧٥ ، شرح قوله «يامن له الأسماء الحسنى» .

للاشجار من الفروع والأغصان والاوراق ، أو اشتمال الجملة على أجزائـها كالعسكر على الافواج والافراد .

وهذا الاسم بالاعتبار الاول ، بل بالاعتبار الثاني أيضا حاكم على جميع الأسماء وجميعها مظهره ، ومقدم بالذات على المراتب الالهية ، ولا يتجلى هذا الاسم بحسب الحقيقة تاماً إلا لنفسه ، ولمن ارتـضى مـن عـباده وهـو مظهره التام ، أي صورة الحقيقة الانسانية التي هي صورة جميع العوالم ، وهي مربوب هذا الاسم ، وليس في النوع الانساني أحد يتجلى له هذا الاسم على ما هو عليه إلا الحـقيقة المـحمدية صـلى اللـه عـليه واله ، وأوليـائه الذيـن يتحدون معه في الروحانية ، وذلك هو الغيب الذي استثنى منه من ارتضى من عباده ، وفي رواية الكافي « **والله لمحمدٌ صلى الله عليه واله ، ممن ارتضاه** » .

قال : وأما الاسم الاعظم بحسب الحقيقة العينية فـهو الانسـان الكـامل خليفة الله في العالمين ، وهو الحقيقة المحمدية ، صلى الله عليه واله التي بعينها الثابت متحدة مع الاسم الاعظم في مقام الالهية ، وسائر الاعيان الثابتة بل الأسماء الالهية ... فالحقيقة المحمدية هي التي تجلت فـي العـوالم مـن العقل إلى الهيولىٰ ، والعالم ظهورها وتجليها ، وكل ذرة من مراتب الوجود تفصيل هذه الصورة ، وهذه هي الاسم الاعظم ، وبحقيقتها الخارجة عـبارة عن ظهور المشيئة التي لا تعيّن فيها ، وبها حقيقة كل ذي حقيقة وتعيّن كل متعين « خلق الله الاشياء بالمشيئة والمشيئة بنفسها » ، وهذه البُنية المسماة بمحمد بن عبدالله صلى الله عليه واله النازلة من عالم العلم الالهي إلى عالم

الملك ، لخلاص المسجونين في سجن عالم الطبيعة مُجملة تلك الحقيقة الكلية ، وانطوى فيها جميع المراتب انطواء العقل التفصيلي في العقل البسيط الاجمالي .

قال : وأما حقيقته بحسب اللفظ والعبارة فعلمها عند الاولياء المرضيين والعلماء الراسخين ومخفية على سائر الخلق ، وما ذكر من حروف الاسم الاعظم أو كلماته في كتب القوم من العرفاء والمشايخ ، إما من الآثار النبوية أو من أثر الكشف والرياضة عند الخلوص من دار الوحشة والظلمة .

قال : تعقيب وتحصيل :

لعلك في هدى وصراط مستقيم من أسماء ربك وآيات بارئك ، وفي غنى عن بيان ان سلسلة الوجود وعوالم الغيب والشهود من الملائكة المقربين واصحاب اليمين ، والصافات صفاً والمدبرات أمراً والزاجرات زجراً ، ومن كليات العوالم من الانواع العاليات والسافلات وجزئياتها ، إلى ان ينتهي الأمر إلى الغواسق الظلمانية والنشأة الهيولانية كلها أسماء إلهية »[1] .

وقال قدس سره : « الاسم هو العلامة ، وغاية الأمر أن له مراتب ، فهناك إسم يجسد تمام معنى العلامة ، وهناك اسم دونه حتى يصل إلى مرتبة سائر الموجودات ، فجميعها علامات وجميعها ظهور للاسم على مراتب ، وقد ورد في الحديث الشريف « نحن الأسماء الحسنى » فالاسم الأعلى في مقام

---

(١) شرح دعاء السحر : ٧٥ ، ٨٧ ، نقلناه بطوله لانه شرح لما مر من الروايات ولما فيه من الفائدة .

الظهور هو النبي الاكرم والائمة الاطهار »[١] .

وقال العارف الجنابذي علي شاه قدس سره : « للاسم اعتباران :

اعتبار كونه اسماً ومرآة للمسمى ، وبهذا الاعتبار لا يكون له نفسية ولا وجود مغاير للمسمى بل يكون وجوده وجود المُسمّىٰ ورقيقة منه ونفسيته نفسيّة المُسمّىٰ ، ولذلك لا يكون الحكم في الكلام إلا على المُسمّىٰ ولا يكون النظر إلا الى المُسمّىٰ ، فان قولك « جاء زيد » لا يكون النظر فيه ولا الحكم إلا على المُسمّىٰ .

والاخر اعتبار كونه موجوداً مغايراً للمسمى منظوراً إليه محكوماً عليه ، وبهذا الاعتبار يكون هو كالمُسمّىٰ أمرا موجوداً مستقلاً محكوماً عليه مغايراً للمسمى ، وبهذا الاعتبار يصير الاسم مسمى وله أسماء مثل قولك «زيد لفظ مركب من ثلاثة أحرف» فإن زيد في هذا القول له أسماء عديدة مثل الاسم واللفظ والكلمة والمركب والموضوع والدال والعَلَم وغير ذلك ، وبهذا الاعتبار لا يكون مظهراً ومرآة للمسمى ولا دالاً عليه .

ولما كان جملة العالم برمّتها أسماء لله تعالى كان هذان الاعتباران ثابتين لها ، وإلى هذين الاعتبارين أشار تعالى بقوله ﴿ **إن هي الا أسماء** ﴾ يعني ليست هي مسميات ومنظوراً اليها ومستقلات مغايرات لله سميتموها أنتم ، يعني أنكم صرتم محجوبين عن المُسمّىٰ ناظرين إلى الأسماء من حيث أنها مستقلات في الوجود جاعلين لها مسميات فصرتم مشركين وكافرين لهذا النظر .

---

(١) تفسير سورة الفاتحة : ٤٣ .

قال : والناس في النظر إلى الاشياء مختلفون ، فناظر ينظر إليها من حيث أنها أسماء لله غافلا عن وجودها وعن النظر إليها ، أو شاعراً بالنظر اليها ، وناظر ينظر اليها من حيث أنها مسميات غافلا عن المُسمّىٰ ، وناظر ينظر إليها مستقلات وإلى المُسمّىٰ .

والاول وهو الذي ينظر الى الاشياء من حيث أنها أسماء غافلا عن نظره إليها هو الذي يعبد المُسمّىٰ بايقاع الأسماء عليه ويكون موحداً ، والذي ينظر إلى الأسماء من حيث أنها مسميات مستقلات غافلا عن المُسمّىٰ هو الذي يعبد الاسم دون المُسمّىٰ ويكون كافراً ، وهذا حال أكثر الناس ، والذي ينظر إلى الأسماء حال كونها مسميات مستقلات وإلى المُسمّىٰ حال كونه مسمى مستقلا مغايراً مبايناً عن الأسماء هو الذي يعبد الاسم والمُسمّىٰ ويكون مشركاً ، والناظر إلى الأسماء من حيث أنها أسماء شاعراً بنظره هو الكامل الجامع للطرفين » (١) .

وقال الحكيم الاصولي أبو الحسن الرفيعي ﷺ : « واعلم انّ الاسم لفظي ووجودي .

فالاول واضح ، والثاني هو المظاهر الكونية للاسماء الالهية فكل اسم يكون مظهريته أقوى كان أكبر ، والاسم الاعظم الاكبر هو الحقيقة المحمدية صلى الله عليه واله كما قال « من رآني فقد رأى الحق » وعن الائمة عليهم السلام « **نحن الأسماء الحسنى** » ، فما من موجود إلا وهو اسم بوجه ،

---

(١) تفسير بيان السعادة : ج ٢٦/١ .

وتحت عناية اسم إلهي بوجه آخر »[١] .

فتحصل مما تقدم : كون الاسم عند العرفاء هو الذات بتجلٍّ خاص ، لا ينافي أن جميع ما في عالم الامكان أسماء له تعالى ، وكون الشيء مَظْهَراً لاسم من الأسماء الالهية لا يستلزم عدم اسميته في موقعه الخاص به ، فهو مظهر لاسم أكبر منه ، وكونه كذلك يقتضي أن يكون اسماً أيضا ، وهذا واضح عبر ما بيّنه الحكيم السبزواري قدس سره من اختلاف نشآت الوجود وتعددها طولاً وعَرْضا .

ولعل من نفى من الاساتذة كونهم عليهم السلام عين الأسماء الحسنى وأن الحقيقة المحمدية هي الاسم الاعظم ، تصوّر أن الأسماء اللفظية تكون أسماء لهم ، وأن ذواتهم عليهم السلام عين الذات المقدسة ـ تعالى الله عن ذلك ـ ، اذ على مذاق المتصوفة والعرفاء أن الأسماء اللفظية هي أسماء الأسماء ، فيكون لفظ «الرحمن» و «الرحيم» و «القيوم» أسماء للاسم العيني وهم أهل البيت عليهم السلام ، وهذا ما لا تقبله النفس .

لكن هذا التصور في غير محله ، إذ كما أن الاسم العيني اسم له تعالى ، كذلك الاسم اللفظي اسم له ، لا لغيره ، ولسنا مضطرين لان نوافق الصوفية فيما ذهبوا إليه ـ من الاسم بمعناه الاول ـ إذ هو مجرد اصطلاح .

وفاق أدق وأعمق :

نعم يمكن التوفيق بين ما ذكره العرفاء والمتصوفة بالنسبة إلى حقيقة

---

(١) شرح دعاء السحر : ١٠١ ، ضمن مجموعة من الرسائل والحواشي .

الاسم بالمعنى الاصطلاحي الاول ، وما في عدة من الايات والروايات : أن حقيقة الاسم الخارجي متقوّم بالمُسمّىٰ ، فكون الشيء اسماً لشيء آخر معناه أنه معنىً حرفي لا استقلال له في الوجود والتحقق ، فوجوده بغيره تحققاً واستدامة ، ومعرفته لا تكون إلا بذلك الغير ، كما أن تعريفه لابد من أخذ ذلك الغير في بيان حقيقته ، فمعرفة الممكنات والمعاني الحرفية متأخر رتبة عن معرفة الله عز وجل ، وهذا أوثق التفاسير لقوله عليه السلام « **من عرف نفسه فقد عرف ربه** » ، إذ أن معرفة النفس لا تتحقق إلا بعد معرفة الرب أولا ﴿ **ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون** ﴾ [1] .

وهذا واضح وفق نظام « الأمر بين الأمرين » الحاكم على نظام الوجود بأكمله ، فكما أن صفات الموجودات الإمكانية وأفعالها خاضعة لهذا النظام ، كذلك أصل وجود هذه الممكنات وتحققها في الخارج ، فوجودي «أنا» له نسبة إليّ وإلى الله عز وجل وفق هذا النظام الأتم والاكمل ، الذي أسس بيانه الائمة عليهم السلام ، ومنه يعرف بعض التفسيرات الصحيحة والدقيقة والواقعية لوحدة الوجود التي يقول بها العارف فافهم وتأمل جيداً [2] .

وللانسان قابلية على أن يلحظ المعنى الحرفي معنىً اسمياً ، فيمكنه بفضل ما أعطاه الله تعالى من قدرة أن يلحظ المعنى الحرفي بشكل مستقل ، لأنه بعد أن يشاهد حقيقة المعنىٰ الحرفي وتعلقه وجوداً بالمعنى الإسمي

---

(١) الحشر : ١٩ .

(٢) والتفصيل في كتابنا « الوجود حقيقة واحدة مشككة » .

يمكنه من خلال هذه المشاهدة أن يأخذ صورة ومفهوماً لهذا المعنى الحرفي ، وبعد أن يأخذ الصورة والمفهوم يمكنه أن ينظر إليه بشكل مستقل ، وهو المعبر عند الحكماء بأنه لا اختلاف نوعياً بين المعنىٰ الحرفي والمعنىٰ الاسمي ، وهو المُسمّىٰ عندهم التخليط في عين التجريد ، أو التخلية في عين التحلية .

فالمعنىٰ الحرفي متقوم بالغير وجوداً وتحققاً ، فحينما ننظر إليه ونشاهده على حقيقته فسوف نجد بأنه متقوم بالمُسمّىٰ ، وهذا هو معنى الاضافة الاشراقية التي يقول بها أصحاب الحكمة المتعالية [١] ، وإذا كان متقوماً بالمُسمّىٰ وجوداً ، فهو كذلك في بقية الاصقاع والمراتب .

مع فارق أنه في غير الوجود العيني يمكن أن ينظر إليه بشكل مستقل ونجعل له وجوداً مستقلاً متوهماً ، كما يمكن أن ينظر إليه آلةً وعلامة على مسماه .

فبعض الاحاديث ناظرة إلى الاسم متقوماً بغيره ، والبعض الآخر ناظرة إلى الاسم الذي جعل له الانسان وجوداً مستقلا ، فما هو في اصطلاح المتصوفة النظر إلى الاسم على واقعيته الاولى والحقيقية ، إذ محور بحثهم هو الخارج العيني ، ومعرفة الاشياء على واقعيتها وحقيقتها ، ولا يعرف ذلك إلا عن طريق الكشف والشهود لا عن طريق الحدود والرسوم والتصورات .

---

(١) مع الفارق بينهما ، حيث أن المعنىٰ الحرفي متقوم الوجود بطرفين ، فلا يقوم بالربط إلا بين طرفين ، وهذا بخلاف الاضافة الاشراقية فإن ليس لها إلا طرف واحد ، وإنما جئنا بمثال المعنىٰ الحرفي حيث لا يمكن تقريب هذا المطلب الدقيق إلا به .

وعليه فلا تنافي مع ما هو ظاهر من بعض الروايات التي تخاطب عامة الناس ، والتي موضوعها ليس وجود الاشياء بحيثيتها الخارجية وإنما بما هي وجودات ذهنية أو وجودات تَعَقُّلية ، وبين الروايات التي توافق ـ ظاهراً ـ ما ذهب إليه العرفاء والمتصوفة ، فخذه واغتنم .

ولعلماء الأصول بحث يشابه المقام ، من كون متعلق الأحكام الشرعية هل هو الطبائع بما هي هي أم متعلقها الأفراد الخارجية ، ذهب عبقري الأصول الاخوند الخراساني قدس سره في كتابه المشهور « كفاية الاصول » إلى الاول ، بينما ذهب عظماء آخرون إلى الثاني ، والتفصيل في كتب الأصول [1] .

---

(١) راجع منتقى الاصول : ٤٦٣/٢ بقلم آية الله السيد عبد الصاحب الحكيم ، تقريراً لدرس خاتمة الأصوليين الاستاذ آية الله العظمى السيد محمد الروحاني قدس الله نفسه الزكية .

نقد وتحليل

نظرية الشيخ الإحسائي قدس سره

هذا وقد التزم الشيخ الإحسائي ـ قدس سره ـ على ما يظهر من بعض عبائره أن الأسماء اللفظية أسماء للاسماء العينيّة ، والأسماء العينية هم أهل البيت عليهم السلام ، أما الذات المقدّسة فلا رسم ولا اسم لها ، هي فوق الاسم والرسم ، فالأسماء الحسنىٰ اللفظية معانيها ومسمياتها ذوات أهل البيت عليهم السلام .

قال قدس سره في كتابه الكبير « شرح الزيارة الجامعة » : وأما أسماء الخالق عز وجل فأعظمها ذواتهم وأسماؤهم عليهم السلام المعنوية ، وأسماؤه تعالى اللفظية مسمياتها ذواتهم عليهم السلام ، إذ ليس له تعالى أسماء إلا أسماء أفعاله وهم معاني أفعاله (١) .

وقال في موضع آخر : قال تعالى ﴿ **ولله الأسماء الحسنى** ﴾ أي ملكه وخلقه ﴿ **فادعوه بها** ﴾ فنقول : يا كريم يا رحيم يا جواد يا غفور إلى سائر أسمائه ، وهي هم عليهم السلام .

قال : ففي تفسير العياشي عنه عليه السلام قال : اذا نزلت بكم شدّة فاستعينوا بنا على الله ، وهو قول الله ﴿ **ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها** ﴾ قال : « نحن والله الأسماء الحسنى التي لا يقبل الله عملا إلا بمعرفتنا » .

---

(١) شرح الزيارة الجامعة : ٣٨٠ سطر ٣٠ ، وفي الطبعة الحديثة : ٧٨/٤ سطر ٨.

وفي التوحيد عن أبي عبدالله عليه السلام قال : الله غاية من غيّاه ، والمغيىٰ غير الغاية ، ووصف نفسه بغير محدودية ، فالذاكر الله غير الله ، والله غير اسمائه وكل شيء وقع عليه اسم شيء سواه فهو مخلوق ، الاترى إلى قوله ﴿ **العزة لله والعظمة لله** ﴾ ، وقال ﴿ **ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها** ﴾ وقال ﴿ **قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى** ﴾ ، فالأسماء مضافة إليه وهو التوحيد الخالص .

قال : أقول : قوله عليه السلام « فالأسماء مضافة إليه » هو ما ذكرت لك أي منسوبة إليه لانها ملكه واسماؤه وخلقه ، وقوله عليه السلام أولا « وكل شيء وقع عليه اسم شيء سواه فهو مخلوق » هو ماذكرنا سابقا ، فإنا ندعو معبوداً وصف نفسه برحمة حادثة خلقها واشتقها من لطفه ، واشتق هذا اللطف من رأفته ، واشتق هذه الرأفة من قدرته ـ أي من اقتداره ـ ، وليس المراد من هذه القدرة عين ذاته فان ذاته لا يشتق منها شيء ، وليس المراد من قوله عليه السلام «سواه» في قوله عليه السلام « وكل شيء وقع عليه اسم شيء سواه » استثناءٍ من الموقوع عليه اسم شيء ليكون المعنى انه تعالى وقع عليه اسم شيء وما سواه وقع عليه اسم شيء إلا أنه مخلوق ، بل المراد من سواه البيان للموقوع عليه والمعنى ، وكل شيء وقع عليه اسم شيء مما سواه ، فافهم .

لانه تعالى لا يقع عليه شيء ولا يقع على شيء ، اذ ليس بينه وبين ما سواه نسبة ، وليس بين ما سواه وبينه نسبة ، إلا نسبة الاحتياج إلى صنعه ومدده وفيضه في كل ما ينسب له .

فقولي : في قوله تعالى ﴿ **ولله الأسماء الحسنى** ﴾ أنهم هم الأسماء الحسنى ، وقولي : في قوله ﴿ **فادعوه بها** ﴾ فتقول يا رحيم يا كريم يا جواد يا غفور ، وهكذا الخ ، أُريد به أنهم عليهم السلام تلك الرحمة المحدثة التي هي ركن رحيم ، والكرم المحدث الذي هو ركن كريم ، والجود المحدث الذي هو ركن جواد ، والمغفرة المحدثة التي هي ركن الغفور ، وهذه الأسماء تقوّمت بهذه المعاني المحدثة لان هذه الأسماء أسماء أفعال الذات العلية ، هي التي أمرنا أن ندعوه بها .

فكريم اسم فاعل الكرم فهو اسم فعل [1] ، والكرم ركنه الذي تقوم به وهم عليهم السلام ذلك الكرم الذي هو ركن اسم كريم ومتقوم به ، وإنما كان كريم اسماً لتقومه بالكرم ، وكريم هو دليلنا على المعبود والمدعو سبحانه والمقصود بالعبادة وبالسؤال والدعاء هو مدلول كريم ومسماه على وجه تضمحل فيه هذه الأسماء الدالة والمطالب والطالبين عن الوجدان بلا إشارة ولا كيف وهكذا في جميع اسمائه سبحانه .

وإلى هذه الرتبة وهي رتبتهم في المعاني الاشارة بقولهم « نحن معانيه » [2] يعني معاني أفعاله ، لأنّه تعالى لم يعرف إلا بما عرف به نفسه ،

---

(١) وهذا دليله على أن الأسماء اللفظية المقدسة معانيها أهل البيت عليهم السلام .

(٢) وهي رواية جابر عنه عليه السلام قال : يا جابر أَوَ تدري ما المعرفة ؟ المعرفة إثبات التوحيد أولا ، ثم معرفة المعاني ثانياً ، ثم معرفة الأبواب ثالثاً ، ثم معرفة الأنام رابعاً ، ثم معرفة الأركان خامساً ثم معرفة النقباء سادساً ، ثم معرفة النجباء سابعاً ... يا جابر إثبات التوحيد ومعرفة المعاني : أما إثبات التوحيد معرفة الله القديم الغائب ، الذي لا تدركه الابصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير ، وهو غير باطن ، ستدركه كما وصف به نفسه . وأما المعاني فنحن معانيه فيكم ، اخترعنا من نور ذاته وفوّض إلينا أمور عباده ، فنحن نفعل بإذنه ما نشاء ، ونحن إذا شئنا شاء الله ، وإذا أردنا أراد

ولم يتعرف لاحد من خلقه إلا بصفات أفعاله ، وصفات أفعاله آثارها الدالة عليها ، كما تدل آثار أفعال النار من الحرارة والإحراق على أفعالها ، وأفعالها تدل بما تقومت به على نفس النار من جهة القصد إليها والمعرفة لها ، ولا نريد أن تلك الأسماء أي أسماء أفعالها كالمُمْحِق المُسخِّن والمُحَرِّر تدل عليها ـ أي على كنهها ـ دلالة تكشف عن حقيقتها ، وإنما نريد أنها تدل عليها من جهة ما ظهرت به لنا من أفعالها ، أي تعرَّفت لنا به لأنها لم تظهر لنا بذاتها وانما ظهرت بافعالها ، فافهم فإن هذا آية ما اشرنا إليه من معنى أنهم هم الأسماء الحسنى التي أمرنا أن ندعو الله بها ، مثل يا كريم يارحيم كما مر ، ـ وهو حقيقة معنىٰ ومقدمكم أمام طلبتي وحوائجي ـ[1] .

وقال في موضع ثالث : لا يجوز أن يقع على الله شيء لا لفظ ولا معنى[2] .

الله . قلت : ليس في الرواية ما يشير إلى أن الاسماء اللفظية المقدسة لهم عليهم السلام . فهم المعاني والمثاني .

كما أن الرواية ليس لها وجود في الكتب المعتبرة ، وإنما رواها الحسين بن حمدان في الهداية الكبرىٰ : ٢٣٠ ، وسنده ضعيف ، وليس الكتاب من الكتب المعتبرة ، حتى يمكن تمشية السند . كما أن مؤلفه من النصيرية القائلين بالنيابة الخاصة لمحمد بن نصير النميري الملعون ، وبداية الرواية أيضاً يشعر بذلك .

فالاعتماد على هذه الرواية لتأسيس نظرية خطيرة مترامية الاطراف في غاية الغرابة ، ولا ينقضي عجمي من كثرة اعتماد الشيخ الاحسائي قدس سره على الحسين بن حمدان في موارد كثيرة من كتبه ، وقد رأيت مخطوطة لكتابه « الغيبة » للشيخ الاحسائي في مدينة الاحساء ، وقد نقل رواية عن المفضل بن عمر طويلة برواية الحسين بن حمدان ، وذكر فيها أن نائبة بالحق في عصر الغيبة الصغرى هو محمد بن نصير ، وقد طبع كتابه هذا مع حذف هذا المقطع من الرواية .

(١) شرح الزيارة الجامعة : ٢٨٥ سطر ٤ ، وفي الطبعة الحديثة : ج١٣٨/٣ الى ١٤٠ .

(٢) الزيارة الجامعة : ٤٠٢/١ سطر ١٠ .

ملخص نظريته قدس سره :

أقول : إن ملخص نظريته قدس سره ، تتلخص في أمور :

١ / إن أعظم أسمائه تعالى ذواتهم المقدسة [١] .

٢ / إن أسماءه اللفظية مسمياتها ومعانيها ذواتهم عليهم السلام ، فيا كريم ويا رحيم ويا حي وياقيوم وياغفور ... الى آخر اسمائه هي هم عليهم السلام [٢] .

٣ / أنه ليس له تعالى إلا أسماء أفعاله وهم معاني أفعاله ، فالأسماء اللفظية له تعالى تقومت بهم ومنهم انتزعت [٣] ، أما الذات المقدسة الأزلية فلا اسم ولا رسم لها ، فلا يقع على الله شيء من لفظ أو معنى ، وليس بينه وبين ماسواه نسبة ، إلا نسبة الاحتياج إليه .

فغاية ما يريده ـ قدس سره ـ ويتوخاه التنزيه المطلق لله عزَّ وجل ، والْتزامه بكون الأسماء اللفظية مسمياتها ذواتهم المقدسة لا يستلزم بالضرورة الكفر والشرك به تعالى [٤] .

---

(١) وهذا محل للاتفاق ، فهم عليهم السلام الاسم الاعظم العيني ، وهناك اسم أعظم لفظي وهو اسم «الله» .

(٢) وهنا أول افتراق بين النظرية المطروحة ونظريته قدس سره .

(٣) ونحن معه في أن الأسماء اللفظية منتزعة من ذواتهم عليهم السلام كما مر وسيأتي أيضا ، وهذا لا يعني أن الاسماء اللفظية المقدسة لهم عليهم السلام .

(٤) فهو أجلّ من أن ينسب له ذلك ، فإن كان في بعض عبائرة مايمكن أن يشير إلى ذلك فلا بد من إرجاعها إلى محكمات كلماته ، ومن محكماتها ذهابه الى أن أهل البيت عليهم السلام محض التعلق والفقر والارتباط والفناء في الله وبالله ، فهو الغني المطلق بالذات ، وهم عليهم السلام الفقراء الى الله تعالى والاغنياء به ، ولا مقايسة ومقارنة بين الغني بالذات والغني بالغير .

لب نظريته قدس سره :

فلب نظريته : أن الاسماء اللفظية تدل على مسمياتها ، ومسمياتها هي الإسماء العينية الخارجية التكوينية ، وهي ذواتهم عليهم السلام ، والأسماء العينية الخارجية التي هي ذواتهم عليهم السلام تدل عليه تعالى وتقدس ، فالاسماء اللفظية تدل عليهم ، وهم الادلاء على الله تعالىٰ ، فهم حجب النور بين الله وخلقه ، وهم الباب بين الله وخلقه ، وهم الواسطة بين الله وخلقه ، وهذا معنى قوله : « أنهم هم الأسماء الحسنى التي أمرنا الله أن ندعوه بها ، مثل : يارؤف ، يا كريم ، يا رحيم ، كما مر وهو حقيقة معنىٰ « ومقدمكم أمام طلبتي وحوائجي » .

فنظريته كنظرية العرفاء والمتصوفة مع اختلاف في المصداق ، فإن المتصوفة ذهبوا إلى أنَّ الأسماء اللفظية هي أسماء الأسماء العينية ، وهو قدس سره ذهب أيضا إلى أن الأسماء اللفظية أسماء الأسماء ، واختلف مع العرفاء والمتصوفة في تشخيص ومصداق الاسم العيني ، فذهب العرفاء إلى أنه الذات المقدسة بتجلٍّ ما ـ كما تقدم بيانه ـ بينما ذهب هو قدس سره إلى أن الاسم العيني ذوات أهل البيت عليهم السلام .

قال الميرزا موسى الاسكوئي قدس سره : « فهم عليهم الصلوات والسلام أسمائه الحقيقية [1] ، وسائر الاسامي المصوتة المركبة من حروف الهجاء أسماء الأسماء [2] ، كما أن اسمك الحقيقي المنبىء عنك هو ظاهرك

---

(١) بلا ريب ولا شك ، فلقد طأطأ كل شريف لشرفهم وذل كل شيء لهم .

(٢) بل هي أسماء له تعالىٰ لفظية ، وهو تعالى « داخل في الاشياء لا بالممازجة وخارج عنها لا

الذي ظهرت به لغيرك ، واسمك الظاهر الذي تدعى به اسم لظاهرك لا لذاتك ، والابوان إنما سميا هيكلك الظاهر بذلك الاسم للخلق لا بذاته » [١] .

والصحيح :

ما ذهب إليه سيد الفقهاء والمجتهدين الخوئي قدس سره ، من كون الأسماء اللفظية أسماء له تعالى ، وأن الاسم الاعظم العيني هو الحقيقة المحمدية [٢] ونور النبي الاكرم صلى الله عليه واله ، فكونهم عليهم السلام الاسم الأعظم العيني وأبواب الله وحجابه لا يقتضي بالضرورة أن تكون الأسماء اللفظية ليست بأسماءٍ له تعالى .

مناقشة نظرية الشيخ الاحسائي :

ويلاحظ على نظرية الشيخ الاحسائي قدس سره ، أمور :

الامر الأول :

كون الاسم اللفظي متقوم أو منتزع من الاسم العيني والنور الاول والحق المخلوق به والوجود المقدس للمعصومين عليهم السلام لا يقتضي

بالمزايلة » ، فله الاسماء في كل مراتب الوجود .

(١) إحقاق الحق : ٤٦٥ ، والميزرا موسى من أفاخم وأكابر المنتسبين إلى مدرسة الشيخ الاحسائي قدس سره . أقول : والبدن الظاهر الذي ظهر به الانسان مرتبة من مراتب ذاته ، لا أنه شيء أجنبي عنه ، فالبدن مرتبة من مراتب حقيقة الانسان ، فما هو اسم له أسم لها ، فافهم .

(٢) وهذا غير معنى الحقيقة المحمدية التي يقول بها العرفاء ، فإن التي يقول بها أصحاب الكشف والوجدان ، هي مقام من مقامات الذات المقدسة ، لا أنها شخص النبي الأعظم صلى الله عليه وآله ، وإنما سميت باسمه تعالى من باب التشريف ليس إلا ، لعظمته صلى الله عليه وآله وعلو مكانه ، وعدم التمييز بين المقصود من هذا المصطلح في كلمات أهل الفن هو الذي أدى إلى انكار الحقيقة المحمدية لدى بعض المعاصرين واتهام أصحابها بالغلو .

بالضرورة كون الأسماء اللفظية لهذه الوجودات المقدسة [١] ، بل الضرورة قائمة على إنه اسم له تعالىٰ أولا وبالذات ، ثم للذوات المقدسة ثانياً وبالتبع .

والشاهد عليه : أنك اذا سمعت أبياتاً من الشعر وأنت لا تعرف ناظمها وصفاته ، يمكنك أن تتعرف على بعض صفاته وكمالاته من خلال شعره ، فحينما تنظر إلى حلاوة الشعر من حيث اللغة تحكم بأن منشده له اطلاع على لغة العرب وآدابها ، وحينما تنظر إلى قوة استحكام وزن الشعر تحكم عليه بأنه ذو قدرة فائقة على إنشاد الشعر ، وحينما تنظر إلى معنى الشعر وما يستلزم من معارف تحكم عليه بأنه فقيه إن كان الشعر في الفقه ، أو حكيم إن كان الشعر في الحكمة ، أو عارف إن كان الشعر في العرفان والتصوف ، بل يمكن الحكم بأنه فقيه حكيم عارف أصولي من خلال قصيدة واحدة .

ففي هذا المثال لا توصف القصيدة بأنها شاعر أو عارف أو أصولي ، مع انها منشأ انتزاع الأسماء والصفات هذه ، فكون الشيء منشأ لا نتزاع أسماء الفاعل لا يستلزم أن تكون الأسماء لهذا الشيء المنتزع منه ، بل في بعض الموارد لا يوصف الشيء بالأسماء المنتزعة منه كما في مثالنا هذا .

فأنت تعرّفت على صفات هذا الشاعر من خلال أثره ، وهذه الصفات المتعرف عليها لا تختص بالصفات الفعلية فقط بل تشمل الذاتية أيضا ، وبما أن مرتبة الأسماء متأخرة عن مرتبة الصفات فيمكن أن تضع لهذا الشاعر عدة من الأسماء بلحاظ صفاته الذاتية والفعلية التي تعرفت عليها من خلال قصيدته .

---

(١) راجع صفحة : ٣٧.

فمن صفات هذا الشاعر الذاتية المنتزعة من أبياته ، أنه حينما نشد هذه الابيات كان يمتلك صفة الحياة وصفة السمع والبصر والعلم والخبرة والحكمة ، وكل هذه الصفات ذاتية .

ومن صفات هذا الشاعر الفعلية المنتزعة من أبياته ، أنه شاعر ومتكلم .

وعليه فيمكن وضع أسماء لهذا الشاعر بلحاظ صفاته الذاتية فتسمى أسماء الصفات ، وكذا يمكن وضع أسماء له بلحاظ صفاته الفعلية فتسمى أسماء الافعال .

فصحيح أن الصفات الذاتية هي المنتزعة من مقام الذات بلا أي لحاظ ، وهي التي لا يمكن سلبها عن الذات ، لكن التعرف عليها يتم عبر فعل الذات ، فحينما ينظر الانسان إلى فعل الذات ويرى بأن هذا الفعل والاثر متصف بالحياة وبالسمع والبصر ، ينتقل الذهن إلى أن موجد هذا الاثر لابد وأن يمتلك الحياة والسمع والبصر قبل تلبسه بهذا الفعل ، لان فاقد الشيء لا يعطيه ، وهذا هو حقيقة الصفات الذاتية ، وإذا نظر إلى الذات الموجدة بعد تلبسها بالفعل تكون الصفة فعليه .

والانسان له القدرة على لحاظ فعل الذات فقط ومن دون لحاظ الذات الموجدة ، كما يمكنه بعد ذلك من لحاظ الذات من خلال ما يحكيه فعل الذات عنها ، فيمكن أن يصفها بمجموعة من الصفات الذاتية من دون أن يحيط بها ، وإذا تعرف على صفات الذات الذاتية والفعلية فيضع الأسماء المناسبة لها .

فاتصاف الأثر والمعلول بالعلم والحياة والسمع والبصر والقوة والرحمة

والكرم والغفران والرأفة والحلم والشهادة والقهر والاقتدار ، آية لخالقه وموجده وأن هذه الصفات موجودة فيه بنحو أعلى وأشرف وأكمل ، بل لا مقارنة بين الخالق والمخلوق ، إذ المخلوق اتصف بالعلم والحياة وسائر الصفات بالغير ـ أي بالخالق ـ ، بينما الخالق اتصف بذلك بالذات ، والاتصاف بالغير ـ كما مر مرارا ـ فقر ، والاتصاف بالذات غنى ، ولا يستوى الفقير والغني ، فالفقر عدم والغنى وجود وهل هناك مقايسة بين الوجود والعدم ، فهو تعالى الغني على الإطلاق وكل ما سواه فقير على الاطلاق ، فجميع الممكنات بلا استثناء فقيرة ومحتاجة إلى الغني المطلق حدوثاً وجوداً وبقاءاً ﴿ **يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد** ﴾ [1] ، وقال سيد الشهداء الحسين عليه السلام في دعاء عرفة : « **أنا الفقير في غناي فكيف لا أكون فقيراً في فقري ، وأنا الجهول في علمي فكيف لا أكون جهولاً في جهلي** » .

وكما يمكن أن نسمي الاثر والمعلول بأسماء صفاته وأفعاله ، كذلك خالق هذا الاثر وموجده يمكن أن نسميه بأسمائه وصفاته ، فنسمي الاثر بأنه سميع وبصير وعالم وقوى ، كما نسمي خالقه بأنه سميع وبصير وعالم وقوي ، مع فارق واحد كما قلنا ، أن المخلوق سميع بالغير وبصير بالغير وعالم بالغير وقوي بالغير المشار إليه في قوله ﴿ **إنا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيرا** ﴾ [2] ، بينما الخالق سميع بالذات وبصير

---

(١) فاطر : ١٥ .

(٢) الانسان : ٢ .

بالذات وعالم بالذات وقوي بالذات [١] ﴿ **ليس كمثله شيء وهو السميع البصير** ﴾ [٢] .

فالتعرف على صفات الخالق من خلال المخلوق ، كما أن التعرف على أسماء الخالق من خلال الصفات التي عرفت من خلال المخلوق ، والاسماء المنتزعة من الصفات الذاتية والفعلية ، متمحضة في الانتساب للخالق ، وللمخلوق حظ فيه ، لأنه منشأ انتزاعه [٣] .

فإذا اطلقت الأسماء الحسنى اللفظية فتنصرف إلى ما تمحضت فيه ، وإذا كانت هناك قرينة فالمفاد يكون تابعاً لها ، وقد ذكرنا في « صفات الخالق والمخلوق » أن مقتضى التأدب مع الله تعالى عدم تسمية غيره بالأسماء الحسنىٰ ، وقد ركّزنا على أن التسمية شيء والاتصاف شيء اخر ، وإن كانت بينهما علاقة المُنْتَزَع والمُنْتزَع منه ، فالله سبحانه وتعالى يتصف بأنه زارع وقاص من قوله ﴿ **أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون** ﴾ [٤] وقوله ﴿ **نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القران** ﴾ [٥] ، لكن التأدب مع الله تعالى يقتضي عدم تسميته بالزارع والقاص لأنها بالمخلوق أليق .

---

(١) راجع كتابنا «صفات الخالق والمخلوق».

(٢) الشورى : ١١.

(٣) وهناك نزاع في أن صفة العلم والقدرة وبقية الصفات هل تحمل على الله تعالى وعلى الممكنات على نحو الاشتراك اللفظي أو المعنوي ، وهذا ما يبحث عنه في الحكمة تحت عنوان « الوجود مشترك لفظي أو معنوي ».

(٤) الواقعة : ٦٤.

(٥) يوسف : ٣.

فالخلاصة : كونهم عليهم السلام فعله وأثره ، لا يقتضي أن الأسماء اللفظية تكون مسمياتها هم عليهم السلام فحسب ، بل ـ كما قلنا ـ لهم عليهم السلام حظاً من التسمية مع مراعاة ما ذكرناه آنفا من استحباب عدم التسمية أداءً لحق العبودية مع الله تعالى .

أضف : أن من أسماء الذات المقدسة الحقة اسم «الله» الجامع لكل الأسماء والصفات وقد ورد في بعض الروايات أنه لا يسمى به غيره .

فقد سأل سائل أمير المؤمنين عليه السلام : يا أمير المؤمنين أخبرني عن « بسم الله الرحمن الرحيم » ما معناه ؟ فقال : إن قولك «الله» أعظم اسم من أسماء الله عز وجل ، وهو الاسم الذي لا ينبغي أن يسمى به غير الله ، ولم يتسمَّ به مخلوق ، فقال الرجل : فما تفسير قوله « الله » قال عليه السلام : هو الذي يتأله إليه عند الحوائج والشدائد كل مخلوق عند انقطاع الرجاء من جميع من دونه [١] .

والقول بأن اسم « الله » اللفظي مسماه ومعناه ذواتهم المقدسة ، فهذا يستلزم أن اسم « محمد » مترادف مع اسم « الله » فيمكن التعويض في جملة : لا إله إلا الله ، بـ : لا إله إلا محمد ، إذ المُسمّىٰ باسم « الله ، ومحمد » واحد ، وهذا بعيد عن أذهان المتشرّعة ، ومنه تعرف ان اسم « الله » اللفظي اسماً للذات المقدسة ، فهو مشير لتلك الحقيقة السرمدية المقدسة لا على نحو الاشارة الحسية أو الذهنية والعقلية ، فمسمى اسم « الله » هو تلك

---

(١) التوحيد : ٢٣١ * وكون اسم الله تعالى مشتق من إله لا يعني انه ليس اسماً للذات وسياتي بيانه فانتظر .

الحقيقة ، فإن أمكن تصور كون بقية الأسماء مسمياتها ذوات أهل البيت عليهم السلام ، ففي هذا الاسم الاعظم اللفظي لا يمكن تصور ذلك فضلا عن الوقوع والاثبات ، وسيأتي تتمة لهذا الكلام فانتظر .

الامر الثاني الذي يرد على نظرية الشيخ الاحسائي قدس سره :

إن عدم الاحاطة بالله تعالىٰ ، أو عدم تصوره لا يستلزم الجهل به مطلقاً ، فنفي التصور ليس بمعنى نفي المعرفة وإنما نفي الحد والتوهم والتشبيه ، ولو كانت الصفات لا تدل عليه والأسماء لا تدعو إليه كانت العبادة من الخلق لأسمائه وصفاته دون معناه ، كما صرح بذلك إمام الملك والملكوت علي بن موسى الرضا عليه السلام مخاطبا لعمران الصابىء [1] .

فهنالك دال ومدلول ، والاسم ـ كما تقدم في مستهل البحث ـ دال والمُسمّىٰ مدلول ، والمدلول لا يندرج تحت الدال ، وإنما الدال يدل عليه .

ودلالة الدال والاسم بالنسبة للمدلول والمُسمّىٰ ليس بالضرورة أن تكون دلالة مطابقية استيعابية بنحو التمام والكمال ، حتى يقال بأن الالفاظ قاصرة عن الدلالة عن غيب الغيوب ، بل الدلالة والاسمية تحصل وتحدث لأدنى مناسبة .

فالطرقة والتي هي فعل الطارق لا تدل إلا على وجود الطارق ، أما ما هي صفاته واسمائه وحالاته فهذه الدلالة قاصرة عن اثبات وكشف ذلك ، وكونها

---

(١) قال عليه السلام : « فلو كانت صفاته جل ثناؤه لا تدل عليه ، واسماؤه لا تدعو إليه كانت العبادة من الخلق لا سمائه وصفاته دون معناه » فدلالتها عليه يساوق إدراكها ومعرفتها ، وقد تقدم عدة من الروايات الصحيحة على عبادة الذات دون الاسم والصفة فراجع .

كذلك لا يؤدي إلى سلب دلالتها على معرفة وجود الطارق .

فكون الاسم من الأسماء الذاتية ليس بالضرورة أن يظهر الذات بكنهها وحقيقتها ، بل يكفي ـ كما تقدم منّا ـ دلالته على الذات بلا لحاظ الصفات والافعال ، أو دلالته على الذات أكثر من دلالته على الصفات والافعال .

فعملية الوضع لا تستلزم الاحاطة بالذات بل ولا معرفة الذات ولو من جهة من الجهات ، إذ يكفي فيالتسمية الاشارة إلى الشيء بآثاره ولوازمه ثم وضع اسم له ، فحينما نرى مجموعة من الأثار يمكن أن نضع اسما لصاحب الاثار مع انا لم ندرك حقيقة أو بعض حقيقة هذا المؤثر .

فالكهرباء مثلا ـ اسم ـ وضع لحقيقة لا يعرفها الانسان وإنما تعرّف عليها من خلال بعض آثارها ، وكالروح والملائكة وعالم العقول ، أسماء وضعت لمعاني لم ندرك إلا آثارها وأفعالها أما حقيقتها فهي من الغيب بالنسبة لنا .

فوضع الأسماء للاشياء والوجودات تارة بلحاظ الاحاطة الوجودية بها ، وأخرى بلحاظ بعض مراتب حقيقتها ، وثالثة يكون الوضع بلحاظ الاثار ، بلا مدخلية لهذه الاثار في الوضع ، حتى لا يكون من أسماء الصفات أو الافعال ، بل يمكن تصور آثار الحقيقة ثم وضع اسم لصاحب هذه الاثار .

فالوضع يكفي فيه إدراك الموضوع له ولو نحواً من الانحاء ، فلا يشترط في الوضع الاحاطة بالموضوع له ، بل لا يشترط الاحاطة ولو ببعض مراتب الموضوع له ، وهذا واضح .

الوسطية لا تنفي المعرفة المباشرة :

ومعرفة وجوده والعلم به تعالى عن طريق فعله ـ وهم عليهم السلام

فعله ـ لا ينفي المعرفة المباشرية المستقيمة بين الحق والخلق ، فكونهم عليهم السلام أبواب الله تعالى ، وحجبه النورية ، ووسائط فيضه لتحقق الممكنات والموجودات ، ليس معناه عدم الارتباط المباشر بين الفاعل الحقيقي ـ الله تعالى ـ وبين ذي الواسطة ـ سائر الممكنات ـ ، بل هناك إرتباط حقيقي واقعي بين الخالق والمخلوق ، ولكن هذا الارتباط يمر عبر الواسطة ، فالواسطة لها إرتباط حقيقي بذي الواسطة ، هذا كله من جهة المخلوق ، وأما من جهة الخالق الحقيقي كذلك .

وهذا مايسمى بالفاعلية الطولية [١] ، إذ الفعل ينسب إلى الله تعالى حقيقة وإلى العبد كذلك ، فتكون إرادة الله فاعلة وكذا إرادة العبد ، ومن هنا وقع الكلام في الترتيب في تلك الارادتين ، فمنهم من قال بالطولية ومنهم من قال بالعرْضية ، ومنهم من نفى الطولية والعرضية معاً وإن قال بان إرادة الله تعالى في طول ارادة العبد ولكن له معنى اخر يقصده غير المعنى المتقدم وهذا ما عليه صدر المتألهين الشيرازي قدس سره ، وقد تقدم الكلام ، فراجع .

قال الملا صدرا قدس سره : « لكن هٰهنا مذهب آخر هو مذهب العرفاء المحققين والاولياء الكاملين وهو مذهب ائمتنا عليهم السلام كما يلوح إليه بعض الاحاديث الاتية ، فمن نظر إلى الاسباب القريبة لأفعال العباد قال بالقدر والتفويض ، أي بكونها واقعة بقدرتنا ومقدرة بتقديرنا مفوضة إلينا ، ومن نظر الى السبب الاول وقطع النظر عن الاسباب المتوسطة وترتيب

---

(١) وليس المراد من الطولية في مقابل العرْضية كما قد يتصور في بادىء الأمر ، بل المراد منها فقط وفقط نفي العرْضية ، والتفصيل في كتابنا « وسائل الفيض الالهي » ، وقد تقدم بيانه أيضا .

صدورها ، وعن السبب القريب ، وجعل الكل مستندة إليه تعالى ابتداءً بـلا مراعاة ترتيب وحكمة ونظام وغاية قال بالجبر وخَلْق الاعمال ، ولم يـفرق بينهما وبين أفعال الجمادات ، وكلاهما أعور لا يبصر إلا بأحدى العـينين ، وأما الحكيم الذي قلبه ذو العـينين وذو النـظرين يـنظر إلى الحـق بـاليمنى فيضيف الافعال كلها خيرها وشرها إلى قضاء الله وقدره ، وينظر إلى الخلق باليسرى فيثبت تأثيرهم في الافعال به سبحانه لا بالاستقلال »[1] .

والمثال المقرب لذلك : اتصال أشعة الشمس بـالعين المـجردة عـبر الآلة ، فالعين لا قدرة لها على تلقي أشعة الشمس مباشرة ، بل لابد من آلة تكون وسطاً لهذا التلقي ، وحـينما تـتوسط هـذه الالة لا يـعني أن الاشـعة الواصلة للعين عبرها غير أشعة الشمس ، بل هي أشعة الشمس ولكن هذه الاشعة لا تصل إلا بواسطة هذه الالة ، فهناك إدراك حقيقي تكويني للاشـعة نفسها ، ولكن هذا الادراك محدود بحدود المدرِك وهي العـين المـجردة ، فالالة ماهي إلا اداة لتخفيف أشعة الشمس حتى تصل إلى العين من دون أن تتلف[2] .

كذلك هناك معرفة وإدراك مباشر لله تعالىٰ من قبل المخلوقين ، وإن كان

---

(١) شرح أصول الكافي : ٤٠٨ في التوحيد ، وهذا هو المراد من الطولية عـند صـدر المـتألهين لا الطولية التي هي في مقابل العرضية ، وهذا الكلام يبتني على أصلين اساسيين الاول : بأن الاضافة بين الحق والخلق اضافة اشراقية لا مقولية كما يدعيها المشاء ، والاصل الثاني : بان الوجود حقيقة واحدة مشككة ، وكل من تعقل هذين الاصلين وادركهما يدرك قول الائمة عليهم السلام « لا جبر ولاتفويض وإنما امر بين أمرين ».

(٢) وظيفة حاجبي الانسان ، أنهما يخففان الاشعة من أن تصل إلى العين بشكل مـباشر ، وكـونها كذلك لا يعني أن الاشعة لم تصل وتتصل بنفسها إلى العين بشكل مباشر .

هذا الادراك بواسطة أهل البيت عليهم السلام ، إلا أن سعة هذا الادراك وضيقه يختلف من وجود إلى آخر حسب رتبة ذلك الموجود وسعته الوجوديه ، ولو لم يكن ثمّة إدارك مباشر واقعي مطلقاً للخالق ولو بوسطيتهم عليهم السلام فمن نعبد اذاً .

قال الامام الصادق عليه السلام للزنديق : وجود الافاعيل دلت على أن صانعها صنعها ، ألا ترى أنك إذا نظرت إلى بناء مشيّد مبني علمت أن له بانياً وان كنت لم تر الباني ولم تشاهده ، قال : وما هو ؟ قال : هو شيء بخلاف الاشياء ، أرجع بقولي : شيء إلى اثباته وإنه شيء بحقيقة الشيئية ، غير أنه لا جسم ولا صورة ولا يحسُّ ولا يجس ، ولا يدرك بالحواس الخمس ، لا تدركه الاوهام ولا تنقصه الدهور ولا يغيره الزمان .

قال السائل : فإنا لم نجد موهوماً إلا مخلوقاً [1] .

قال أبو عبدالله عليه السلام : **لو كان ذلك كما تقول لكان التوحيد منا مرتفعاً** ، فإنا لم نكلف أن نعتقد غير موهوم ، ولكنا نقول : كل موهوم بالحواس مدرك بها تحده الحواس ممثلا فهو مخلوق ، ولا بد من إثبات صانع الاشياء خارجاً من الجهتين المذمومتين ، إحداهما النفي إذ كان النفي هو الابطال والعدم ، والجهة الثانية التشبيه بصفة المخلوق الظاهر التركيب والتأليف .

قال السائل : فانت قد حددته اذ ثبّت وجوده ، قال أبو عبدالله عليه السلام : لم أُحدده ولكن أُثبته ، إذ لم يكن بين الاثبات والنفي منزلة ...

---

(١) وهذا التوهم ،كتوهم الكثير من الناس .

الحديث [١] .

ولذا ورد في الاحاديث الكثيرة بالله نعرف الله ، وبك عرفتك ، وكون المعرفة بالله لا تنافي وجود الواسطة ، فنحن عرفنا أشعة الشمس بنفسها لا بشيء آخر ، والمنظار لم يعرفنا أشعة الشمس بل أشعة الشمس تخللت هذا المنظار ، فوظيفة هذا المنظار التخفيف من شدة الاشعة .

كذلك هم عليهم السلام كونهم وسائط الفيض الالهي لأجل العجز في قوابل الممكنات ، وقصورها من تحمل النور الالهي بشكل مباشر ، فهو تعالى داخل في الاشياء لا بالممازجة وخارج عنها لا بالمزايلة ، كذلك هم عليهم السلام .

ولذا حينما سأل الجاثليق الامام عليه السلام : أخبرني عرفت الله بمحمد أم عرفت محمد بالله ؟

فقال علي عليه السلام : ما عرفت الله عز وجل بمحمد صلى الله عليه واله ، ولكن عرفت محمداً بالله عز وجل ، حين خلقه وأحدث فيه الحدود من طول وعرض فعرفت أنه مدبَّر مصنوع ، باستدلال وإلهام منه وارادة [٢] .

فبعض الناس نفىٰ وسطية أهل البيت ـ عليهم أفضل الصلاة والسلام ـ لهذه الاحاديث [٣] ، وبعضهم نفى المعرفة بالله تعالى مباشرة لكي يثبت

---

(١) الكافي : ١/ ٨٤ * التوحيد : ٢٤٦ .

(٢) التوحيد : ٢٨٧ ، وهذا هو معنى الاضافة الاشراقية التي يدعيها أصحاب الحكمة المتعالية ، والذي تدور عليه أبحاثهم المعرفية ، وهو الاساس في بناء التوحيد عندهم ، فمن جهله وقع في الحجب .

(٣) وكالدعاء المعروف « بك عرفتك وأنت دللتني عليك ولولا أنت لم أدر ما أنت » .

الوسطية المطلقة لاهل البيت عليهم السلام ، والصحيح طبقاً لنظام الأمر بين الأمرين وسطيتهم لا تستلزم أن معرفة الله لا تكون بالله ، بل هي بالله لمن تفهم هذا النظام الامثل الاحسن الاشرف ﴿ **ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم أينما كانوا** ﴾ [١] ، فهو تعالىَ معهم ومع الواسطة ، والواسطة معهم أينما كانوا ، وهذا هو المعبر عنه عند العرفاء الكمل بالوجود المنبسط أو النفس الرحماني أو الحقيقة المحمدية ، الذي هو مع الكل والكل معه ﴿ **وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون** ﴾ [٢] .

الامر الثالث : الذي يرد على نظرية الشيخ الاحساني ﷺ :

ما معنى جملة : « أن ـ الله ـ الذات المقدسة لا اسم ولا رسم لها ، ولا نسبة بينه وبين خلقه ، وأنه لا يقع عليه شيء ولا يقع على شيء » ، هل هو بمعنى تعطيل الذات المقدّسة من الأسماء والصفات ، أو تعطيل العلم بها عن طريق الأسماء والصفات ، أم ثمّة أمر آخر غير ما تقدم !!!

إن كان الأول والثاني فالايات والروايات تصرح بخلاف ذلك .

قال الرضا عليه السلام مخاطباً لعمران الصابيء : فلو كانت صفاته جل ثناؤه لا تدل عليه ، واسماؤه لا تدعو إليه ، والمعلمة من الخلق لا تدركه لمعناه ، كانت العبادة من الخلق لأسمائه وصفاته دون معناه [٣] .

---

(١) المجادلة : ٧.

(٢) التوبة : ١٠٥.

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام : ١٥٥/٢ * التوحيد : ٤٣٧.

وعن اليقطيني قال : قال لي أبو الحسن عليه السلام : ماتقول : اذا قيل لك : اخبرني عن الله عز وجل، أشيء هو ؟ قال : فقلت له : قد أثبت عز وجل نفسه شيئاً حيث يقول ﴿ **قل أي شيء اكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم**﴾ [١] فأقول : إنه شيء لا كالاشياء ، إذ في نفي الشيئية عنه إبطاله ونفيه ، قال : صدقت وأصبت .

ثم قال عليه السلام :

للناس في التوحيد ثلاثة مذاهب :

نفي ، وتشبيه ، واثبات بغير تشبيه ،

فمذهب النفي لا يجوز ، ومذهب التشبيه لا يجوز ، لان الله تبارك وتعالى لا يشبهه شيء ، والسبيل في الطريقة الثالثة اثبات بلا تشبيه ، وهو كما وصف نفسه أحد صمد نور [٢] .

وعن محمد بن عبدالله الخراساني خادم الرضا عليه السلام قال : قال بعض الزنادقة لابي الحسن عليه السلام : هل يقال لله أنه شيء ؟ فقال : نعم، وقد سمى نفسه بذلك في كتابه فقال ﴿ **قل أي شيء أكبر شهادة ، قل الله شهيداً بيني وبينكم** ﴾ فهو شيء ليس كمثله شيء [٣] .

وفي صحيحة القصير عن أبي عبدالله عليه السلام في حديث : فتعالىٰ الله الذي ليس كمثله شيء ، هو السميع البصير ، تعالىٰ الله عما يصفه

---

(١) الانعام : ١٩.

(٢) التوحيد : ١٠١.

(٣) عن عيون أخبار الرضا عليه السلام : ١٢٢/٢.

الواصفون المشبهون الله تبارك وتعالى بخلقه المفترون على الله ، واعلم رحمك الله أن المذهب الصحيح في التوحيد مانزل به القران من صفات الله عز وجل ، فانفِ عن الله البطلان والتشبيه ، فلا نفي ولا تشبيه ، هو الله الثابت الموجود ، تعالى الله عما يصفه الواصفون ولا تَعْدُ القران فتضل بعد البيان [١] .

وعن الحسين بن خالد عن ابي الحسن عليه السلام قال : .... ثم وصف نفسه تبارك وتعالى بأسماء دَعىٰ الخلق ـ اذ خلقهم وتعبدهم وابتلاهم ـ إلى أن يدعوه بها ، فسمي نفسه سميعاً بصيراً ، قادراً قاهراً ، حياً قيوماً ، ظاهراً باطناً ، لطيفاً خبيراً ، قوياً عزيزاً ، حكيماً عليماً ، وما أشبه هذه الاسماء [٢] .

وعن الصدوق في حديث المناظرة قال عليه السلام للمروزي : فليس لك أن تسميه بما لم يسمّ به نفسه [٣] .

وعن جعفر بن محمد بن حكيم الخثعمي ـ في حديث ـ عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال : اعلم رحمك الله أن الله أجل وأعلى وأعظم من أن يبلغ كنه صفته ، فصفوه بما وصف به نفسه وكُفّوا عما سوى ذلك [٤] .

وفي صحيحة عبدالرحمن بن ابي نجران قال : كتبت الى ابي جعفر عليه السلام أو قلت له : جعلني الله فداك نعبد الرحمن الرحيم الواحد الاحد الصمد ؟ قال : فقال : أن من عبد الاسم دون المُسمّىٰ بالأسماء فقد أشرك

---

(١) الكافي : ١٠٠/١ * التوحيد : ١٠٢ .
(٢) عيون الاخبار : ١٤٥/١ .
(٣) عيون لاخبار : ١٨٩/١ .
(٤) الكافي : ١٠٢/١ * اختيار معرفة الرجال : ٥٦٤/٢ .

وكفر وجحد ولم يعبد شيئاً ، بل اعبد الله الواحد الاحد الصمد المُسمّىٰ بهذه الأسماء دون الأسماء ، **ان الأسماء صفات وصف بها نفسه** [١] .

وعن محمد بن سنان قال : سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام هل كان الله عارفا بنفسه قبل أن يخلق الخلق ؟ قال : نعم .

قلت : يراها ويسمعها ؟ قال : ماكان محتاجا الى ذلك ، لانه لم يكن يسألها ولا يطلب منها ، هو نفسه ونفسه هو ، قدرته نافذة ، فليس يحتاج الى ان يسمي نفسه ، ولكنه اختار لنفسه أسماء لغيره يدعوه بها ، لانه اذا لم يدع باسمه لم يعرف ، فأول ما اختاره لنفسه « العلي العظيم » لأنه عَلَىٰ الاشياء كلها ، فمعناه الله واسمه العلي العظيم ، هو أول اسمائه لانه علا على كل شيء [٢] .

فإذا كان لا اسم ولا رسم له فكيف يدعوه الغير ويتوجه إليه .

وكون الأسماء ملكاً له تعالى وهو خالقها كما في عدة من الروايات لا يعني أنها ليست بأسماء له تعالى ، فقوله عليه السلام « ولكن لله معنى يدل عليه بهذه الأسماء وكلها غيره » فملكية الاشياء لله تعالى لا تستلزم عدم دلالتها عليه ، بل الضرورة العقلية قائمة على دلالتها عليه ، فيستدل بوجودها على وجوده وبصفاتها على صفاته وبأفعالها على أفعاله ، إذ لا فاعل ولا مؤثر في الوجود إلا الله تبارك وتعالى [٣] ، فسواء كانت اللام في قوله تعالى ﴿ لله

---

(١) الكافي : ٨٧/١.

(٢) عيون الاخبار : ١٢٩ .

(٣) ولكن بالمعنى الذي تقدم ذكره لا بالمعنى الذي قالت به الأشاعرة .

الأسماء الحسنى ﴾ للاختصاص أم الملكية ، فعلى كلا التقديرين تكون الأسماء دالة عليه ، ولا ربط لكون اللام للاختصاص أو الملكية بمقامنا هذا ، إذ على كلا التقديرين تدل عليه .

فكون الذات المقدسة لا اسم ولا رسم لها من مقولات العرفاء والصوفية وتراث الشيخ محيى الدين بن عربي [١] ، والقران الكريم وأحاديث أهل البيت عليهم السلام تثبت له الأسماء اللفظية [٢] والتكوينية ، بل ما من موجود إلا وهو اسماً له تعالى ، وإنما الخلاف في سعة وضيق هذا الاسم أو ذاك ، فهناك اسم حسن وهناك اسم أحسن ، وهناك الاسم الذي هو المثل الاعلى له تعالى .

بل قولنا الذات المقدسة « لا اسم ولا رسم لها » ، فيمكن أن نضع لهذه الحقيقة التي بهذا الوصف اسما ما ، إذ وصفها بانها لا اسم ولا رسم لها يمكن ان ينتزع منه اسماً لها ، فقولنا فلان لا اسم له ، هو اسم له ، كما ان قولنا لا صفة له هو صفة له ، إذ الكلام مع الشيخ الاحسائي ـ قدس سره ـ في الأسماء اللفظية .

فليس المنهي عنه في الروايات اثبات الصفات والأسماء له تعالى ، بل

---

(١) ومقصودهم من قولهم « إن الذات لا اسم ولا رسم لها » أي في مرتبة الذات ، وهذا مما لا خلاف فيه ، وتدل عليه الروايات الدالة على أنه لا اسم له تعالى قبل الخلق ، وإنما خلق الاسماء لكي يتعرف عليه الخلق ، فجعلها وسيلة بينه وبين خلقه تبارك وتقدس ، ففي الحديث عنه عليه السلام « وليس يحتاج أن يسمي نفسه ، ولكن اختار لنفسه أسماء لغيره يدعوه بها » الكافي : ١١٣/١ ، التوحيد : ١٩١ . والشيخ الاحسائي قدس سره ينفي أن يكون له اسم مطلقاً .

(٢) وقد تقدم في أن الله سمىٰ نفسه سميعاً بصيراً ، قادراً قاهراً ، حياً قيوماً ، ظاهراً باطناً ، لطيفاً خبيراً ... الى آخر الرواية .

المنهي عنه بأن نتجاوز ما في القران من صفات وأسماء [١] ، وأن لا نسمي الله تعالىٰ إلا بالأسماء الحسنى ، فالقول بأن الله تعالىٰ لا اسم ولا رسم له قول بالتعطيل المنهي عنه في الروايات ، والذي ذهب إليه بعض المعتزلة ، فلا تعطيل من حيث الاسم والصفة ولا تشبيه ، بل إثبات بلا تشبيه ، كما أن ظاهر وصريح الايات والروايات إثبات الصفات والأسماء له تعالى .

فقوله تعالى ﴿ **قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد** ﴾ فـ «هو» إشارة للهوية الغيبية ، و «الله» إشارة لأول اسم له تعالى ، فالله اسم للهوية الغيبة .

وكذا قوله تعالى ﴿ **هو الله الذي لا إله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهمين العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون * هو الله الخالق البارىء المصوّر له الأسماء الحسنى ، يسبح له ما في السماوات والارض وهو العزيز الحكيم** ﴾ [٢] ، فـ« الله ، الملك ، القدوس ، السلام ، المؤمن ، المهيمن ، العزيز ، الجبار ، المتكبر ، الخالق ، البارىء ، المصوّر » كلها أسماء لـ«هو» وهي الهوية الغيبية الصمدية الحقة الحقيقية .

ثم ما معنى لا يقع عليه شيء في كلامه قدس سره ؟! هل بمعنى انه لا يدل عليه شيء ، إن كان كذلك فهذا خلاف أن الأسماء والصفات دالة عليه وآية له ، فأسماؤه تعبير ـ كما قال الامام الرضا عليه السلام ـ وأفعاله تفهيم ،

---

(١) وهو مفاد عدة من النصوص .
(٢) الحشر : ٢٣ ، ٢٤ .

وذاته حقيقة ، وكنهه تفريق بينه وبين خلقه [١] .

وإن كان بمعنى إن حقيقته وكنهه لا يقع عليها شيء ولا تقع على شيء ، فليس هذا هو مورد النزاع ، فاللفظ من حيث كونه لفظ لا يقع على شيء ولا يقع عليه شيء .

وقد أثبتت الروايات السابقة وقع لفظ «الشيء» و «الوجود» عليه تعالىٰ ، فهو شيء لا كالأشياء ، بمعنى يقع عليه مفهوم شيء لكن الحقيقة المصداقية لهذا الشيء أنه ليس كبقية الاشياء .

ففي صحيحة ابن أبي نجران قال : سألت أبا جعفر الثاني عليه السلام عن التوحيد ، فقلت : أتوهم شيئاً ؟ فقال : نعم ، غير معقول ولا محدود ، فما وقع وهمك عليه من شيء فهو خلافه ، لا يشبهه شيء ولا تدركه الاوهام ، وكيف تدرك الاوهام وهو خلاف ما يعقل وخلاف ما يتصور في الاوهام ، إنما يتوهم شيء غير معقول ولا محدود .

فالامام عليه السلام لم يمنعه من تعقل شيء ، وإنما منعه من تحديد ووصف هذا الشيء بصفات المخلوقين والمتوهمين .

وقد مر أن من عبده تعالىٰ بإيقاع الاسماء عليه فهو من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام ، فالاسماء تقع عليه .

ففي صحيحة علي بن رئاب عن غير واحد عن أبي عبدالله عليه السلام قال : « **من عَبدَ الله بالتوهم فقد كفر ، ومن عبد الاسم ولم يعبد المعنى**

---

(١) التوحيد : ٣٦.

فقد كفر ، ومن عبد الاسم والمعنى فقد أشرك ، ومن عبد المعنى بايقاع الأسماء عليه بصفاته التي وصف بها نفسه فعقد عليه قلبه ونطق به لسانه في سرائره وعلانيته فأولئك أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام » [١] .

قال المولى المجلسي قدس سره تعليقاً على الرواية : أعلم أن من المفهومات مفهومات عامة شاملة لا يخرج منها شيء من الاشياء لا ذهناً ولا عيناً كمفهوم الشيء والموجود والمخبر عنه ، وهذه معان اعتبارية يعتبرها العقل لكل شيء ، إذا تقرر هذا فاعلم :

إن جماعة من المتكلمين ذهبوا إلى مجرد التعطيل ، ومنعوا من إطلاق الشيء والموجود واشباههما عليه ـ تعالىٰ ـ، محتجين بأنه لو كان شيئا شارك الاشياء في مفهوم الشيئية وكذا الموجود وغيره ، وذهب إلى مثل هذا بعض معاصرينا فحكم بعدم اشتراك مفهوم من المفاهيم بين الواجب والممكن ، وبأنه لا يمكن تعقل ذاته وصفاته تعالى بوجه من الوجوه ، ويكذب جميع الاحكام الايجابية عليه تعالى ، ويرد قولهم الاخبار السالفة ، وبناء غلطهم على عدم الفرق بين مفهوم الأمر وما صدق عليه ، وبين الحمل الذاتي والحمل العرضي [٢] ، وبين المفهومات الاعتبارية والحقائق الموجودة .

قال : فأجاب عليه السلام بأن ذاته تعالى وإن لم يكن معقولا لغيره ولا محدوداً بحد إلا انه مما يصدق عليه مفهوم شيء ، لكن كل ما يتصور من الاشياء فهو بخلافه ، لان كل مايقع في الاوهام والعقول فصورها الادراكية

---

(١) الكافي : ٨٧/١ ❊ التوحيد : ٢٢٠ .

(٢) أي الحمل الشائع الصناعى عند المناطقة .

كيفيات نفسانية ، وأعراض قائمة بالذهن ، ومعانيها مهيات كلية قابلة للاشتراك والانقسام فهو بخلاف الاشياء [١] .

في اشتقاق الاسم «الله» :

إن قلت : بأن الاسم «الله» مشتق من «إله» وهو المعبود الذي أَلِهَ [٢] الخلق عن درك ماهيته والاحاطة بكيفيته ، وتدل على ذلك عدة من النصوص :

ففي حديث عن أمير المؤمنين عليه السلام سأله رجل عن «بسم الله الرحمن الرحيم» مامعناه ؟ فقال عليه السلام : إن قولك «الله» أعظم اسم من أسماء الله عز وجل وهو الاسم الذي لا ينبغي أن يسمى به غير الله ، ولم يتسمّ به مخلوق ، فقال الرجل : فما تفسير قوله «الله» قال عليه السلام : هو الذي يتأله إليه عند الحوائج والشدائد كل مخلوق عند انقطاع الرجاء من جميع من دونه [٣] .

وفي حديث عن الباقر عليه السلام : الله معناه : المعبود الذي أَلِه الخلق عن درك ماهيته والاحاطة بكيفيته ، ويقول العرب : أله الرجل ، إذا تحير في الشيء فلم يحط به علماً ، ووله : إذا فزع الى شيء يحذره ويخافه ، والاله هو

---

(١) كما أن منشأ ذهابهم الى ذلك عدم تفريقهم بين المفاهيم الحقيقية والاعتبارية ـ أي المفاهيم الماهوية والفلسفية ـ وخلطهم بين مفهومي الصدق ـ الانطباق ـ والاندراج ، وهذه اشارة والتفصيل في كتابنا « الاشتراك اللفظي والمعنوي » و « توقيفية الأسماء الحسنىٰ » .

(٢) أي تحيّر .

(٣) التوحيد : ٢٣١ .

المستور عن حواس الخلق [١] .

وفي صحيحة هشام قال : سألت ابا عبدالله عليه السلام عن أسماء الله عز ذكره واشتقاقها ، فقلت : «الله» مما هو مشتق ؟ قال : ياهشام «الله» مشتق من إله ، وإله يقتضي مألوهاً ، والاسم غير المُسمّىٰ ، فمن عبد الاسم دون المعنى فقد كفر ولم يعبد شيئاً ، ومن عبد الاسم والمعنى فقد أشرك ، وعبد اثنين ، ومن عبد المعنى دون الاسم فذلك التوحيد ، أفهمت ياهشام ؟ قال : فقلت : زدني فقال : ان لله تبارك وتعالى تسعة وتسعين اسما فلو كان الاسم هو المُسمّىٰ لكان كل اسم منها إلهاً ، **ولكن لله معنى يدل عليه بهذه الأسماء وكلها غيره** [٢] .

وعليه : فإذا كان هذا الاسم «الله» مشتق فلا يكون من أسماء الذات ، بل لعله من أسماء الافعال ، وإذا كان هذا الاسم الذي هو جامع لكل الأسماء الالهية ليس اسماً للذات بما هي هي فبقية الأسماء المندرجة تحته كذلك ، فالاسم « الله » ليس كالاسم « زيد » ، فإن زيداً اسم لذات زيد ، وهو غير مشتق .

قلت :

١ /: كون الاسم مشتق لا يستلزم بالضرورة أن يكون من أسماء الافعال ، وتوضيح ذلك متوقف على معرفة حقيقة الصفات الذاتية والفعلية لله تعالى التي من خلالها وضعت الأسماء :

---

(١) التوحيد : ٨٩.

(٢) الكافي : ٨٨/١.

فالصفات الذاتية : هي تلك المفاهيم التي تنتزع من الذات الالهية بـما هي هي ، ولذا لا يمكن أن تسلب هذه الصفات عـنها ، فـإن صـدقها عـلى الذات صدق ذاتي لا عرضي ، وإلا للزم تفريغ الذات الالهية عن محتواها ، فحينئذ يصدق عليها القاعدة العقلية الكلية ـ سلب الشيء عن نفسه محال ـ والتي مرجعها إلى إجتماع النقيضين محال ، فالنتيجة أن تلك الصفات منتزعة من مقام الذات ، وهذا السنخ من الصفات أمور واقعية حقيقية ليس للـعقل مدخلية في إيجادها أو عدمها ، وهي التي يعبر عنها بأمهات الأسماء ، وأهم هذه الصفات : الحياة والعلم والقدرة ، فلا يصح سلب هـذه الصـفات عـن الذات المقدسة مطلقاً .

والصفات الفعلية : هي تلك المفاهيم التي ينتزعها العقل بعد المقايسة بين الذات الالهية ومخلوقاتها ، ولذا يمكن أن تسلب عنها ، وليس معناه بأن الذات الالهية خلوة منها ، **فالكلام في تعقل الصفات لا في مقام التـحقق الخارجي ونفس الأمر** ، فهي الصفات المنتزعة من مقام الفعل ، مـن هـذه الصفات الفعلية : الخلق ، الرزق ، الربوبية ، الارادة ، التكلم .

فالصفات الذاتية لا تـحتاج إلى مـتعلق آخـر غـير الذات الالهـية حـتى ينتزعها العقل [١] ، بخلاف الصفات الفعلية بحاجة إلى متعلق آخر غير الذات الالهية حتى تنتزع من قبل العقل ، فالتوصل إلى الصفات الفعلية بحاجة إلى نوع مقايسة ونسبة بين الله تعالى ومخلوقاته ، ومن دون هذه النسبة لا تحقق للصفة الفعلية بحسب لحاظ العقل لها ، ولذا يصح سلب الصفات الفعلية عنه

---

(١) وقد تقدم في المقام الثالث من إمكان انتزاع الصفات الذاتية من مخلوقاته تعالى .

تعالى عن مرتبة ذاته من دون أن تكون الذات خالية عنها ، فتقول : الله خلق كذا ولم يخلق كذا ، رزق فلان ولم يرزق فلان .

أما الصفات الذاتية فلا يمكن أن تسلب بأي حال ، فلا تقول الله قادر على كذا وليس بقادر على كذا ، أو الله يعلم بكذا ولا يعلم بكذا .

وبعد معرفة صفاته الذاتية والفعلية ، توضع أسماء للذات بلحاظ صفاته الذاتية ، وأسماء للذات بلحاظ صفاته الفعلية ، فبلحاظ صفة العلم يوضع اسم «العالم» له تعالى ، وبلحاظ صفة الحياة يوضع اسم «الحي» له تعالى ، وكون العالم مشتق من العلم ، والقادر مشتق من القدرة لا يستلزم أنها من أسماء الافعال بل هي اسم من أسماء الصفات ، هذا أولاً .

٢ / أن جميع الأسماء الالهية سواء كانت أسماء صفات أم أسماء أفعال هي بلحاظ صفاته تعالى وأفعاله ، أما الاسم «الله» فهو أجنبي عن الصفات والافعال الالهية ، فليس موضوعاً للذات المقدسة بلحاظ الصفات ولا بلحاظ الافعال ، وذلك لان الاسم «الله» بمعنى المعبود ، والمعبود مشتق من العبادة والعبادة فعل العبد لا فعل الرب والخالق والمدبر الاصيل .

ولذلك لا معبود إلا هو ، ولا تستحق العبادة إلا له تعالىٰ ، فلا معبود إلا الله تعالى ، ولا إله الا هو ، بخلاف بقية الأسماء ـ كما تقدمت الاشارة إليها ـ .

فعندنا ذات ـ غير الله ـ اتصفت بالرحمة والحياة والعلم والقدرة والخلق والرزق والغنى ... الخ ، لكن اتصافها بذلك بالغير وبالله تعالى ، وتسميتها بذلك فرع اتصافها الذي هو بالغير .

فيمكن اطلاق الاسم : الحي والقادر والخالق والرازق والمدبر والرب

على مخلوقاته تعالى ، لكن لا يمكن بأي حال من الاحوال اطلاق اسم «الله» و «المعبود» على غيره تعالى ، فلا يقال معبود باذن الله تعالى ، ولكن يقال قادر بإذن الله ، حي بإذن الله ، وخالق بإذن الله ، وباريء بإذن الله .

وهذا معنى أن الله ـ كما في الحديث ـ أباح كل الأسماء لخلقه سوى اسم الله تعالى ، ومعنى قول أمير المؤمنين عليه السلام : «الله» أعظم اسم من أسماء الله عز وجل وهو الاسم الذي لا ينبغي أن يسمى به غير الله ، ولم يتسمّ به مخلوق .

فاسم «الله» و «إله» من الأسماء المختصة بالله تعالى لا يشاركه فيها احدٌ مفهوماً ومصداقاً ولفظاً ، وليس هناك من يستحق العبادة إلا هو تعالى ، ومن عبد غيره فقد أشرك ، حتى وإن كان يتصور أن ذلك تقرباً له تعالى كما وقع لبعض المشركين المشار إليهم في قوله تعالى ﴿ **ما نعبدهم إلا ليقربونا الى الله زلفا** ﴾ [1] فأشركوا بعبادته باتخاذ آلهة غيره تُعبد .

إذ اتضح لك ذلك : «الله» و «إله» اسم من أسمائه تعالى ، وهذا الاسم غير منتزع من مقام الصفات أو الفعل الالهي ، فهو موضوع للذات الالهية بما هي هي ، ولذا يصح حمل جميع الأسماء والصفات عليه ، فنقول : الله هو الرحمن والرحيم والحي والقيوم .

كما يصح أن ندعو بهذا الاسم في كل الحالات ، فنقول : ياالله ارحمني ، ياالله شافني ، ياالله اغفر لي ، ياالله اغنني ، ياالله اهلك عدوي ، ياالله نجني ، ولا نقول : يا منتقم اشفني ، أو يا رحيم اهلك عدوي ، أو يا جبار اغنني ، أو يا

---

(١) الزمر : ٣.

شديد العذاب ادخلني الجنة ، وذلك لعدم المناسبة ، وهذا يعني أن الاسم «الله» سارٍ في أسماء الجلال والجمال كلها ، على نحو الوجود الاجمالي [١] ، أي البساطة التامة المشار إليها في قوله عليه السلام : « داخل في الاشياء لا بالممازجة وخارج عنها لا بالمزايلة » ، بمعنى أنه كل الاشياء وليس بشيء منها ، و « كل الاشياء » ناظر إلى حقيقة الكمال ، « وليس بشيء منها » ناظر إلى حقيقة النقص في المرتبة الوجودية .

ومن كل ذلك تعرف أن اسم « الله » موضوع للذات بما هي هي ، ولو لم يكن اسما للذات بما هي هي لأباحه الله تعالى لخلقه ، ولا تصف خلقه به ، ولو باقداره تعالى ، كما في بقية الصفات والأسماء .

مضافا إلى أنه لو لم يكن من أسماء الذات بما هي هي لكانت العبادة الواقعة من العبد لغير الذات المقدسة بل للصفات أو الأسماء ، وقد جاء في الحديث أنه من عبد الاسم دون المُسمّىٰ فقد كفر ، وكذلك من عبد الصفة دون الموصوف ، فتدبر ولا تغفل .

قال الفقيه الكبير المحدث الشيخ حسين العصفور قدس سره :

« وليعلم أن هذا الاسم ـ الله ـ أعظم الأسماء لأنه دال على الذات الجامع للصفات الالهية كلها حتى لا يشذ منها شيء ، وسائر الأسماء لا يدل آحادها إلا على آحاد المعاني من علم أو قدرة أو غيره .

---

(١) والاجمال في اصطلاح الحكيم غير الاجمال في علم الاصول ، فإن الاجمال عند الحكيم أشرف من التفصيل ، بخلافه في علم الأصول ، والذي يكون فيه التفصيل أشرف ، ويعبر عنه بالعلم التام والعلم الناقص ، والمراد من الاجمال في المقام هو المحدود ـ الكمال ـ دون الحد ـ النقص في المرتبة الوجودية .

ولانه أخص الأسماء اذ لا يطلقه أحد على غيره لا حقيقة ولا مجازاً ، وسائر الأسماء قد يسمى بها غيره كالقادر والعليم والرحيم وغيره ، فلهذين الوجهين يشبه أن يكون هذا الاسم أعظم الأسماء ، وأيضا معاني سائر الأسماء يتصور أن يتصف العبد بشيء منها حتى يطلق عليه الاسم كالرحيم والعليم والحليم والصبور والشكور وغيره، وإن كان اطلاقه الاسم عليه على وجه آخر يباين اطلاقه على الله تعالى .

أما معنى هذا الاسم فخاص خصوصا لا يتصور فيه مشاركة لا في المجاز ولا بالحقيقة ، ولأجل هذا الخصوص يوصف سائر الأسماء بأنها أسماء له ، فتتعرف بالاضافة إليه ، فيقال : الصبور والشكور والجبار والملك من أسماء الله تعالى ، ولا يقال : الله من أسماء الشكور والصبور ، لان ذلك من حيث هو أدل على كنه معانيه الالهية وأخص بها فكان أشهر وأظهر فاستغنى عن التعريف بغيره ، وعُرف غيره بالاضافة إليه [1] .

دفع توهم :

إن قلت : أن قول الامام الصادق عليه السلام : « الله مشتق من إله ، وإله يقتضي مألوهاً » فكون هذا الاسم «الله» كذلك معناه أنه ليس إسماً للذات ، لتوقفه على متعلقه .

قلت : التوقف والتعلق لا يختص بهذا الاسم فقط ، بل كل الأسماء بحاجة إلى متعلق ، سواء فرضت بأنها أسماء للذات أم لغير الذات ، فالعالم

(١) القول الشارح : ٣٦٣ ، والشيخ حسين هذا هو الذي لقب الشيخ أحمد الاحسائي بـ «الاوحد» اثناء إجازته له وقراءته عليه قبل مغادرته الى الاماكن المقدسة .

بحاجة إلى معلوم ، والقادر بحاجة إلى مقدور ، وكذا إله بحاجة إلى متأله ، ولا يمكن أن يقال بأن الله عالم بعد تحقق علمه بالمعلوم أو قادر بعد تحقق قدرته على المقدور .

بل هو تعالى ـ كما في روايات كثيرة ـ كان رباً إذ لا مربوب ، وإلهاً إذ لا مألوه ، وعالم إذ لا معلوم ، وقادر إذ لا مقدور ، وسميع إذ لا مسموع ، وبصير إذ لا مبصر ، وكما قال أمير المؤمنين ويعسوب الدين عليه السلام : له معنى الربوبية اذ لا مربوب ، وحقيقة الالوهية إذ لا مألوه ، ومعنى العالم ولا معلوم ، ومعنى الخالق ولا مخلوق ، وتأويل السمع ولا مسموع ، ليس مذ خلق استحق معنى الخالق [1] .

فالله سبحانه وتعالى في مقام الذات متصف بتلك الصفات الذاتية ، ولكن علم الانسان وتعقله لتلك الصفات والأسماء الالهية متوقف على المعلوم والمربوب والعابد والمسموع والمبصر ، فذكر هذه المتعلقات تفهيماً للسامع والمخاطب ، إذ العلم تصوراً وذهناً وتعقلا وإثباتاً لابد له من المعلوم ، والقدرة لابد لها من المقدور ، أما خارجاً ومصداقا فالعلم ذاته ولا معلوم ، والقدرة ذاته ولا مقدور ، فالمقدور والمعلوم واسطة إثباتية لمعرفة القادر والعالم ، وليست واسطة ثبوتية حتى يكون اتصاف الله تعالى بذلك محتاج إليها [2] .

---

(١) التوحيد : ٣٨ * الكافي : ١٣٩/١ .

(٢) تحقق شيء لشيء تارة لا يحتاجة إلى واسطة واخرى يحتاج إلى واسطة ، والواسطة على أنماط ثلاثة : ثبوتية واثباتية وعروضية :

فالواسطة الثبوتية : هي ماتكون الواسطة علة لتحقق المحمول للموضوع خارجاً ،كوسطية النار

قال الصادق عليه السلام ـ كما في صحيحة هشام ـ حينما سئل : أتقول أنه سميع بصير ؟ فقال عليه السلام : هو سميع بصير ، سميع بغير جارحة ، وبصير بغير آلة ، بل يسمع بنفسه ، ويبصر بنفسه ، وليس قولي : إنه يسمع بنفسه أنه شيء والنفس شيء آخر ، ولكني أردت عبارة عن نفسي إذ كنت مسؤولا ، وإفهاماً لك إذ كنت سائلا ، فاقول : يسمع بكله لا أن كله له بعض ، ولكني أردت افهامك والتعبير عن نفسي ، وليس مرجعي في ذلك إلا إلى أنه السميع البصير العالم الخبير بلا اختلاف الذات ولا اختلاف معنى [1] .

لعروض الحرارة للماء ، في قولنا «الماء حار» فالماء واقعاً ووجوداً اتصف بالحرارة بسبب النار ، وكعروض الضحك على الانسان بسبب التعجب ، فالواسطة في الثبوت هي الواسطة في التحقق والوجود بحيث لولاها لما تحقق العارض للمعروض خارجاً .

والواسطة الاثباتية : هي سبب للعلم بثبوت المحمول للموضوع ، فسبب معرفتنا بكون الماء حاراً هي المعبّر عنها بالواسطة في الاثبات ، فالنار واسطة في ثبوت تحقق الحرارة للماء ، والاحساس واسطة في العلم بتحقق الحرارة للماء .

فالواسطة في الاثبات هي الواسطة في العلم ، والواسطة في الثبوت هي الواسطة في التحقق والوجود .

أما الواسطة في العروض فهي مختصة بالجمل وتراكيب الكلام ، فقولنا : زيد قائم ، حمل القيام على زيد ليس بحاجة إلى واسطة ، أما قولنا «الميزاب جارٍ» بحاجة إلى واسطة في الحمل اذ الميزاب لا يوصف بالجريان ، فالواسطة في العروض هي المصححة لنسبة الجريان إلى الميزاب ، والواسطة في المقام هي الماء ، ولوجود العلاقة بين الماء والميزاب صح حمل الجريان على الميزاب مجازاً ، وهي المُسمّىٰ عند علماء المعاني بالمجاز في الاسناد «المجاز العقلي» ، وهو يختلف عن المجاز في الكلمة ، ففي قولنا «رأيت أسداً يرمي» كلمة «أسد» استعملت مجازاً في الرجل الشجاع ، فهذا مجاز في الكلمة ، أما قولنا السابق «الميزاب جارٍ» فهو مجاز في الاسناد اذ استعملنا كلمة «ميزاب» في معناها الحقيقي ، وكذلك «جار» ، وإنما المجاز متحقق في اسناد وحمل الجريان على الميزاب .

والعروض له اصطلاحات عدة منها ما ذكرناه ، ومنها يطلق ـ عند الحكماء ـ ويراد منه الموجودية بالعرض .

(١) الكافي : ٨٣/١ ، ١٠٩ * التوحيد : ١٤٤ .

قال العارف الدرود آبادي : « من قال إن اسم الله اسم للذات بما هو هو ، فقد أخطأ بوجوه :

الاول : ان اسم الله بمقتضى مارواه في الكافي [١] مرتبة خامسة من ذلك الاسم المخلوق ، وفوقه أربعة أسماء غير ظاهرة في عالم الشهادة ، فاسم الله اسم لمرتبة رابعة من ذلك الاسم .

الثاني : إن اسم الشيء عبارة عن وجوده اللفظي أو وجوده الكتبي الملازم إطلاقه أو احساسه لانفهام ذلك الشيء بسبب تعاهد ذلك عند جماعة ، فكان التعبير بالاسم تعبيراً عن المُسمّىٰ ، فقولك «زيد» ـ مثلا ـ كأنك اتيت بنفس زيد ، وذاته تعالى لا تعبير عنه ، فإن التعبير عن الشيء بعد الاحاطة به ، وهو خارج عن طوق الممكن .

الثالث : مافي الكافي عن هشام عن ابي عبدالله عليه السلام « يا هشام ، الله مشتق من إله ، وإله يقتضي مألوهاً ، والاسم غير المسمىٰ » [٢] ووجه دلالته أن الاسم « الله » مشتق والمشتق لا يكون من أسماء الفعل .

ويرد على الاول : أن أسماء الذات لا ربط لها بالمراتب ، فيمكن وضع اسم للذات المقدس في كل مراتب الوجود ، وتكون للذات بلحاظ الذات ، لا بلحاظ الصفات والافعال ، وقد تقدم ما يدل على المقام في بداية مناقشة نظرية الشيخ الاحسائي .

مضافاً إلى إمكان القول : أن المراتب الاول لأسمائه تعالى هي مراتب

---

(١) في حسنة إبراهيم بن عمر المتقدمة مراراً.

(٢) شرح الأسماء الحسنى : ٣٩، بتصرف قليل.

الاسماء التكوينية العينية الخارجية .

ويرد على الثاني : أن التعبير عن الشيء لا يستلزم الاحاطه به ، والتسمية يكفي فيها أدنى مناسبة ، وقد مر تفصيل ذلك ، واسم الشيء أعم من الوجود الكتبي واللفظي والعيني الخارجي .

ويرد على الثالث : أن لا ربط للاشتقاق بأسماء الذات وأسماء الصفات والافعال ، كما تقدم .

وبكلمة جامعة : صحة حمل كل الصفات والافعال على الاسم « الله » شاهد على أنه أسم للذات بلا أي لحاظ وقيد .

الامر الرابع الذي يرد على نظرية الشيخ الاحسائي قدس سره :

كونهم عليهم السلام معاني الأسماء ومسمياتها ـ كما هو صريح كلامه قدس سره ـ حيث قال ما نصه : « إن الأسماء اللفظية مسمياتها ذواتهم » يتصادم مع مجموعة من الروايات الصحيحة الصريحة في أن من عبد الاسم دون المُسمّىٰ والمعنىٰ فقد كفر ومن عبد الاسم والمعنى والمُسمّىٰ فقد أشرك ، والمقصود من هذه الأسماء كما هو ظاهر بعض الروايات هي الأسماء اللفظية ، وعليه فهذه الأسماء اللفظية أسماء له تعالى ، كما أن الأسماء العينية أسماء له تعالى .

وفي صحيحة علي بن رئاب عن غير واحد عن أبي عبدالله عليه السلام قال : « **من عَبدَ الله بالتوهم فقد كفر ، ومن عبد الاسم ولم يعبد المعنى فقد كفر ، ومن عبد الاسم والمعنى فقد أشرك ، ومن عبد المعنى بايقاع الأسماء عليه بصفاته التي وصف بها نفسه فعقد عليه قلبه ونطق به لسانه**

في سرائره وعلانيته فأولئك أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام » [١] .

وفي صحيحة هشام قال : سألت ابا عبدالله عليه السلام عن أسماء الله عز ذكره واشتقاقها ، فقلت : «الله» مما هو مشتق ؟ قال : ياهشام «الله» مشتق من إله ، وإله يقتضي مألوهاً ، والاسم غير المُسمّىٰ ، فمن عبد الاسم دون المعنى فقد كفر ولم يعبد شيئاً ، ومن عبد الاسم والمعنى فقد أشرك ، وعبد اثنين ، ومن عبد المعنى دون الاسم فذلك التوحيد ، أفهمت ياهشام ؟ قال : فقلت : زدني فقال : ان لله تبارك وتعالى تسعة وتسعين اسما فلو كان الاسم هو المُسمّىٰ لكان كل اسم منها إلهاً ، **ولكن لله معنى يدل عليه بهذه الأسماء وكلها غيره** [٢] .

فكون الأسماء اللفظية مسمياتها ذواتهم المقدسة يستلزم أن تكون العبادة لهم عليهم السلام ، وهذا مما لا يلتزم به قدس سره قطعاً وجزماً ، كما نَسَب إليه بعض المتصوفة .

كما أنه ليس في الروايات أمر ثالث غير الأسماء والذات المقدسة ، حتى يقال بان الأسماء اللفظية تدل على الأسماء العينية والأسماء العينية تدل على الذات المقدسة ، فكون أهل البيت عليهم السلام مسميات الأسماء اللفظية لا يستلزم أن العبادة لهم بل هم طريق إلى عبادة الذات المقدسة ، بل الروايات ظاهرة في كون قوله عليه السلام في صحيحة هشام « ان لله تبارك وتعالى تسعة وتسعين اسما » هي الأسماء اللفظية المعدودة والمذكورة في عدة من

---

(١) الكافي : ٨٧/١ ＊ التوحيد : ٢٢٠ .

(٢) الكافي : ٨٧/١ ＊ التوحيد : ٢٢١ .

الروايات ، وهذه الأسماء كلها تشير [١] إلى حقيقة الحقائق الحقة الحقيقية .

تقرير آخر لنظرية الشيخ الاحسائي قدس سره :

قال بعض الحكماء المنتسبين إلى مدرسته قدس سره :

الاسم لا يقع إلا على الصورة ، لحاجة الغير إلى المُسمّىٰ به ، وإلا فهو في نفسه لا يحتاج إلى دعوة نفسه حتى يحتاج إلى الاسم والمَعْلَمة [٢] لنفي الخلاف ، ولا خلاف بين الشخص ونفسه ، وإنما الخلاف يقع في الممتازين المصورين ، كما إذا كان زيد وعمرو واختلف الناس في أن زيداً إمام مثلا أو عَمْراً ، وأنت تستدل بأن زيداً إمام وعمراً غاصب ، وزيد زيد بصورته وعمرو عمرو بصورته ، فلو نزع عنهما الصورة لا يبقى زيد ولا عمرو ويرتفع الخلاف البتة ، فالمعلمة أبداً لنفي الخلاف ، والخلاف لا يقع أبداً إلا بين الممتازين ، والمراد بالمعلمة هو الاسم ، فثبت أن الاسم لا يقع إلا على الصورة .

والمادة من حيث هي هي لا اسم لها أبداً ، كما أن اسم اللبنة يقع على الطين المكعب ، فلو نزعت عنه صورة التكعب لا يبقى اسم اللبنة أبداً ، فلو بقى اسم الطين فذلك أيضا يقع على الصورة الطينية لا على نفس العنصر مثلا ، فلو أزلتَ عنه الصورة لا يبقى الطين ، وكذا الكلام في العنصر وغيره من المواد ، فالأسماء أبداً تقع على الصور من حيث الصور لا على المواد من

---

(١) لا على نحو الاشارة الحسية ولا العقلية ، بل على نحو لا يعرف حقيقته إلا الله والراسخون في العلم .

(٢) أي العلامة .

حيث هي هي .

فما لا صورة له لا اسم له مطلقاً ، وما له صورة له مادة ، وماله مادة وصورة مركب منهما ، والمركب غير البسيط الاحد سبحانه ، فهو لا اسم له ولا رسم ، فالأسماء كلها للمسميات والمسميات غير ذاته سبحانه وخلقه كائناً ما كان .

فكل ماطرق سمعك من الأسماء الحسنى والامثال العليا والكبرياء والالاء كلها لله سبحانه ، واللام للاختصاص [١] ، أي مخصوص له في ملكه، **ولفظ «الله» أيضاً اسم وله مسمى والمُسمّىٰ غير الذات** ، لان المُسمّىٰ هو الموسوم بالاسم ، والاسم هو صفة له فهو موصوف ، كما قال الرضا عليه السلام «الاسم صفة لموصوف» والصفة والموصوف مقترنان كل واحد منهما منسوب الى الاخر وهما متضايفان ،كالابوة والبنوة ، فما لم يكن صفة لم يكن موصوفا ، وما لم يكن موصوفا لم يكن صفة ، فهما مقترنان والذات لا تقترن بشيء من خلقه .

اذ ما سوى الذات خلق ، فليس له حد محدود ، ولا نعت موجود ، وكمال توحيده نفي الصفات عنه ـ كما قال أمير المؤمنين عليه صلوات المصلين ـ لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف ، وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة ، وشهادة الموصوف والصفة بالاقتران ، وشهادة الاقتران بالحدث

---

(١) قلت : هذا ربّما يتصور في قوله ﴿له الأسماء الحسنى﴾ أما قوله ﴿هو الله﴾ فلا يتصور ، والنحاة يفرقون بين «لام» الاختصاص و «لام» الملك ، وقد تقدم كون اللام للاختصاص أو للملك لا مدخلية لهما فيما نحن فيه .

الممتنع من الازل .

وبالجملة : الأسماء كلها أوصاف كما قال الرضا عليه السلام ، والاوصاف مقترنة بالموصوفات ، والموصوف موصوف بصورة الموصوفية أيضاً ، ولها مادة لا محالة فلا يبقى اشكال انشاء الله لمن له أدنى مسكة ان الاسم يقع على الصورة أبداً ، والصورة لها مادة أبداً ، والذات البسيط ليس له مادة ولا صورة فليس له اسم ، والذات أيضا اسم من الأسماء ولها أيضا مسمى وما لا اسم له لا تعبير عنه مطلقاً مطلقاً أبداً أبداً ، فظهر أن موقع الأسماء كلها غيره فمن عرف مواقع الاسم والصفة بلغ قرار المعرفة [١] .

أقول : فمحصل كلامه أمور ثلاثة :

١ / أن الاسم تابع للصورة فما لا صورة له لا اسم له .

٢ / أن الاسم صفة لموصوف ، والصفة غير الموصوف ، والصفة تستلزم الاقتران ، والموصوف له وصف الموصوفيه ، ووصف الموصوفية يحتاج إلى مادة فيكون الموصوف مركباً ، والذات المقدسة بسيطة ولا تقرن بخلقها .

٣ / أن الهوية الغيبة لا اسم لها ولا رسم فلا تعبير عنها من وصف أو اسم أو تجلٍ .

ويرد على الاول والثالث ـ مضافاً لما تقدم ـ : أن الواضع للاسماء الحسنى لا يخلو من أن يكون هو الله أو البشر .

فإن كان البشر فيمكن لهم أن يضعوا الأسماء للذات بما هي هي ، وإن

---

(١) الرسائل : ج ٢٤٧/١ للحكيم الحاج ميرزا محمد باقر الشريف الطباطبائي .

لم يحيطوا بالذات ، إذ وضع الأسماء للذوات يكفي فيه إدراك الموضوع له الاسم ولو بنحواً من الانحاء ، فلا يشترط في التسمية الاحاطة بالمُسمّىٰ ، كما لايشترط الاحاطة ولو ببعض مراتب المُسمّىٰ كما تقدم ، بل يكفي معرفة آثار الشيء وأفعاله في عملية التسمية ، وهذا أصل كلي قد تعارف عليه أهل اللغة قاطبة ، فلا يمكن رفع اليد عنه أصلا .

أما إذا كان الواضع هو الله تعالى فالمسألة في غاية البساطة ، إذ يمكن أن يضع اسماً لفظياً لذاته ويحكي هذا الاسم جميع الصفات ، ويمكن ان يضع اسماً لفظياً لذاته يحكي بعض الكمالات ، وحكاية شيء عن شيء لا تسلزم إحاطة الشي بالشيء ، بل لا تستلزم إحاطة الشيء ببعض مراتب الشيء ، فان الصور المرآتية تحكي عن ذيها ، ولكنها لا تحيط بذيها ، بل لا تحيط ببعض مراتبها ، ولله المثل الاعلى .

وقوله : « أن ما ليس له صورة فليس له اسم » ، فإما أن يقصد بالصورة هي الصورة المثالية المجردة عن المادة دون آثار المادة ـ من الطول والعرض والارتفاع ـ كالصور الخيالية الذهنية ، أو المقصود من الصورة الماهية ، فما ليس له ماهية ليس له اسم ولا رسم ، أو المقصود منها الصورة بمعنىٰ التلبس بالفعلية [1] كما هو المتعارف عند حكماء المدرسة المشائية ، وإن كانت هناك معانٍ أخر للصورة لا يهمنا ذكرها في المقام .

---

(١) كما لو كانت لديك ورقة فإنها من جهة لها استعداد أن تكون رماداً ، وإذا نظرنا لها باعتبار تلبسها الفعلي فهي متلبسة بالورقية ، فيعبَّر عن الاستعداد بالمادة ، ويعبَّر عن التلبس بالفعلية بالصورة .

إن كان المقصود من الصورة المعنى الاول ، فإنه ليس للنفس الناطقة صورة كما هو معلوم بالوجدان ، ومع ذلك فلها اسماً ووضع لها البشر اسماً مشيراً إلى تلك الحقيقة البديهية لدى كل الناس .

وان كان مقصوده من الصورة « الماهية »[١] أي ما به الامتياز ـ ولعله هو مقصوده ـ فيرد عليه ما تقدم من عدم اشتراط الاحاطة بالذات أو ببعض مراتب الذات في التسمية ، بل يكفي استشعار وجود الذات من خلال آثارها وأفعالها .

وإن كان المراد من الصورة المعنى الثالث ، فلا إشكال في البين ، لانه كما أن الانسان صورته بمعنى وجوده وتحققه وفعليته ، كذلك الله سبحانه وتعالى له صورته الذي تخصه بهذا المعنى المذكور ، ولا ربط لهذا بين وضع الأسماء للمسميات والمعاني .

مضافاً إلى أن القول السليم والسديد في أن النور الاول وهو نور النبي والوصي صلى الله عليهما وآلهما وإن كان ليس له الاطلاق التام كما في الحق تعالىٰ ولا له التقييد كما في الممكنات ، بل إن لذلك النور حقيقة وهي عبارة عن إطلاق سعي ظلي ، و هو المعبر عنه بالبرزخية الكبرىٰ بين الحق والخلق ، أو الخلق المخلوق به ، فهو بهذا الاعتبار حقيقة لا ماهية لها[٢] .

---

(١) والماهية هي حد كل شيء أو قالب كل شيء ، فالوجودات المحدودة ماهيات ، فللانسان قالب معين ، وللفرس قالب آخر ، وللجبل قالب ثالث ، وللنبات قالب رابع ، هذه القوالب التي لازمها المحدودية تسمى بالماهيات ، ولها اصطلاحات اخرى عند أصحاب المعرفة والمنطق وعامة الحكماء .

(٢) والظاهر أن هذا هو مقصود الشيخ الاحسائي قدس سره من قوله في شرح الزيارة : « ان

ويرد على الثاني : أن الله تعالى وصف نفسه بصفات ، وكذا أهل البيت عليهم السلام وصفوا الخالق مطلقاً بصفات ، ولكن هذه الصفات ليست مغايرة مع ذاته ، فهو محض القدرة والعلم والحياة لا أن القدرة والعلم والحياة زائدة على ذاته .

فهو تعالىٰ كما ورد في الأثر الصحيح عن الصادق عليه السلام « هو عزّ وجل مثبت موجود ، لا مبطل ولا معدود ، ولا في شيء من صفة المخلوقين ، وله عز وجل نعوت وصفات ، فالصفات له ، وأسماؤها جارية

الحقيقة المحمدية قد ملأت الوجود المطلق الذي ليس وراءه امكان ، وانما وراءه وجوب ، فالحادث الممكن غير الحقيقة المحمدية » شرح الزيارة الجامعة : ٢٨١/٣ ، وطبعاً الحقيقة المحمدية وجود بالغير ، فلا يُتوهم أن المقصود من كلامه أن الحقيقة المحمدية ليست من دائرة الوجود الممكن ، إذ قد صرّح بذلك في مواضع كثيرة في شرحه الكبير للزيارة الجامعة ، بل أن مراده من كون الحادث الممكن غير الحقيقة المحمدية هو أن الحقيقة المحمدية مرتفع عنها التقييد ، وهذا بخلاف الحادث الممكن فإنه مقيد .

وأول من صرح بهذه الفكرة بهذا البيان قبل الشيخ الاوحد ـ على الظاهر ـ المتصوفة وعلى رأسهم الشيخ محيي الدين بن عربي وهي المسماة عندهم بحقيقة الحقائق ، وإنما كانت الحقيقة المحمدية هي صورة لحقيقة الحقائق لاجل ثبوت الحقيقة المحمدية في حاق الوسطية والبرزخية .

قلت : وهذه الحقيقة المحمدية هي المشار إليها في الاحاديث المستفيضة عن طريق الفريقين الخاصة والعامة بالنور المحمدي والعلوي الذي خلقه الله تعالىٰ قبل خلق السماوات والارض ، ومن هذا النور تفرع كل خير وجود ووجود .

ومن يتصفح شرح الزيارة الجامعة للشيخ الاحسائي قدس سره يرى كثرة موافقته للعرفاء والمتصوفة وعلى راسهم الشيخ محيي الدين بن عربي من دون أن يكون تابعاً لهم ، ولا مجازفة إن قيل بان جميع ما توصل إليه من أفكار ورؤىٰ تتوافق من حيث المفهوم مع معتقدات المتصوفة والعرفاء وليس هناك ثَمَّ خلاف إلا من حيث المصداق والاصطلاح ، حتى في وحدة الوجود لكن بتفسير آخر « وأنفسكم في النفوس واسماؤكم في الأسماء » والاستقراء ببابك .

على المخلوقين ، مثل السميع والبصير والرؤوف والرحيم وأشباه ذلك ، والنعوت نعوت الذات لا يليق إلا بالله تبارك وتعالى ، والله نور لا ظلام فيه وحي لا موت فيه ، وعالم لا جهل فيه ، وصمد لا مدخل فيه ، **ربنا نوري الذات حي الذات ، عالم الذات ، صمدي الذات** » [١] .

فلا تعدد حقيقي ولا تعدد حيثي ، أي أنه ليس بقادر من حيثية وعالم من حيثية أخرى [٢] .

والمتبادر العرفي للصفات هو زيادتها على الذات ، وهو المنفي في قوله عليه السلام « **وكمال الاخلاص له نفي الصفات عنه ، لشهادة كل صفة**

---

(١) التوحيد : ١٤٠ .

(٢) ذكرنا في كتابنا « صفات الخالق والمخلوق » أن المذاهب الرئيسية في علاقة الصفات مع الذات المقدسة أربعة :

١ / عينية الصفات للذات بلا تعدد في الحيثية .

٢ / عينية الصفات للذات مع تعدد الحيثية ، بمعنى أنه عالم تعالى من حيث أن الاشياء حاضرة لديه ، وقادر من جهة أخرى ، كما ذهب إليه بعض المعاصرين ، وجعل ذلك دليلاً على انكار قاعدة الواحد .

٣ / زيادة الصفات عن الذات .

٤ / تعطيله تعالى عن الصفات ، ونيابة الذات عن الصفات .

وهناك نظرية أخرى للشيخ الصدوق قدس سره من رجوع الصفات الثبوتية إلى أمور سلبية ، فمعنى الحياة عدم الموت ، ومعنى العلم عدم الجهل ، ومعنى القدرة عدم العجز ، ويمكن استفادة معنىً أدق ببركة نظريته قدس سره ، ولعل كل من أشكل على الصدوق قدس سره لم يعطي التأمل والتحقيق حقه ، كما في تصحيح الاعتقاد لمعلم الامة المفيد قدس سره ، ولب هذه النظرية المستفادة من كلماته قدس سره : فمعنى أنه نور لا ظلمة فيه ، أي أن نوره لا محدود ، ومعنى أنه علم لا جهل فيه ، أن علمه لا محدود ، وهكذا في بقية الاوصاف ، ويمكن من خلال نظريته قدس سره إيجاد الفارق الاساسي بين صفات الذات وصفات الفعل ، باعتبار المحدودية واللامحدودية ، والتفصيل في الكتاب المزبور .

أنها غير الموصوف ، وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة » هذا في سائر الاشياء ، إذ العلم شي وذات العالم شيء آخر ، وقس على ذلك بقية الصفات، وهذا واضح لا غبار عليه ، فالمنفي في كلام الامير عليه السلام هو نفي الصفات الزائدة ، أما الصفات العينية فهي ليست زائدة حقيقة ، وإنما هي زائدة مفهوماً وفي الذهن ، وتعليماً كما في بعض الروايات للمتعلم والمستبصر ، فالاقتران إنما هو لتعليم الجاهل وتفهيم المستمع كما أخبر بذلك المعصوم عليه السلام .

فالتمسك بقوله عليه السلام « أن الصفة غير الموصوف » لنفي أن تكون هناك صفة له تعالى يستلزم ما يلي :

أولا : التعطيل ، المنهي عنه في عدة من الروايات منها :

١ / صحيحة القصير قال : كتبت على يدي عبدالملك بن أعين الى إبي عبدالله عليه السلام بمسائل فيها : أخبرني عن الله عزوجل هل يوصف بالصورة والتخطيط ، فإن رأيت ـ جعلني الله فداك ـ أن تكتب إلي بالمذهب الصحيح من التوحيد .

فكتب ـ صلى الله عليه ـ على يدي عبدالملك : سألت رحمك الله عن التوحيد وماذهب فيه من قبلك ، فتعالى الله الذي ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير ، تعالى الله عمّا يصفه الواصفون المشبهون الله تبارك وتعالى بخلقه المفترون على الله .

اعلم رحمك الله : أن المذهب الصحيح في التوحيد مانزل به القران من صفات الله عز وجل ، فانف عن الله البطلان والتشبيه ، فلا نفي ولا تشبيه ،

هو الله الثابت الموجود ، تعالى الله عما يصفه الواصفون ، ولاتعد القرآن فتضل بعد البيان [١] .

ومعلوم أن القران وصف الله تعالى بصفات ، فنفي هذه الصفات هو مذهب المعطلة .

٢ / وعن اليقطيني قال : قال لي ابو الحسن عليه السلام : ماتقول : إذا قيل لك : اخبرني عن الله عز وجل ، أشيء هو أم لاشيء هو ؟ قال : فقلت له : قد أثبت عز وجل نفسه شيئاً حيث يقول ﴿ **قل أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم** ﴾ فأقول : أنه شيء لا كالاشياء ، إذ نفي الشيئية عنه إبطاله ونفيه ، فقال لي : صدقت وأصبت .

ثم قال الرضا عليه السلام : للناس في التوحيد ثلاثة مذاهب : نفي ، وتشبيه ، وإثبات بغير تشبيه ، فمذهب النفي لا يجوز ، ومذهب التشبيه لا يجوز ، لان الله تبارك وتعالى لا يشبهه شيء ، والسبيل في الطريقة الثالثة اثبات بلا تشبيه [٢] .

والتشبيه كون الصفات زائدة كصفات المخلوقين ، والتعطيل تعطيله عن الصفات ، والطريقة الثالثة له صفات ذاتية ، فالعلم ذاته والقدرة ذاته ، وحيثية العلم هي حيثية القدرة ، وحيثية القدرة هي حيثية بقية الصفات ، فالصفات المنفية عنه تعالى في بعض الاحاديث والروايات هي تلك الصفات المستلزمة للتشبيه ، لا تلك الصفات المستلزمة للاثبات بلا تشبيه .

---

(١) الكافي : ١/١٠٠ ＊ التوحيد : ١٠٢ .

(٢) التوحيد : ١٠١ .

وثانياً : طرح الاحاديث الكثيرة المصرحة بأن الله قد وصف نفسه لعباده ووضع لنفسه أسماء يدعونه بها ، من هذه الروايات :

١ / الحسين بن خالد عن ابي الحسن عليه السلام قال : .... ثم وصف نفسه تبارك وتعالى بأسماء دَعىٰ الخلق ـ اذ خلقهم وتعبدهم وابتلاهم ـ إلى أن يدعوه بها ، فسمى نفسه سميعاً بصيراً ، قادراً قاهراً ، حياً قيوماً ، ظاهراً باطناً ، لطيفاً خبيراً ، قوياً عزيزاً ، حكيماً عليماً ، وما أشبه هذه الاسماء [١] .

وعن الصدوق في حديث المناظرة قال عليه السلام للمروزي : فليس لك أن تسميه بما لم يسمّ به نفسه [٢] .

٢ / مجاهد عن ابن عباس قال : قدم يهودي على رسول الله صلى الله عليه واله يقال له «نعثل» فقال : يامحمد اني سائلك عن اشياء تلجلج في صدري منذ حين ، فإن أنت اجبتني عنها اسلمت على يدك ، قال : سل يا أبا عمارة ، فقال : يامحمد صف لي ربك ، فقال صلى الله عليه واله : إن الخالق لا يوصف إلا بما وصف به نفسه ، وكيف يوصف الخالق الذي يعجز الحواس أن تدركه ، والاوهام أن تناله ... [٣] .

٣ / معتبرة الفتح بن يزيد الجرجاني عنه عليه السلام : إن الخالق لا يوصف إلا بما وصف به نفسه ، وأنىٰ يوصف الذي تعجز الحواس أن تدركه ، والاوهام ان تناله ، والخطرات ان تحده ، والابصار عن الاحاطة به ،

---

(١) عيون الاخبار : ١٤٥/١ .

(٢) عيون لاخبار : ١٨٩/١ .

(٣) كفاية الاثر : ١١ بسند متصل مقبول قريب من مرتبة الحسن .

جلّ عما وصفه الواصفون ، وتعالى عما ينعته الناعتون ، ...[١] .

٤ / صحيحة هارون بن عبدالملك عن الصادق عليه السلام قال : هو عزّ وجل مثبت موجود ، لا مبطل ولا معدود ، ولا في شيء من صفة المخلوقين ، وله عز وجل نعوت وصفات ، فالصفات له ، وأسماؤها جارية على المخلوقين ، مثل السميع والبصير والروؤف والرحيم وأشباه ذلك ، والنعوت نعوت الذات لا يليق إلا بالله تبارك وتعالى ، والله نور لا ظلام فيه وحي لا موت فيه ، وعالم لا جهل فيه ، وصمد لا مدخل فيه ، **ربنا نوري الذات حي الذات ، عالم الذات ، صمدي الذات**[٢] .

وإن شئت فقل كما قال الامام عليه السلام : بأن بينونته تعالى عن صفاته بينونة صفتية لا عزلية ، وهو المعبر عنه في كلماته عليه السلام « داخل في الاشياء لا كشيء في شيء داخل ، وخارج من الأشياء لا كشيء في شيء خارج »[٣] ، وهذا الذي حارت فيه أذهان العرفاء والمتصوفة ، فعبروا عنها بتعبيرات ما زادت بياناتهم عنه إلا غموضاً وابتعاداً عن المنهج السديد والمنبع الصافي والرأى الرشد والعين المعطلة والقصر المشيد .

تقرير ثالث لنظرية الشيخ الاحسائي قدس سره :

قال بعض العرفاء المتصوفة : « إنَّ الذات لا اسم ولا رسم لها ، وذلك لأن اسم الشيء ما يميزه ويكشفه ، فيجب أن يطابقه ليكشفه ، والذات الالهية

---

(١) الكافي : ١٣٨/١ * التوحيد : ٦١.

(٢) التوحيد : ١٤٠.

(٣) المحاسن : ٢٤٠/١ * الكافي : ٨٦/١ * أمالي الصدوق : ٤٢٣ * التوحيد : ٢٨٥.

لا تظهر ولا تُكشف بمفهوم من المفاهيم ليكون اسماً له تعالى ، فارجع إلى وجدانك هل تجد مفهوما يكون ذلك المفهوم عين مفهوم آخر ، فضلا عن المفاهيم الغير المتناهية التي بازاء كمالاته تعالى ، كيف ! والمفهوم محدود وذاته تعالى غير محدودة ، فلا اسم للذات الاحدية أصلا تقدست ذاته تعالى عن أن يحده حاد ، ويحيط به شيء من الاشياء الغيبية كالمفاهيم أو العينية كالموجودات ، فالوجود المنبسط العام ومفهومه العام الاعتباري يكشفان عن اطلاقه لا عن ذاته الاقدس الارفع الاعلى .

والكون هو الوجود العام المنبسط واذا كان الكون خيالا فالمفهوم الاعتباري أيضا خيال ، وحقائق الاشياء المسماة بالعالم أيضا خيال فالعالم كله خيال في خيال ، وأنت تعلم أن خيال الشيء لا يكشف عنه لان خيال الشيء دون حقيقته والحكاية دون المحكي عنه ، واذا كان الأمر كذلك فأسماء الذات تعبيرات عنها يعبر عنها بها للتفهيم » . انتهىٰ .

وعمدة كلامه : أن الاسم لا يكون اسماً إلا إذا طابق المسمىٰ ، كما أن الاسم مفهوم والمفهوم محدود ، والله لا يحده حد .

وقد تقدم الجواب عن الشق الاول ، وقلنا أن التسمية يكفي فيها ادنىٰ مناسبة فراجع .

وأما قوله أن الاسم مفهوم والمفهوم محدود ، فكلام صحيح من جهة ، إذ أن المفاهيم وجودات عقلية ، والوجود العقلي محدود بحد لا يتجاوزه ، وليس الكلام في ذات المفهوم المتشخص في العقل ، وإنما الكلام في المتعقل من المفهوم وما يصدق عليه ، فمفهوم « غير المتناهي » وجوده

العقلي له حد ، لكن معناه ومصداقه لا حد له .

وهذا نظير مفهوم « الجزئي » ، فإنه جزئي بالحمل الذاتي الاولي ، كلي بالحمل الشائع الصناعي ، فـ « الجزئي » يصدق على نفسه بالحمل الاولي ، ولا يصدق على نفسه بالحمل الشائع ، ومعنى ذلك : أن مفهوم الجزئي جزئي ، لكن مصاديق الجزئي ليست بجزئية بل هي كلية ، إذ يصدق الجزئي على مصاديق خارجية كثيرة (١) .

قال الشهيد الاول قدس سره : « الله اسم للذات ، لجريان النعوت عليه ، وقيل : هو اسم للذات مع جملة الصفات الالهية ، فإذا قلنا «الله» فمعناه الذات الموصوفة بالصفات الخاصة ، وهي صفات الكمال ، ونعوت الجلال » (٢) .

الدفاع عن الشيخ الاحسائي قدس سره :

قال العلامة المتصوف السيد محمد حسين الطهراني رحمه الله :

« يقول محيى الدين بن عربي وجميع العرفاء بالله : إن معرفة الله ممكنة للانسان ، وإن مقام الانسان ودرجته وشخصيته هي التي تستطيع طي هذا

---

(١) وإن كان هذا المعنى من الحمل الذاتي الأولي والشائع الصناعي له معنىً آخر أدق يختص بالذهن دون الخارج ، فالذهن البشري عندما ينتزع المفاهيم من الحقائق الخارجية تكون هذه المفاهيم كلها مندرجة تحت عنوان المفهوم والذي هو كلي ، وعند المقايسة بين مفهومي الانسان والشجر ، يكون لمفهوم الانسان حد وعليه فيتصف بالجزئية فيقال الجزئي جزئي بالحمل الذاتي الأولي ، ولكن عند مقايسة مفهوم الانسان مع العنوان العام المندرج تحته كل المفاهيم فإنه يفقد حده فيكون كلياً ، وهذا غير ما ذكرناه في المتن .

(٢) المصباح للكفعمي : الفصل الثاني والثلاثون .

الدرب ونيل لقاء المحبوب ، كما أن لقاءه هو الفناء في ذاته ، لان عدم الفناء والمحو فيه يعنى عدم حصول معرفته ، أما في حال تحقق الفناء فليس هناك غير الله شيء باق ليعرف الله ، وآنذاك فإن لله سبحانه هو الذي يعرف نفسه .

وتقول الشيخية : إن معرفة الحق تعالى أمر محال ، فما هو ممكن معرفة أسمائه وصفاته ، وذلك مختص بالكاملين من الناس لا لجميعهم ، وعليه فإن اسم الرازق ، والخالق ، والمحيي ، والمميت ، والسميع ، والبصير ، والعليم ، والقادر ، والحي ، وما ينشأ منها هي حقيقة الائمة المعصومين عليهم السلام ، والذين هم في مقام الذات ، كما أن غاية سير كل فرد من أفراد البشر هو الفناء في ذلك الاسم الذي هو أفضل منه وأعلى .

لذا فإن مقام ودرجات الناس بحسب اختلاف استعدادهم في الفناء في الأسماء الكلية أو الجزئية ، فهم في النهاية فانون جميعاً في الأسماء والصفات ، كما أن حقيقة الأسماء والصفات الالهية في المراتب العالية هي تلك الولاية الكلية المتحققة في المعصومين ، والانسان الكامل هو الذي يستطيع أن يجد الطريق إليها ويحصل على معرفتها .

وتوجد في هذه النظرية إشكالات مهمة هي :

أولاً : أنها سد لباب المعرفة بالخالق ، في حين أن الله تعالى خلق السماء والارض والافلاك تمهيداً لمعرفة البشر .

وثانياً : إن هذه النظرية تجسد حقيقة معنى التفويض ، أي أجلى صورة من صوره المتصورة ، ذلك لان عقيدة المفوضة بأن الله سبحانه حين خلق

العالم فقد أوكل تدبيره إلى الائمة ، لكن هؤلاء الشيخية يقولون : ليس تدبير العالم لوحده في يدهم ، بل أن خلق العالم وابتداعه والرزق والاحياء والاماتة والسلامة والمرض هي جميعاً في أيديهم .

وهذا الوجه هو أقبح ما يفترض تصوره في التفويض ، حيث إنه عزل لله سبحانه من جميع الامور والجهات وعطله في زاوية من العالم بدون أثر ولا مسمى ، وأبطل فعله وهيمنته ، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيرا .

وثالثاً : إنه من أجلى أقسام الشرك وأظهرها ، فقد اعتبر أن هناك مؤثر غير الله في جميع الموجودات .

ورابعاً : إنه من أظهر أقسام الارتفاع والغلو ، وذلك لانه لا يكتفي باعتبار المعصومين المصدر الوحيد للامور بل إنه يشرك الله معهم في ذلك ، فقد أوكل هؤلاء أمر العالم بشكل مطلق إلى الائمة واكتفوا بذكر الله على ألسنتهم ، فهم في الحقيقة يعدون الله سبحانه أجوف بلا معنى ولا مغزى .

وخامساً : إن عبادتهم انصبت على هذه الذوات المقدسة فقط ، فهم يسألون منهم حاجاتهم ويتوسلون إليهم ويؤملونهم وحدهم ، غافلين بل متناسين ورافضين الله الواحد القهار الذي خلقهم والاخرين ، والذي له الولاية عليهم كل آن .

وسادساً : أي دليل قائم على أن معرفة الله مختصة بالائمة المعصومين لا تتعداهم ؟ فهؤلاء بشر وسائر الناس بشر أيضاً ، وما أمكن لهؤلاء عقلا ممكن لغيرهم أيضاً ، كما ينبغي شرعاً ـ باعتبارهم أئمة ـ أن يكون للمأمون إدراكهم في العمل والوصول وإلا لما تحقق معنى الامامة .

وكان سماحة آية الله وصي المرحوم القاضي المرحوم الحاج الشيخ عباس القوچاني أعلى الله درجته يقول : قلت يوماً لحضرة السيد ـ الاستاذ القاضي ـ: ماهو الاشكال في عقيدة الشيخية ؟! فأولئك من أهل العبادة وأهل الولاية أيضاً ، وخاصة أمر إظهارهم المحبة والاخلاص للائمة عليهم السلام كما نفعل نحن ، كما أن فقههم فقه الشيعة ، يضاف الى ذلك مسألة عدهم كتب الاخبار معتبرة وعملهم برواياتنا ، وإجمالا فإنا كلما بحثنا عن إشكال فيهم من جهة الاخلاق والعمل لم نجد من ذلك شيئاً .

أجاب المرحوم القاضي : اجلب شرح الزيارة للشيخ أحمد الاحسائي غداً !

فأحضرت له شرح الزيارة للشيخ الاحسائي في اليوم التالي ، فقال : اقرأ ! فقرأت فيها مايقرب من ساعة كاملة ، ثم قال : يكفي هذا ! أتبين لك الان ماهو الاشكال فيهم ؟ الاشكال هو في عقيدتهم .

إن هذا الشيخ يحاول في كتابه هذا أن يثبت أن ذات الله سبحانه ليس لها اسم ورسم [١] ، فهي ما فوق صفاته وأسمائه ، وأن ما يتحقق في العالم يتحقق بالأسماء[٢] والصفات وأنها هي المبدأ لخلق العالم وخلق آدم والمؤثر [٣] في تدبير شئوون هذا العالم في بقاء الحياة ودوامها .

فذلك الله ليس له اتحاد مع الصفات والأسماء [٤] بل إنها تعمل بصورة

---

(١) لم يكن له اسم فخلق الاسماء ليعرف .

(٢) وهذا الذي يعض عليه بالنواجد .

(٣) تحت نظام الأمر بين الامرين ، كما يذهب إليه الشيخ الاحسائي قدس سره .

(٤) أما اتحاده مع الصفات فيقول به الشيخ الاحسائي قدس سره ، وأما مع الاسماء فلا ، وهو الذي

مستقلة [١]، لذا فإن عبادة الانسان تصبح لأسماء الله وصفاته لا إلى ذاته التي لا توصف ولا يتسع لها الوهم والخيال [٢].

وعليه فإن الشيخ الاحسائي يعتبر الله سبحانه مفهوماً فارغاً بلا تأثير وخارجاً عن الأسماء والصفات، وهذا عين الشرك !!!

ولكن العارف يقول: إن ذات الله أسمى من الوصف وأعلى من الخيال والوهم، وإن لها السيطرة والهيمنة على الأسماء والصفات، فجميع الأسماء والصفات موجودة [٣] في ذاته القدسية بدون حدود وجودية لها وبلا تعينات وتقيدات، كما أن جميع الصفات والأسماء ترجع الى الذات وان المقصد والمبدأ والمنتهى هي ذاته، غاية الأمر إن ذلك يتم عن طريق الأسماء والصفات.

ولذا فاننا نشير إلى تلك الذات بقولنا: ﴿ **وجهت وجهي للذي فطر السماوات والارض** ﴾ [٤] ولو لم يكن ذلك معلوماً لدينا، انتهى كلام حضرة السيد القاضي.

ولهذا الأمر فإن الشيخية والحشوية الذين يرأسهم الشيخ أحمد الاحسائي يقفون في قطب مخالف للعرفاء، ولذا نراهم يكنون للعرفاء كل

يعض عليه بالنواجد.

(١) لقد صرح الشيخ الاحسائي بنفي التفويض الممتنع في أكثر كتبه.

(٢) بل الشيخ الاحسائي قدس سره يعبد الله بايقاع الاسماء عليه بصفاته التي وصف بها نفسه، كما في صحيحة هشام بن سالم، وهو قدس سره عبد للالتزام بما ورد عن أهل البيت عليهم السلام.

(٣) والاحاديث تقول: صفاته عينه، وأسماؤه غيره، كما تقدم بيان ذلك بشكل مفصل فراجع.

(٤) الانعام: ٧٩.

هذا العداء ويقسون في معاملتهم ، وذلك لانهم يسيرون في نهج مختلف تماماً عن بعضهم »[1] .

التأمل في كلام السيد الطهراني :

أقول : ما ذكره العلامة الطهراني لا يخلو من مناقشات ، لإجمال بيانه في الرد على الشيخ الاحسائي قدس سره ، وللتعليق على ما تقدم منه رحمه الله ، نقول :

أما قوله أولا : « إنها سد لباب المعرفة بالخالق ، في حين أن الله تعالى خلق السماء والأرض والأفلاك تمهيداً لمعرفة البشر » .

ففيه : أن المستحيل في معرفته تعالىٰ هو معرفته بمعنى الإحاطة التامة ، وهذا هو مراد الشيخ الاحسائي قدس سره ، إذ أن معرفته عن طريق الأسماء نحواً من معرفته تعالى وتقدس ، فمن عرف الاسم ناله حظ من معرفة المسمىٰ ، نعم ليست هي المعرفة التامة ، كما هي عند المُطَهَّرين عليهم السلام ، وهذا واضح لا لُبس فيه .

قال عليه السلام حينما سئل عن سبيل التوحيد : « **باب البحث ممكن وطلب المخرج موجود ، إن معرفة عين الشاهد قبل صفته ، ومعرفة صفة الغائب قبل عينه** »[2] ، والتعرف على الغائب عن طريق صفاته نحواً من المعرفة .

فوجود الواسطة في المعرفة لا يخرج المعرفة عن كونها مصداقاً

---

(١) الروح المجرد : ٣٩٢الى ٣٩٧.
(٢) تحف العقول : ٣٢٧ .

للمعرفة ، كما هو الشأن في الملائكة ، فمعرفتها بالأسماء كان عبر آدم عليه السلام ، كما هو مقتضى قوله تعالى ﴿ **وعلّم آدم الاسماء كلها ... فلما أنبأهم بأسمائهم** ﴾ والانباء غير العلم ، وكلاهما نحواً من المعرفة ، وحينما علمت الملائكة الأسماء لم تصبح في مرتبة آدم عليه السلام .

وبكلمة مختصرة : إن الطهراني رحمه الله لم يفرق في معرفته تعالى على نحو الاحاطة التامة ، ومعرفته بقدر السعة الوجودية لكل مخلوق مخلوق ولو عبر الأسماء ، فإن المعرفة الاولى مرتبط بالهوية الغيبة أو ما يسمىٰ بمقام الذات العلية ، والثانية مرتبطة بمرتبة الأسماء والصفات لا بالذات ، المعبر عنه في كلماتهم بمقام الواحدية الذي هو تنزل مقام الأحدية ، والذي عليه العرفاء هو : أن معرفة الذات المقدسة مستحيلة ، وأن طريق معرفتها هو طريق الأسماء والصفات ، وهذا لا يستثنىٰ منه أحد أصلا ، وهو عين كلام الشيخ الاحسائي قدس سره ، غاية الأمر أن الاختلاف الذي وقع بينه وبينهم هو في مصداق الاسم .

فالشيخ الاحسائي قدس سره نفي أن يكون الاسم اللفظي اسماً له تعالى ، ولم ينف أن ذوات المعصومين عليهم السلام أسماء له تعالى ، فنحن نتعرف على الله تعالى بهم عليهم السلام وهذا معنى ما ورد في الزيارة الجامعة الصغيرة « من عرفكم فقد عرف الله » ، فيتعرف على الله تعالى عن طريق أسمائه ، وهي عند الشيخ الاحسائي قدس سره ذوات المُطَهَّرِين عليهم السلام ، فهو لم ينف المعرفة له تعالى عن طريقهم عليهم أفضل الصلاة والسلام ، فتدبر جيداً .

وأما إشكاله الثاني القائل : « إن هذه النظرية ما هي إلا تجسيد حقيقي لمعنى التفويض » ، فهذا ظلم وتسرع في الحكم بلا تثبت ، حيث أن التفويض بالمعنى الذي ينسبه إليهم لم يقله أحد من الحكماء أصلا ، لأن البينونة العزلية المفروضة في مفهومه موجبة لصيرورة الحق تعالىٰ محدوداً ، بعد أن فرض عندهم أنه موجود لا محدود ، وكون الحق تعالىٰ موجوداً محدوداً لم يقل به أحد من الطلبة فضلاً عن العلماء .

مضافاً : إلى أن التزام الشيخ الاحسائي قدس سره بكون الأسماء اللفظية مسمياتها ذواتهم عليهم السلام لا يستلزم التفويض بالضرورة كما لا يخفىٰ [(١)] ، وعلى فرض استلزامه ذلك فإن الشيخ الاحسائي قدس سره قد نفىٰ بشكل قاطع مسألة التفويض لهم عليه السلام بكل صورها الممتنعة ، وعليه فلا بد من أرجاع كلماته المتشابهة إلى المحكمة ، ليكون منصفاً في تقييمه .

قال قدس سره : « أن التفويض المنافي للتوحيد هو كون المفوض إليه مستقلاً بما فرض فيه ونسب إليه ، ولا شك أن هذا شرك بالله مناف للتوحيد ولم يرد عن أهل البيت عليهم السلام ، وما يدل على ذلك في حقهم ولا حق مخلوق غيرهم » انتهىٰ .

ولو أن الشيخ الاحسائي قدس سره ، نسب نفسه إلى المدرسة الصوفية لدافع عنه السيد الطهراني بكل ما أوتي من قوة ، ولأوّل كلماته وشرحها بما يتناسب مع ما طرحوه ، والذي يؤسف له غاية الأسف أنه عَنْوَن مدرسة الشيخ الاحسائي قدس سره والمدرسة الوهابية بأنهما معول هدام للاسلام

---

(١) إذ ما دخل الالفاظ والمفاهيم الذهنية والعقلية بالواقعية الخارجية .

!!! إنها ﴿ **قسمة ضيزى** ﴾ [(١)] .

وقوله ثالثاً : « إنه من أجلى أقسام الشرك وأظهرها » فهو كلام لا يخلو عن غرابة ، لان القول بالإضافة الاشراقية [(٢)] باصطلاح الحكيم ، أو فناء الهلاك باصطلاح العارف ، ليست حكراً علىٰ أحد ، حتى ينسبها لقوم ويسلبها عن آخرين ، فإن القول بها مبطل لأظهرية الشرك الذي صوّره .

إذ أن القول بالاضافة الإشراقية منسجم في مؤثرية باقي الموجودات مع مؤثرية الله تعالىٰ أكثر من جعل تلك الموجودات معدات وكون الفاعلية منحصرة في الله تعالى كما هو مذهب صدر المتألهين قدس سره ، فنسبة الشرك إلى من يقول أن المؤثر هي الموجودات من دون أن يعزل مؤثرية الله تعالىٰ في ذلك ليس من الانصاف في شيء ﴿ **ولا تبخسوا الناس أشياءهم** ﴾ [(٣)] .

وبتعبير آخر : أن الذي ذكروه ليس من باب العَرْضية حتى يصح كلامه ، ولا من باب الطولية حتى يتصور النقص في حقه تعالى ، بل هو من باب الاحاطية والمحيطية وكونه تعالىٰ « داخل في الاشياء لا بالممازجة خارج عنها لا بالمزايلة » [(٤)] والعلم بهذا الأمر محصور عند أهله ، والذي عبر عنهم القران الكريم « الراسخون في العلم » ﴿ **واسألوا أهل الذكر إن كنت لا**

---

(١) النجم : ٢٢.

(٢) وقد تقدم شرحها بشكل مفصل .

(٣) الاعراف : ٨٥.

(٤) المحاسن : ٢٤٠ * الكافي : ٨٦/١.

تعلمون ﴾ [١] .

وقوله رابعاً : « إنه من أظهر أقسام الغلو والارتفاع » ، فهو كلام فارغ عن التحصيل وممتلىء بالسذاجة ، فإن تدبيرهم عليهم السلام لعالم الامكان من أظهر مصاديق الإيمان والفلاح ، وهذا معنى قول الحق تعالى **﴿ وعلم آدم الاسماء كلها ﴾** فما فائدة التعليم بدون العمل والتدبير .

وقوله خامساً : « أن عبادتهم انصبت على هذه الذوات المقدسة » ، فنقول له لم نر إلى الان أحد من المسلمين يعبد رباً غيره تعالى ، نعم كان ذلك في العصور المتقدمة التي اقترن بها نزول الوحي على النبي الاكرم صلى الله عليه وآله ، فبعد أن بسط الاسلام ذراعيه على العالم انطوت تلك العقائد الفاسدة التي أكل الدهر عليها وشرب ، ونسبتها إلى المتأخرين فيه من الظلم بحقهم ما لا يخفىٰ .

قال السيد كاظم الرشتي ـ أبرز تلميذ للشيخ الاحسائي قدس سره ـ : « ونعتقد أنه سبحانه واحد في عبادته ، وأنه المعبود وحده لا يجوز لاحد أن يقصد غيره تعالى في العبادة ، فمن فعله ان كان عن اعتقاد فذلك كفر كعبدة الاصنام الذين عبدوها لتقربهم إلى الله زلفى ، أو عن غير اعتقاد فإن ذلك فسق مبطل للعمل كأهل الرياء ، الذين يوقعون العبادة لاجل ملاحظة الغير ، وكذلك لو توجه بالعبادة إلى أحد من الائمة عليهم السلام ، فلا تصح عبادته ولا تقبل بحال من الاحوال وطور من الاطوار ، ومن اعتقد أن الضمائر القرانية الراجعة إلى الله ترجع إلى أمير المؤمنين عليه السلام أو إلى أحد من

---

(١) النحل : ٤٣.

الائمة عليهم السلام فذلك ضال مضل كافر مفتر ، فمن يزعم أن الضمير في قوله تعالى ﴿ **إياك نعبد وإياك نستعين** ﴾ يراد به أمير المؤمنين عليه السلام وهكذا غيره من الخطابات الالهية التي في القران وفي غيره لو أرجعها إلى أحد من المخلوقين لا سيما أمير المؤمنين عليه السلام كل ذلك زخرف من القول وزرو ، وكذلك كمن يقول أن المراد من سورة التوحيد ﴿ **قل هو الله أحد ...** ﴾ هو أمير المؤمنين عليه السلام فهو كافر بالله العظيم ، وكذ من يقول أن أمير المؤمنين عليه السلام هو الذي لم يلد ولم يولد ، وكذا سائر ما كان من هذا القبيل فكذلك كل زور وافتراء وتلبيس »[١] .

وقوله سادساً : « أنه لا دليل على أن معرفة الله منحصرة فيهم عليهم السلام » فهو كقول القائل : أنه لا يجب أن يكون النبي أعلم هذه الامة ، ولا دليل على ذلك ، فهو غريب ، ومساواتهم عليهم السلام في البشرية مع سائر الناس من جهة المعرفة قبيح ، بل لم نر شيئاً أقبح منه في عقائدنا ، والقران ينادي بأعلى صوته ﴿ **لا يمسه إلا المطهرون** ﴾ والمطهرون هم عليهم السلام ، بنص القران والسنة المتواترة[٢] .

ولا أعلم أي أمر أغفل السيد الطهراني من عدم الالتفات إلى هذه النكة التي تعد في عرف عقائدنا من أبده البديهيات ، والتصديق بها وبقضية امتناع اجتماع الوجود والعدم سيان في المعرفة ، كما لا يخفىٰ على اللبيب والفطن ، لأجل أن تصور الأطراف يكفي في التصديق بلا حاجة إلى دليل خارجي أو

---

(١) احقاق الحق : ٥١٨ الخاتمة .

(٢) راجع كتابنا « حديث الثقلين والصفات الكمالية والجمالية لأهل البيت عليهم السلام » .

داخلي .

والعجب كل العجب من قوله أن أهل البيت « بشر وسائر الناس بشر أيضاً ، وما أمكن [١] لهؤلاء عقلاً ممكن لغيرهم أيضا » فإن هذا الكلام ممّا تقشعرّ منه الابدان ، وترتعد منه الأعضاء ، كما أن الثكلىٰ تضحك منه وتبكي منه العرائس ، فهل يستوي من « عرفهم فقد عرف الله ومن جهلهم فقد جهل الله » مع السيد الطهراني وغيره ، ﴿ **إن هذا لشيء عجاب** ﴾ [٢] .

ثم أنه بمجرد قراءة ساعة كاملة ، بدون أن ينقل لنا النص الذي أمر القاضي تلميذه القوچاني بالقراءة منه لا يكفي في جعله مداراً للنقض والايراد ، فنحن أبناء المفاهيم الحصولية في مثل هذه الموارد ، ولعل الميرزا القاضي رحمه الله ـ مع حفظ مقامه ـ فهم من النص ما كان يفهمه من فهمه الارتكازي في تحليله للنص .

ونحن لا نقبل أي تحليل لنص لم نقرأه بأنفسنا ، وهذا هو الاسلوب العلمي الذي أُمرنا به من قبل الشرع المقدس .

وأما قول القاضي بأن الشيخ الاحسائي قدس سره « يعتبر الله مفهوماً فارغاً بلا تأثير وخارج عن الأسماء والصفات وهذا عين الشرك » فلا وجود لهذه لصدر هذه المقالة في كلمات الشيخ الاحسائي ، فهو قدس سره يلتزم بأن صفاته تعالى عين ذاته ، وأن أسماءه تعالى غير ذاته المقدسة ، فما نسبه إليه لا يمكن قبوله أصلا ، ما لم يدلنا على عبارة تعطي ذلك المعنى صراحةً .

---

(١) أي الامكان العام لا الخاص ، والذي بمعنى وقوعه للبشر كما وقع للائمة عليهم السلام .

(٢) سورة ص : ٥ .

والذي رفضه الشيخ الاحسائي قدس سره أن يكون للالفاظ والمفاهيم مدخلية للتعرف عليه تعالى وتقدس، وهذا لا يستلزم ما ذكره القاضي قدس سره والطهراني رحمه الله، إذ معرفته تعالى وتقدس غير محصورة بالالفاظ والمفاهيم كما هو أوضح من أن يخفى.

والخلاصة: أن ما افترضه السيد الطهراني رحمه الله من اعتقادات للشيخ الاحسائي قدس سره ساقط عن الاعتبار والقيمة العلمية، والشيخ الاحسائي قدس سره أجل من أن تنسب له مثل هذه العقائد الفاسدة، التي لا أصل لها في كتاب أو سنة.

وقد قال بعض العرفاء المعاصرين [1] بعد اطلاعه على كتاب للشيخ الاحسائي قدس سره: «إن عقائد الشيخ الاحسائي قدس سره هي ما عليه أصحاب الطائفة المحقة الامامية»، وهذا اعتراف كبير من أحد المتخصصين يخالف به على نحو النقيض ما نقله السيد الطهراني عن المرحوم القاضي، ولاجل هذا فإن ما نقله من التحليل لعبائر الشيخ الاحسائي لا نقبله جملة وتفصيلاً.

قال العلامة الميزرا علي الحائري الاحقاقي قدس سره في بيان عقيدة الشيخ الاحسائي قدس سره:

«إنا نوحد تعالى في أفعاله، أي نقول: كما أنه لا شريك له في ذاته ولا شريك له في صفاته، كذلك لا شريك له في أفعاله، بمعنى أن كل فعل صدر من مشيئته عز وجل من أول خلق العالم وإيجاد المكونات والمصنوعات،

---

(١) وهو العارف الشيخ حسن زادة آملي حفظه الله تعالى.

أو يصدر من جزئي وكلي أبد الدهر ، فالله تعالى هو المنفرد به والمتصرف في ملكه ، وهو الفاعل وحده بلا معاونة أحد ، ولا مؤازرة ولا مشاركة أحد من خلقه من ملك أو بشر ، قال تعالى ﴿ **هو الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل ذلك من شيء** ﴾ ، وقال تعالى ﴿ **هل من خالق غير الله** ﴾ ، وقال ﴿ **هو الرزاق ذو القوة المتين** ﴾ ، وجميع ما سوى الله تعالى كلهم خلقه وملكه وعبيده مخلقون مربوبون مرزوقون فقراء إلى بارئهم ، لا يستغنون عنه وعن مدده طرفة عين أبدا ، سواء في ذلك أشرف الخلق ، وهم محمد وآله الطاهرين عليهم السلام ، وأدنى الخلق وأخسهم ، وليس لأحد الاستقلال والاستغناء عن خالقه أبداً ، فلا يمكن بل ولا يعقل أن يكون واحد من الخلق شريكاً لله تعالى أو معيناً له أو مفوضاً إليه أمر الايجاد وأركان الوجود ، من الخلق والرزق والإماتة والاحياء ، وغير ذلك ، إما كلاً أو بعضاً بوجه من الوجوه ، فمن قال بمدخلية الملائكة أو الكواكب أو النجوم أو الشمس والقمر في إيجاد موجود من الموجودات وإحداث شيء من الاشياء فقد ضل وغوى .

ومن اعتقد أن محمدا وعلياً أو الائمة المعصومين عليهم السلام كلهم جميعاً ، أو كل واحد منهم يخلقون أو يرزقون أو يحيون أو يميتون ، بالاستقلال عن بارئهم أو بالمشاركة معه ، أو بالتفويض إليهم ، كتفويض الموكل أمره إلى وكيله ، أو كالمولي إلى عبده في فعل من الأفعال ، حيث أن الوكيل والعبد ليس لهما إلا الأمر الظاهري ، وهما منعزلان حقيقة عن الموكل والمولى ، فقد كفر وخرج عن الدين ، وليس له في الاسلام حظ ولا نصيب ،

وهو في النار من الخالدين ، وفي الدرك الاسفل من المعذبين .

لكن الله جلا وعلا ، حيث أنه أجلَّ من أن يباشر الأشياء بذاته المقدسة ، جعل الأشياء بعضها سبباً لبعض ، وأبى أن يجري الأمور إلا بأسبابها ، لا لعجزه واحتياجه ، بل لعزه وتكرمه عن المباشرة ، ولحكم ومصالح في طرف الأساب والمسببات ، فان الله تعالى كان قادراً على أن يخلق الاثمار بلا أشجار ، ويخلق الأولاد بلا آباء وأمهات ، ويخلق الزرع بلا أرض ولا سماء ولا مطر ، ويحفظ المخلوق بلا غذاء وبلا رزق ، ويشفي المريض بلا هواء ، ويوجد المواليد الثلاثة ، أي النبات والحيوان والانسان بلا أفلاك ؟، لكنه بحكمته الكاملة وبديع صنعه ، جعل الأشجار سبباً للاثمار والاباء والأمهات أسباباً لوجود الاولاد ، وجعل الارض والسماء والمطر سبباً للزرع ، وجعل الأرزاق سبباً لبقاء الحياة ، والدواء سبباً للشفاء ، وأوجد المواليد الثلاثة بسبب الأفلاك وبسبب النجوم والكرات وتأثير الشمس والقمر وغير ذلك .

وكذلك توكل الملائكة الاربعة الكرام جبرئيل وميكائيل وعزرائيل واسرافيل للخلق والرزق والإماتة والاحياء من هذا القبيل ، أي من قبيل الأسباب الوسائط ، لا أن الأمر مفوض إليهم ، ولا أنهم شركاء الله في الامور المذكورة ، وليس لهم أي مدخلية في هذه الامور ، وليس الفعل فعلهم ، بل الفعل فعل الله تعالى ، أظهره على أيديهم وبواسطتهم ، فالله هو الخالق الرازق المميت والمحي لا غير ، وهو المنفرد بهذه الامور ، والملائكة مظاهر هذه الاشياء ، كما أن البلور مظهر لنور الشمس واحراقها، والشمس حقيقة هي المضيئة والمحرقة لا غير ، والبلور ليس له من ذلك شيء لا مضيء

ولامحرق ، بل هو واسطة ومظهر فقط ، فكذلك الملائكة في تلك الامور مظاهر لها ووسائط ، والفاعل والمؤثر هوالله عز وجل .

ومن هذا صدور هذه الامور وأمثالها من ساداتنا محمد وأهل بيته الطاهرين ، فهم يكونون مظاهر لأفعال الله ومحال لصفاته الفعلية ، ليس لهم شراكة مع الخالق ، ولا وكالة ولا مفوضون أو مستقلون في تك الافعال ، بل كما قال الله في حق سيدهم ﴿ **ليس لك من الأمر شيء** ﴾ ليس لهم من الأمر شيء ، لا كلياً ولا جزئياً ، وكما قال تعالى ﴿ **وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى** ﴾ وحالهم كحال الملائكة المذكورون وحال الملائكة المدبرات والمقسمات والحافظات المعقبات والصافات وغيرهم .

نعم ! لا نبالي من القول بأنهم سلام الله عليهم أعظم الأسباب ، وأنهم السبب الأعظم في وجود العوالم ، وأنهم وسائط من الله ومجاري فيض الله ، لأنهم سبقوا الموجودات في الخلقة والوجود ، فهم أول ما خلق الله كما قال النبي صلى الله عليه وآله ، « أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر » وفي الزيارة الجامعة « بكم فتح الله وبكم يختم » وما سوى الله بجميع الطبقات من الملائكة والشهداء والصديقين والانس والجن فهو مخلوقون بعدهم وبواسطتهم والاخبار بذلك متواترة والزيارات متظافرة .

فلذا قد فصلت عليهم حقاً قميص الولاية الكبرىٰ ، وحصلت لهم البرزخية العظمى ، كما في الزيارة الجامعة « أنتم السبيل الأعظم والصراط الاقوم » وذلك بارادة من ربهم ومدد من خالقهم لا استقلال لهم طرفة عين أبداً ، ولا يستغنون من مدد بارئهم آناً ما ، فهم بأمر خالقهم يفعلون ما

يفعلون ، ويتصرفون ما يتصرفون ، ويعملون ما يعملون ﴿ **عباد مكرمون لا يسبقونه** ﴾ بشي ﴿ **وهم بأمره يعملون** ﴾ بل أن الافعال والخارق للعادات الصادرة منهم كلها أفعال الله سبحانه ، ظهرت بهم ، وجرت على أيديهم ، كما في الملائكة على أصنافهم »[١] .

وما ذكره قدس سره بياناً لعقيدة الشيخ الاحسائي رضي الله عنه هو مما أطبقت الأدلة الذوقية والعقلية والروائية على إثباته وبيانه ، وللتفصيل راجع كتابنا « وسائط الفيض الالهي » و « دروس في شرح الزيارة الجامعة » و « صفات الخالق والمخلوق » .

اللهم أدخلنا في كل خير أدخلت فيه محمداً وآل محمد
وأخرجنا من كل سوءٍ أخرجت منه محمداً وآل محمد
صلواتك عليهم أجمعين
اللهم أحيني حياة محمدٍ وآل محمد
وأمتني ممات محمدٍ وآل محمد
وتوفني على ولاية محمدٍ وآل محمد
وارحمني بحق محمدٍ وآل محمد
اللهم العن أولَ ظالم ظلم حقَّ محمدٍ وآل محمد
وآخرَ تابعٍ له على ذلك
﴿ أولئك يلعنهم اللّه ويلعنهم اللاعنون ﴾

(١) عقيدة الشيعة : ٧.

الزيارة الجامعة

وهي من أروع الزيارات على الاطلاق ، ومن الكنوز التي أظهرها الائمة عليهم السلام ، وكل فقراتها تشهد بصحتها الاحاديث الصحيحة والمستفيضة والمتواترة المودعة في الكتب المعتبرة لدى الطائفة .

« السَّلامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوَّةِ ، وَمَعْدِنَ الرِّسَالَةِ ، وَمُخْتَلَفَ الْـمَلائِكَةِ ، وَمَهْبِطَ الْوَحْيِ ، وَمَعْدِنَ الرَّحْمَةِ ، وَخُزَّانَ الْعِلْمِ ، وَمُنْتَهَى الْحِلْمِ ، وَأُصُولَ الْكَرَمِ ، وَقَادَةَ الأُمَمِ ، وَأَوْلِيَاءَ النِّعَمِ ، وَعَنَاصِرَ الأَبْرَارِ ، وَدَعَائِمَ الأَخْيَارِ ، وَسَاسَةَ الْعِبَادِ ، وَأَرْكَانَ الْبِلادِ ، وَأَبْوَابَ الإِيمَانِ ، وَأُمَنَاءَ الرَّحْـمَنِ ، وَسُـلالَةَ النَّـبِيِّينَ ، وَصَـفْوَةَ الْمُرْسَلِينَ ، وَعِتْرَةَ خِيَرَةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

السَّلامُ عَلَى أَئِمَّةِ الْهُدى ، وَمَصَابِيحِ الدُّجى ، وَأَعْلامِ التُّقى ، وَذَوِي النُّهى ، وَأُولِي الْحِجى ، وَكَهْفِ الْوَرَى ، وَوَرَثَـةِ الأَنْـبِيَاءِ ، وَالْـمَثَلِ الأَعْـلَى ، وَالدَّعْـوَةِ الْحُسْنَى ، وَحُجَجِ اللَّهِ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَالأُولَى ، وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

السَّلامُ عَلَى مَحَالِّ مَعْرِفَةِ اللَّهِ ، وَمَسَاكِنِ بَرَكَةِ اللَّهِ ، وَمَعَادِنِ حِكْـمَةِ اللَّـهِ ، وَحَفَظَةِ سِرِّ اللَّهِ ، وَحَمَلَةِ كِتَابِ اللَّهِ ، وَأَوْصِيَاءِ نَبِيِّ اللَّهِ ، وَذُرِّيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله ، وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

السَّلامُ عَلَى الدُّعَاةِ إِلَى اللَّهِ ، وَالأَدِلاءِ عَلَى مَرْضَاةِ اللَّهِ ، وَالْمُسْتَقِرِّينَ فِي أَمْرِ اللَّهِ ، وَالتَّامِّينَ فِي مَحَبَّةِ اللَّهِ ، وَالْمُخْلَصِينَ فِي تَوْحِيدِ اللَّهِ ، وَالْمُظْهِرِينَ لأَمْرِ اللَّهِ وَنَهْيِهِ ، وَعِبَادِهِ الْمُكْرَمِينَ ، الَّذِينَ لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ، وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ ، السَّلامُ عَلَى الأَئِمَّةِ الدُّعَاةِ ، وَالْقَادَةِ الْهُدَاةِ ، وَالسَّادَةِ الْوُلاةِ ، وَالذَّادَةِ

الْحُمَاةِ، وَأَهْلِ الذِّكْرِ، وَأُولِي الأَمْرِ، بَقِيَّةِ اللَّهِ وَخِيَرَتِهِ، وَعَيْبَةِ عِلْمِهِ، وَحُجَّتِهِ وَصِرَاطِهِ، نُورِهِ وَبُرْهَانِهِ، وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، كَمَا شَهِدَ اللَّهُ لِنَفْسِهِ، وَشَهِدَتْ لَهُ مَلائِكَتُهُ، وَأُولُو الْعِلْمِ مِنْ خَلْقِهِ، لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ الْمُنْتَجَبُ، وَرَسُولُهُ الْمُرْتَضَى، أَرْسَلَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ، وَأَشْهَدُ أَنَّكُمُ الأَئِمَّةُ الرَّاشِدُونَ، الْمَهْدِيُّونَ، الْمَعْصُومُونَ الْمُكَرَّمُونَ، الْمُقَرَّبُونَ، الْمُتَّقُونَ، الصَّادِقُونَ الْمُصْطَفَوْنَ، الْمُطِيعُونَ لِلَّهِ، الْقَوَّامُونَ بِأَمْرِهِ، الْعَامِلُونَ بِإِرَادَتِهِ، الْفَائِزُونَ بِكَرَامَتِهِ، اصْطَفَاكُمْ بِعِلْمِهِ، وَارْتَضَاكُمْ لِغَيْبِهِ، وَاخْتَارَكُمْ لِسِرِّهِ، وَاجْتَبَاكُمْ بِقُدْرَتِهِ، وَأَعَزَّكُمْ بِهُدَاهُ، وَخَصَّكُمْ بِبُرْهَانِهِ، وَانْتَجَبَكُمْ لِنُورِهِ، وَأَيَّدَكُمْ بِرُوحِهِ، وَرَضِيَكُمْ خُلَفَاءَ فِي أَرْضِهِ، وَحُجَجاً عَلَى بَرِيَّتِهِ، وَأَنْصَاراً لِدِينِهِ، حَفَظَةً لِسِرِّهِ، وَخَزَنَةً لِعِلْمِهِ، وَمُسْتَوْدَعاً لِحِكْمَتِهِ، وَتَرَاجِمَةً لِوَحْيِهِ، وَأَرْكَاناً لِتَوْحِيدِهِ، وَشُهَدَاءَ عَلَى خَلْقِهِ، وَأَعْلاماً لِعِبَادِهِ، وَمَنَاراً فِي بِلادِهِ، وَأَدِلاءَ عَلَى صِرَاطِهِ، عَصَمَكُمُ اللَّهُ مِنَ الزَّلَلِ، وَآمَنَكُمْ مِنَ الْفِتَنِ طَهَّرَكُمْ مِنَ الدَّنَسِ، وَأَذْهَبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ وَطَهَّرَكُمْ تَطْهِيراً، فَعَظَّمْتُمْ جَلالَهُ، وَأَكْبَرْتُمْ شَأْنَهُ، وَمَجَّدْتُمْ كَرَمَهُ، وَأَدَمْتُمْ ذِكْرَهُ، وَوَكَّدْتُمْ مِيثَاقَهُ، وَأَحْكَمْتُمْ عَقْدَ طَاعَتِهِ، وَنَصَحْتُمْ لَهُ فِي السِّرِّ وَالْعَلانِيَةِ، وَدَعَوْتُمْ إِلَى سَبِيلِهِ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ، وَبَذَلْتُمْ أَنْفُسَكُمْ فِي مَرْضَاتِهِ، وَصَبَرْتُمْ عَلَى مَا أَصَابَكُمْ فِي جَنْبِهِ، وَأَقَمْتُمُ الصَّلاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ، وَأَمَرْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهَيْتُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَجَاهَدْتُمْ فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ، حَتَّى أَعْلَنْتُمْ دَعْوَتَهُ، وَبَيَّنْتُمْ فَرَائِضَهُ، وَأَقَمْتُمْ حُدُودَهُ، وَنَشَرْتُمْ شَرَائِعَ أَحْكَامِهِ، وَسَنَنْتُمْ سُنَّتَهُ، وَصِرْتُمْ فِي ذَلِكَ مِنْهُ إِلَى الرِّضَا،

وَسَلَّمْتُمْ لَهُ الْقَضَاءَ ، وَصَدَّقْتُمْ مِنْ رُسُلِهِ مَنْ مَضَى ، فَالرَّاغِبُ عَنْكُمْ مَارِقٌ ، وَاللاَّزِمُ لَكُمْ لاحِقٌ ، وَالْمُقَصِّرُ فِي حَقِّكُمْ زَاهِقٌ ، وَالْحَقُّ مَعَكُمْ ، وَفِيكُمْ ، وَمِنْكُمْ ، وَإِلَيْكُمْ ، وَأَنْتُمْ أَهْلُهُ ، وَمَعْدِنُهُ ، وَمَثْوَاهُ ، وَمُنْتَهَاهُ ، وَمِيرَاثُ النُّبُوَّةِ عِنْدَكُمْ ، وَإِيَابُ الْخَلْقِ إِلَيْكُمْ ، وَحِسَابُهُمْ عَلَيْكُمْ ، وَفَصْلُ الْخِطَابِ عِنْدَكُمْ ، وَآيَاتُ اللَّهِ لَدَيْكُمْ ، وَعَزَائِمُهُ فِيكُمْ ، وَنُورُهُ وَبُرْهَانُهُ عِنْدَكُمْ ، وَأَمْرُهُ إِلَيْكُمْ ، مَنْ وَالاكُمْ فَقَدْ وَالَى اللَّهَ ، وَمَنْ عَادَاكُمْ فَقَدْ عَادَىٰ اللَّهَ ، وَمَنْ أَحَبَّكُمْ فَقَدْ أَحَبَّ اللَّهَ ، وَمَنْ أَبْغَضَكُمْ فَقَدْ أَبْغَضَ اللَّهَ ، وَمَنِ اعْتَصَمَ بِكُمْ فَقَدِ اعْتَصَمَ بِاللَّهِ ، أَنْتُمُ الصِّرَاطُ الأَقْوَمُ ، وَشُهَدَاءُ دَارِ الْفَنَاءِ ، وَشُفَعَاءُ دَارِ الْبَقَاءِ ، وَالرَّحْمَةُ الْمَوْصُولَةُ ، وَالآيَةُ الْمَخْزُونَةُ ، وَالأَمَانَةُ الْمَحْفُوظَةُ ، وَالْبَابُ الْمُبْتَلَىٰ بِهِ النَّاسُ ، مَنْ أَتَاكُمْ نَجَا ، وَمَنْ لَمْ يَأْتِكُمْ هَلَكَ ، إِلَى اللَّهِ تَدْعُونَ ، وَعَلَيْهِ تَدُلُّونَ ، وَبِهِ تُؤْمِنُونَ ، وَلَهُ تُسَلِّمُونَ ، وَبِأَمْرِهِ تَعْمَلُونَ ، وَإِلَى سَبِيلِهِ تُرْشِدُونَ ، وَبِقَوْلِهِ تَحْكُمُونَ ، سَعِدَ مَنْ وَالاكُمْ ، وَهَلَكَ مَنْ عَادَاكُمْ ، وَخَابَ مَنْ جَحَدَكُمْ ، وَضَلَّ مَنْ فَارَقَكُمْ ، وَفَازَ مَنْ تَمَسَّكَ بِكُمْ ، أَمِنَ مَنْ لَجَأَ إِلَيْكُمْ وَسَلِمَ مَنْ صَدَّقَكُمْ ، وَهُدِيَ مَنِ اعْتَصَمَ بِكُمْ ، مَنِ اتَّبَعَكُمْ فَالْجَنَّةُ مَأْوَاهُ ، وَمَنْ خَالَفَكُمْ فَالنَّارُ مَثْوَاهُ ، وَمَنْ جَحَدَكُمْ كَافِرٌ ، وَمَنْ حَارَبَكُمْ مُشْرِكٌ ، وَمَنْ رَدَّ عَلَيْكُمْ فَهُوَ فِي أَسْفَلِ دَرْكٍ الْجَحِيمِ .

أَشْهَدُ أَنَّ هَذَا سَابِقٌ لَكُمْ فِيمَا مَضَى ، وَجَارٍ لَكُمْ فِيمَا بَقِيَ ، وَأَنَّ أَرْوَاحَكُمْ وَنُورَكُمْ وَطِينَتَكُمْ وَاحِدَةٌ ، طَابَتْ وَطَهُرَتْ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ ، خَلَقَكُمُ اللَّهُ أَنْوَاراً فَجَعَلَكُمْ بِعَرْشِهِ مُحْدِقِينَ ، حَتَّى مَنَّ عَلَيْنَا بِكُمْ ، فَجَعَلَكُمْ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ ، فَجَعَلَ صَلاتَنَا عَلَيْكُمْ وَمَا خَصَّنَا بِهِ مِنْ وَلايَتِكُمْ ، طِيباً لِخَلْقِنَا ، وَطَهَارَةً لأَنْفُسِنَا ، وَبَرَكَةً لَنَا ، وَكَفَّارَةً لِذُنُوبِنَا ، وَكُنَّا عِنْدَهُ مُسَلِّمِينَ

بِفَضْلِكُمْ ، وَمَعْرُوفِينَ بِتَصْدِيقِنَا إِيَّاكُمْ ، فَبَلَغَ اللَّهُ بِكُمْ أَشْرَفَ مَحَلِّ الْمُكَرَّمِينَ ، وَأَعْلَى مَنَازِلِ الْمُقَرَّبِينَ ، وَأَرْفَعَ دَرَجَاتِ الْمُرْسَلِينَ ، حَيْثُ لا يَلْحَقُهُ لاحِقٌ ، وَلا يَفُوقُهُ فَائِقٌ ، وَلا يَسْبِقُهُ سَابِقٌ ، وَلا يَطْمَعُ فِي إِدْرَاكِهِ طَامِعٌ ، حَتَّى لا يَبْقَى مَلَكٌ مُقَرَّبٌ ، وَلا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ ، وَلا صِدِّيقٌ وَلا شَهِيدٌ ، وَلا عَالِمٌ وَلا جَاهِلٌ ، وَلا دَنِيٌّ وَلا فَاضِلٌ ، وَلا مُؤْمِنٌ صَالِحٌ ، وَلا فَاجِرٌ طَالِحٌ ، وَلا جَبَّارٌ عَنِيدٌ ، وَلا شَيْطَانٌ مَرِيدٌ ، وَلا خَلْقٌ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ شَهِيدٌ ، إِلا عَرَّفَهُمْ جَلالَةَ أَمْرِكُمْ ، عِظَمَ خَطَرِكُمْ ، وَكِبَرَ شَأْنِكُمْ ، وَتَمَامَ نُورِكُمْ ، وَصِدْقَ مَقَاعِدِكُمْ ، وَثَبَاتَ مَقَامِكُمْ ، وَشَرَفَ مَحَلِّكُمْ ، وَمَنْزِلَتِكُمْ عِنْدَهُ ، وَكَرَامَتَكُمْ عَلَيْهِ ، وَخَاصَّتَكُمْ لَدَيْهِ ، وَقُرْبَ مَنْزِلَتِكُمْ مِنْهُ .

بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمِّي وَأَهْلِي وَمَالِي وَأُسْرَتِي ، أُشْهِدُ اللَّهَ وَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي مُؤْمِنٌ بِكُمْ وَبِمَا آمَنْتُمْ بِهِ ، كَافِرٌ بِعَدُوِّكُمْ وَبِمَا كَفَرْتُمْ بِهِ ، مُسْتَبْصِرٌ بِشَأْنِكُمْ ، وَبِضَلالَةِ مَنْ خَالَفَكُمْ ، مُوَالٍ لَكُمْ وَلأَوْلِيَائِكُمْ ، مُبْغِضٌ لأَعْدَائِكُمْ ، وَمُعَادٍ لَهُمْ ، سِلْمٌ لِمَنْ سَالَمَكُمْ ، حَرْبٌ لِمَنْ حَارَبَكُمْ ، مُحَقِّقٌ لِمَا حَقَّقْتُمْ ، مُبْطِلٌ لِمَا أَبْطَلْتُمْ ، مُطِيعٌ لَكُمْ عَارِفٌ بِحَقِّكُمْ ، مُقِرٌّ بِفَضْلِكُمْ ، مُحْتَمِلٌ لِعِلْمِكُمْ ، مُحْتَجِبٌ بِذِمَّتِكُمْ ، مُعْتَرِفٌ بِكُمْ ، مُؤْمِنٌ بِإِيَابِكُمْ ، مُصَدِّقٌ بِرَجْعَتِكُمْ ، مُنْتَظِرٌ لأَمْرِكُمْ ، مُرْتَقِبٌ لِدَوْلَتِكُمْ ، آخِذٌ بِقَوْلِكُمْ ، عَامِلٌ بِأَمْرِكُمْ ، مُسْتَجِيرٌ بِكُمْ ، زَائِرٌ لَكُمْ ، عَائِذٌ بِقُبُورِكُمْ ، مُسْتَشْفِعٌ إِلَى اللَّهِ بِكُمْ ، مُتَقَرِّبٌ بِكُمْ إِلَيْهِ ، وَمُقَدِّمُكُمْ أَمَامَ طَلِبَتِي وَحَوَائِجِي وَإِرَادَتِي فِي كُلِّ أَحْوَالِي وَأُمُورِي ، مُؤْمِنٌ بِسِرِّكُمْ وَعَلانِيَتِكُمْ وَشَاهِدِكُمْ وَغَائِبِكُمْ وَأَوَّلِكُمْ وَآخِرِكُمْ ، وَمُفَوِّضٌ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ إِلَيْكُمْ ، وَمُسَلِّمٌ فِيهِ مَعَكُمْ ، وَقَلْبِي لَكُمْ مُسَلِّمٌ ، وَرَأْيِي لَكُمْ تَبَعٌ ، وَنُصْرَتِي لَكُمْ ، مُعَدَّةٌ حَتَّى يُحْيِيَ اللَّهُ دِينَهُ بِكُمْ وَيَرُدَّكُمْ فِي أَيَّامِهِ ، وَيُظْهِرَكُمْ لِعَدْلِهِ ، وَيُمَكِّنَكُمْ فِي أَرْضِهِ ، فَمَعَكُمْ مَعَكُمْ لا مَعَ غَيْرِكُمْ ، آمَنْتُ

بِكُمْ، وَتَوَلَّيْتُ آخِرَكُمْ بِمَا تَوَلَّيْتُ بِهِ أَوَّلَكُمْ، وَبَرِئْتُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ أَعْدَائِكُمْ وَمِنَ الْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ، وَالشَّيَاطِينِ وَحِزْبِهِمُ الظَّالِمِينَ لَكُمُ، الْجَاحِدِينَ لِحَقِّكُمْ، وَالْمَارِقِينَ مِنْ وَلايَتِكُمْ، الْغَاصِبِينَ لإِرْثِكُمْ، الشَّاكِّينَ فِيكُمْ، الْمُنْحَرِفِينَ عَنْكُمْ وَمِنْ كُلِّ وَلِيجَةٍ دُونَكُمْ، وَكُلِّ مُطَاعٍ سِوَاكُمْ، مِنَ الأَئِمَّةِ الَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ، فَثَبَّتَنِي اللَّهُ أَبَداً مَا حَيِيتُ عَلَى مُوَالاتِكُمْ وَمَحَبَّتِكُمْ وَدِينِكُمْ، وَوَفَّقَنِي لِطَاعَتِكُمْ، وَرَزَقَنِي شَفَاعَتَكُمْ، وَجَعَلَنِي مِنْ خِيَارِ مَوَالِيكُمْ التَّابِعِينَ لِمَا دَعَوْتُمْ إِلَيْهِ، وَجَعَلَنِي مِمَّنْ يَقْتَصُّ آثَارَكُمْ، وَيَسْلُكُ سَبِيلَكُمْ، وَيَهْتَدِي بِهُدَاكُمْ يُحْشَرُ فِي زُمْرَتِكُمْ، وَيَكُرُّ فِي رَجْعَتِكُمْ، وَيُمَلَّكُ فِي دَوْلَتِكُمْ، وَيُشَرَّفُ فِي عَافِيَتِكُمْ، وَيُمَكَّنُ فِي أَيَّامِكُمْ، وَ تَقَرُّ عَيْنُهُ غَداً بِرُؤْيَتِكُمْ، بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمِّي وَنَفْسِي أَهْلِي وَ مَالِي وَأُسْرَتِي، مَنْ أَرَادَ اللَّهَ بَدَأَ بِكُمْ، وَمَنْ وَحَّدَهُ قَبِلَ عَنْكُمْ، وَمَنْ قَصَدَهُ تَوَجَّهَ بِكُمْ مَوَالِيَّ، لاَ أُحْصِي ثَنَاءَكُمْ، وَلا أَبْلُغُ مِنَ الْمَدْحِ كُنْهَكُمْ، وَمِنَ الْوَصْفِ قَدْرَكُمْ، وَأَنْتُمْ نُورُ الأَخْيَارِ، وَهُدَاةُ الأَبْرَارِ، وَحُجَجُ الْجَبَّارِ، بِكُمْ فَتَحَ اللَّهُ وَبِكُمْ يَخْتِمُ، وَبِكُمْ يُنَزِّلُ الْغَيْثَ، وَبِكُمْ يُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إِلا بِإِذْنِهِ، وَبِكُمْ يُنَفِّسُ الْهَمَّ وَيَكْشِفُ الضُّرَّ، وَعِنْدَكُمْ مَا نَزَلَتْ بِهِ رُسُلُهُ وَهَبَطَتْ بِهِ مَلائِكَتُهُ، وَإِلَى جَدِّكُمْ بُعِثَ الرُّوحُ الأَمِينُ - وَإِنْ كَانَتِ الزِّيَارَةُ لأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فَقُلْ وَإِلَى أَخِيكَ بُعِثَ الرُّوحُ الأَمِينُ - آتَاكُمُ اللَّهُ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَداً مِنَ الْعَالَمِينَ، طَأْطَأَ كُلُّ شَرِيفٍ لِشَرَفِكُمْ، وَبَخَعَ كُلُّ مُتَكَبِّرٍ لِطَاعَتِكُمْ، وَخَضَعَ كُلُّ جَبَّارٍ لِفَضْلِكُمْ، وَذَلَّ كُلُّ شَيْءٍ لَكُمْ، وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِكُمْ، وَفَازَ الْفَائِزُونَ بِوَلايَتِكُمْ، بِكُمْ يُسْلَكُ إِلَى الرِّضْوَانِ، وَعَلَى مَنْ جَحَدَ وَلايَتَكُمْ غَضَبُ الرَّحْمَنِ.

بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمِّي وَنَفْسِي وَأَهْلِي وَمَالِي، ذِكْرُكُمْ فِي الذَّاكِرِينَ، وَأَسْمَاؤُكُمْ فِي

الأَسْمَاءِ ، وَأَجْسَادُكُمْ فِي الأَجْسَادِ ، وَأَرْوَاحُكُمْ فِي الأَرْوَاحِ ، وَأَنفُسُكُمْ فِي النُّفُوسِ ، وَآثَارُكُمْ فِي الآثَارِ ، وَقُبُورُكُمْ فِي الْقُبُورِ ، فَمَا أَحْلَى أَسْمَاءَكُمْ ، وَأَكْرَمَ أَنْفُسَكُمْ ، وَأَعْظَمَ شَأْنَكُمْ ، وَأَجَلَّ خَطَرَكُمْ ، وَأَوْفَى عَهْدَكُمْ ، وَأَصْدَقَ وَعْدَكُمْ ، كَلامُكُمْ نُورٌ ، وَأَمْرُكُمْ رُشْدٌ ، وَوَصِيَّتُكُمُ التَّقْوَى ، وَفِعْلُكُمُ الْخَيْرُ ، وَعَادَتُكُمُ الإِحْسَانُ ، وَسَجِيَّتُكُمُ الْكَرَمُ ، وَشَأْنُكُمُ الْحَقُّ وَالصِّدْقُ وَالرِّفْقُ ، وَقَوْلُكُمْ حُكْمٌ وَحَتْمٌ ، وَرَأْيُكُمْ عِلْمٌ وَحِلْمٌ وَحَزْمٌ ، إِنْ ذُكِرَ الْخَيْرُ كُنْتُمْ أَوَّلَهُ وَأَصْلَهُ وَفَرْعَهُ وَمَعْدِنَهُ وَمَأْوَاهُ وَمُنْتَهَاهُ ، بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمِّي وَنَفْسِي ، كَيْفَ أَصِفُ حُسْنَ ثَنَائِكُمْ ، وَأُحْصِي جَمِيلَ بَلائِكُمْ ، وَبِكُمْ أَخْرَجَنَا اللَّهُ مِنَ الذُّلِّ ، وَفَرَّجَ عَنَّا غَمَرَاتِ الْكُرُوبِ ، وَأَنْقَذَنَا بِكُمْ مِنْ شَفَا جُرُفِ الْهَلَكَاتِ ، وَمِنَ النَّارِ بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمِّي وَنَفْسِي ، بِمُوَالاتِكُمْ عَلَّمَنَا اللَّهُ مَعَالِمَ دِينِنَا ، وَأَصْلَحَ مَا كَانَ فَسَدَ مِنْ دُنْيَانَا ، وَبِمُوَالاتِكُمْ تَمَّتِ الْكَلِمَةُ ، وَعَظُمَتِ النِّعْمَةُ ، وَائْتَلَفَتِ الْفُرْقَةُ ، وَبِمُوَالاتِكُمْ تُقْبَلُ الطَّاعَةُ الْمُفْتَرَضَةُ ، وَلَكُمُ الْمَوَدَّةُ الْوَاجِبَةُ ، وَالدَّرَجَاتُ الرَّفِيعَةُ ، وَالْمَكَانُ الْمَحْمُودُ ، وَالْمَقَامُ الْمَعْلُومُ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَالْجَاهُ الْعَظِيمُ ، وَالشَّأْنُ الْكَبِيرُ ، وَالشَّفَاعَةُ الْمَقْبُولَةُ .

رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ، رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْك رَحْمَةً إِنَّك أَنْتَ الْوَهَّابُ ، سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً ، يَا أولياءَ اللَّهِ إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ذُنُوباً لا يَأْتِي عَلَيْهَا إِلا رِضَاكُمْ ، فَبِحَقِّ مَنِ ائْتَمَنَكُمْ عَلَى سِرِّهِ ، وَاسْتَرْعَاكُمْ أَمْرَ خَلْقِهِ ، وَقَرَنَ طَاعَتَكُمْ بِطَاعَتِهِ لَمَّا اسْتَوْهَبْتُمْ ذُنُوبِي ، وَكُنْتُمْ شُفَعَائِي ، فَإِنِّي لَكُمْ مُطِيعٌ ، مَنْ أَطَاعَكُمْ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ، وَمَنْ عَصَاكُمْ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ ، وَمَنْ أَحَبَّكُمْ فَقَدْ أَحَبَّ اللَّهَ ، وَمَنْ

أَبْغَضَكُمْ فَقَدْ أَبْغَضَ اللَّهَ . اللَّهُمَّ إِنِّي لَوْ وَجَدْتُ شُفَعَاءَ أَقْرَبَ إِلَيْكَ مِنْ مُحَمَّدٍ وَأَهْلِ بَيْتِهِ الأَخْيَارِ الأَئِمَّةِ الأَبْرَارِ لَجَعَلْتُهُمْ شُفَعَائِي ، فَبِحَقِّهِمُ الَّذِي أَوْجَبْتَ لَهُمْ عَلَيْكَ أَسْأَلُكَ أَنْ تُدْخِلَنِي فِي جُمْلَةِ الْعَارِفِينَ بِهِمْ وَبِحَقِّهِمْ ، وَفِي زُمْرَةِ الْمَرْحُومِينَ بِشَفَاعَتِهِمْ إِنَّكَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ ».

زيارة الجامعة الصغيرة

« اَلسَّلَامُ عَلىٰ أَوْلِيَاءِ اللهِ وَأَصْفِيَائِهِ ، اَلسَّلَامُ عَلىٰ أُمَنَاءِ اللهِ وَأَحِبَّائِهِ ، اَلسَّلَامُ عَلىٰ أَنْصَارِ اللهِ وَخُلَفَائِهِ ، اَلسَّلَامُ عَلىٰ مَحَالِّ مَعْرِفَةِ اللهِ ، اَلسَّلَامُ عَلىٰ مَسَاكِنِ ذِكْرِ اللهِ ، اَلسَّلَامُ عَلىٰ مُظْهِرِي أَمْرِ اللهِ وَنَهْيِهِ ، اَلسَّلَامُ عَلَى الدُّعَاةِ إِلَى اللهِ ، اَلسَّلَامُ عَلَى الْمُسْتَقِرِّينَ فِي مَرْضَاةِ اللهِ ، اَلسَّلَامُ عَلَى الْمُخْلِصِينَ فِي طَاعَةِ اللهِ ، اَلسَّلَامُ عَلَى الأَدِلَّاءِ عَلَى اللهِ ، اَلسَّلَامُ عَلَى الَّذِينَ مَنْ وَالَاهُمْ فَقَدْ وَالَى اللهَ ، وَمَنْ عَادَاهُمْ فَقَدْ عَادَى اللهَ ، وَمَنْ عَرَفَهُمْ فَقَدْ عَرَفَ اللهَ ، وَمَنْ جَهِلَهُمْ فَقَدْ جَهِلَ اللهَ ، وَمَنِ اعْتَصَمَ بِهِمْ فَقَدْ اعْتَصَمَ بِاللهِ ، وَمَنْ تَخَلّىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ تَخَلّىٰ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَأُشْهِدُ اللهَ أَنِّي سِلْمٌ لِمَنْ سَالَمْتُمْ ، وَحَرْبٌ لِمَنْ حَارَبْتُمْ ، مُؤْمِنٌ بِسِرِّكُمْ وَعَلَانِيَتِكُمْ ، مُفَوِّضٌ فِي ذٰلِكَ كُلِّهِ إِلَيْكُمْ ، لَعَنَ اللهُ عَدُوَّ آلِ مُحَمَّدٍ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ ، وَأَبْرَأُ إِلَى اللهِ مِنْهُمْ ، وَصَلَّى اللهُ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ ».

الفهرس

مدخل البحث

المقام الأول

أسماؤه تعالى غيره

المقام الثاني

أسماؤه تعالى غير منحصرة بالأسماء اللفظية

المقام الثالث

التعرف على الصفات الذاتية من خلال الاسماء العينية

المقام الرابع

الواسطة بين الله ومخلوقاته أسماؤه

المقام الخامس

الاسم الأعظم أول ما خلق الله تعالى

المقام السادس

الهدف من بحث الأسماء الحسنى

نقد وتحليل

نظرية العرفاء والمتصوفة

تحليل
نظرية الشيخ الاحسائي قدس سره

ماصدر للمؤلف

١- ايضاح مناسك الحج

٢- مجمع مناسك الحج

٣- الوضوء غسلتان ومسحتان

٤- سلسلة الأحاديث الصحيحة والحسنة في فضائل الامام علي (ع)

٥- اسطورة العبوسة

٦- ثمرة الأبحاث العقائدية المرتبطة بكمالات المعصومين (ع)

٧- دروس في شرح الزيارة الجامعة

٨- الأسفار الأربعة العرفانية

٩- الامام الحسين وارث الأنبياء والمرسلين (ع)

١٠- مبدأ الغروب ووقت افطار الصائم